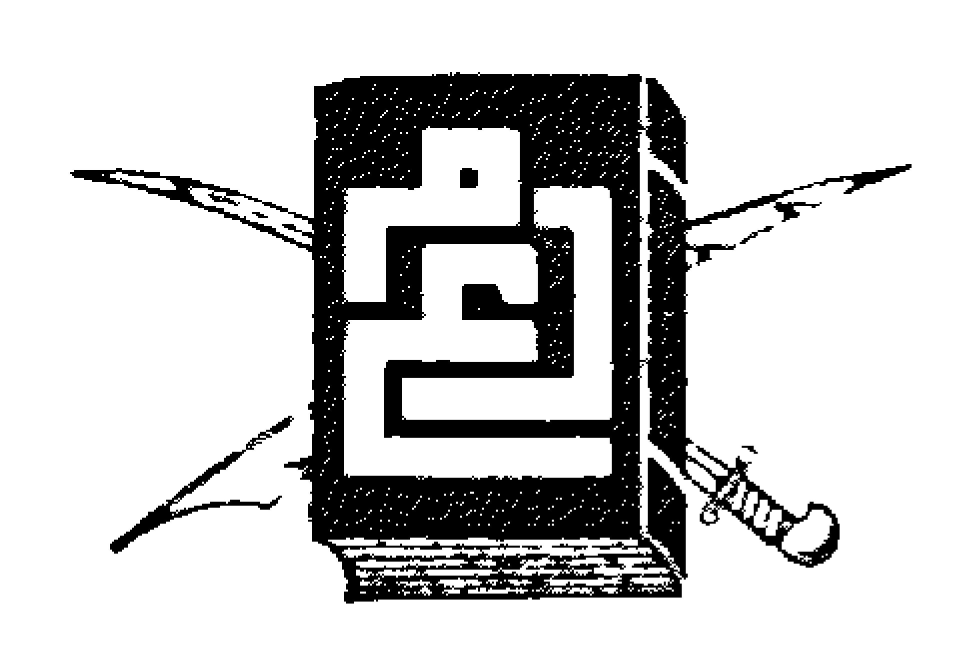
بإشراف

جوناثان ألفورد



[illegible]

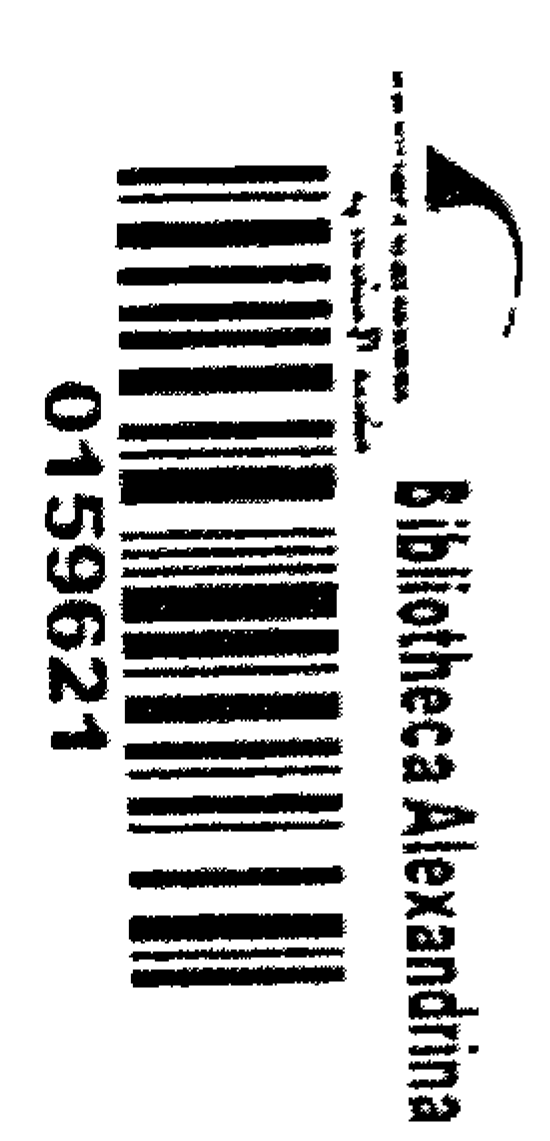
[illegible]

ترجمة :

اللواء جبرائيل بيطار

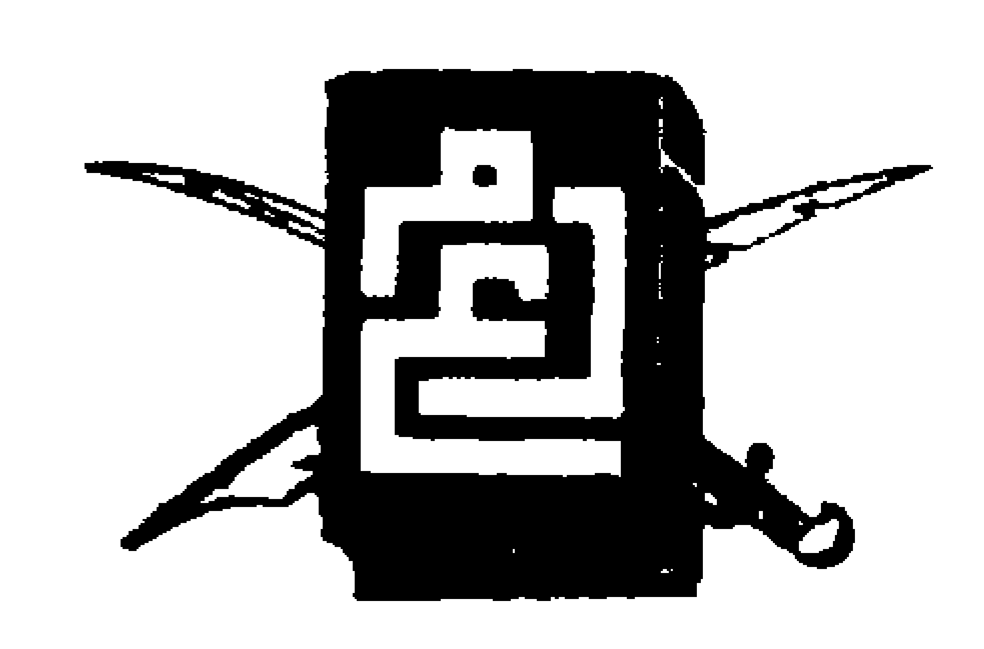
مركز الدراسات العسكرية

دمشق ـ ١٩٨٣



باشراف

جوناثان الفورد



تأثير التكنولوجيا العسكرية الحديثة

إصدار المعهد الدولي للدراسات الإستراتيجية - لندن

ترجمة :

اللواء جبرائيل بيطار

مركز الدراسات العسكرية

دمشق - ١٩٨٣



تقديـــــــم

يعمد مركز الدراسات العسكرية على انتقاء المفيد من الكتب الاجنبيــة وترجمتها بغية اغناء معارف الضباط في شتى مجالات الثقافة العامة ،والعسكرية منها بوجه خاص .


وبين ايدينا اليــوم كتاب ذو اهميــة لكونه يسلط الاضواء علــى تاثير التكنولوجيا العسكرية الحديثــة في ميادين الصراع المسلــح بين الجيوش . فالاختلاف في الايديولوجيات بين الامم ــ منذ الازل ــ ادى الى تنافس عقائدي ينعكس أثره على التكنولوجيا العسكرية ، فتسابقت الدول الى تطوير آلــة الحرب بهدف تحقيق النصر في المعارك .

يتضمن هذا الكتاب عدة دراسات حول اهمية التكنولوجيا العسكريــة الحديثة ، من حيث العمل على زيادة ثقة المقاتل بسلاحه ، وعلى توفير أعتدة قتالية عالية القدرة للتعويض عن الطاقة البشرية بثمن اقل .

أعد دراسات هذا الكتاب باحثون في المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية في لندن وصدر عن هذا المعهد باللغة الانكليزية عام ١٩٨١ .

دمشــق
نيسان ١٩٨٢

مركز الدراسات العسكرية



تمهيد

ان تاثير التكنولوجيا علـى الاعمال القتالية قديم قدم العصر الحديدي ، ولكن وبالرغم من ان التطبيق العملي لبعض الاختراعات الحديثة في الحروب قد ادى الى تبدل طبيعتها عبر التاريخ وادى الى تطور في العلاقات بين الدول ، فان موضوع العلاقة النسبية بين التكنولوجيا ومدى تاثيرها مازال قابلا للجدل. وقد نجم عن ذلـك ان سعت الدول ـ اما لشعورها بانها مهددة او لوجـود طموحات لديها خارج حدودها ـ الى دفع عجلة الاختراعات العسكرية الى الامام خوفا من ان تسبقها دولة اخرى في هـذا المجال اذ لو حدث ذلـك فانها لن تستطيع اللحاق بها من حيث الكمية بل من حيث النوعية .

ومن الاسباب التي تشجع على ذلك هو كون اكتشـاف نوع جديد او تطوير لسلاح قديم هو اسهل من انتاجه ، حيث ان هناك فترة زمنيـة طويلة (تعادل عشر سنوات غالبا) بين التوصل الى اختراع سلاح جديد وبين وضعه قيد الاستعمال ، حتى احدث الاسلحة الحالية تعتبر متخلفة بالنسبة لما يمكن للتكنولوجيا تقديمه .

لهذا تستمر كافة الدول الكبرى في ابحاثها وتطوير امكاناتها بينما تخصص الدول العظمى ميزانيات هائلة للبحث والتطوير في المجال العسكري خوفا من ان تحتل المرتبة الثانية او ان تجد نفسها فجاة مفتقرة الى الوسائل المضادة او ان احتمال التخلف من الوجهة التكنولوجية خطر واقعي ومحتمل جدا . وعندما يكون هناك تنافس عقائدي فان التكنولوجيا العسكرية تلعب دورا اساسيا فيه.

ومع ذلك هناك خطر من أن تصبح الدولة مساقة بدون وعي نحو التطور التكنولوجي . فغالبا مايكون من الاسهل اتخاذ قرارات تكنولوجية من اتخاذ قرارات اجتماعية او سياسية . ذلك لان التكنولوجيا تعتبر حيادية واحيانا بكماء وبالتالي تعتبر الوسيلة الاكثر سلامة .

وقد اصبح تخصيص الميزانيات في مجال التكنولوجيا الحديثة الحل الامثل ، بنظر البعض ، لحل مشاكل هي في الاساس سياسية . فالقدرة التكنولوجية تبدو مغرية اذ تسمح بتخفيض تكاليف المؤسسة العسكرية بالتعويض عن عدد كبير من القدرة البشرية باعتدة عالية القدره التكنولوجية .

كما أنها تقدم قدرة تدميرية اكبر بثمن اقل . ويعبر عنها الاميركيون بجملة : « دوي اكبر بضربة واحدة » وان كان هذا التعبير ينطبق اكثر على الاسلحة النووية .

سوف يستمر الجدل طويلا حول ما اذا كانت التكنولوجيا قد جعلت العالم مكانا أكثر أمانا للحياة فيه . لاشك أننا لم نشاهد حروبا رئيسية بين الدول الصناعية طيلة خمسة وثلاثين عاما وذلك عائد كما يقول « ميشال هوارد «Michael Howard» « بأن الخوف من القنبلة هو بداية الحكمة » . من جهة ثانية فان القدرة التدميرية التي حققتها التكنولوجيا العسكرية جعلت امكانية الخطأ الفعلية لاقيمة لها .

وساد نقاش آخر حول تداخل التكنولوجيا والعقيدة : ومن منهما له الافضلية ؟ هل تكون التكنولوجيا في خدمة العقيدة وبالتالي تنتج اسلحة تلائم الافكار والخطط والاولويات ؟ ام علينا ايجاد عقيدة تستخدم على احسن وجه المنجزات التكنولوجية ؟

ويقدم لنا « ستيفن كانبي » هذه التساؤلات وسواها ضمن المفهوم الاوروبي على الاقل . وهو يعتقد ان اعادة النظر بالعقائد تسمح للحلف الغربي بالتفوق على حلف وارسو في حرب تقليدية وبالتالي التخلي عن فكرة الاعتماد على السلاح النووي بالدرجة الاولى . وان فكرته هذه تعتبر تحقيقا لاملنا شرط تخلي حلف شمالي الاطلسي عن المبادىء الناجمة عن عقيدة تطبيق

التكنولوجيا في الاعمال القتالية المتمسك بها . وهو وعلى الرغم من كونهلايصرح بذلك يعتقد ان معظم القادة مشغولون بخوض الحرب اللاحقة بنفس الاسلوب الذي خاضوا به الحرب السابقة بالرغم من حقيقة تبدل ظروف ومفاهيمالاعمال القتالية في هذه الايام . وقد يكون محقا بقوله ان الهيكل العظمي والتلاحم بين الحلفاء قد اسس على ذلك ولكنه بادانته هذه يبدو غير متحسس بالصعوبات السياسية التي تعترض حلفا عسكريا بين خمس عشرة دولة ديموقراطية ذات سيادة حيث على كل تطور ان يمر عبر سلسلة من المؤسسات البيروقراطية المناوئة عادة لكل فكرة جديدة .

ان البطء في اتخاذ القرار واقع فعلا ومع ذلك فانه يجب الا يجعلنا نتعامى عن واقع هام هو ان الحلف يفي بقي صامدا طيلة ثلاثين عاما . ولا شك ان «بنيامين فرانكلين Benjamin Franklin كان محقا بقوله « **علينا ان نتكاتف جميعا والا قضي علينا افرادیا** » . ان هذا التكاتف يفرض أحيانا القبول ببعض التلكؤ في قبول أفكار جديدة . وهذا مايوضحه « ريتشارد بيرت » «Richard Burt» في مقاله الذي يناقش فيه فكرة ادخال اسلحة تكنولوجية حديثة وما سوف تثيره من جدل ؛ ويقول ان المسألة لن تحل بسرعة وخاصة حول امكانية التكنولوجيا الحديثة في حل مسائل قديمة مستعصية . وهو يتعرض خاصة الى مايمكن ان يؤدي اليه التطور التكنولوجي من خلل في مجال الاشراف على التسلح : اذ لاشك مطلقا بان مهمة العاملين للتوصل الى اتفاقية للاشراف والحد من التسلح . تزداد صعوبة في زمن تتسارع فيه الانجازات التكنولوجية العسكرية . وغالبا مايعمل التكنولوجيون على سحب البساط من تحت اقدام المفاوضين . واوضح مثال على ذلك اتفاقية الحد من الاسلحة الاستراتيجية « سولت ١ » التي فرضت اعدادا محددة من قواعد الاطلاق بنفس الوقت الذي توصلت فيه تكنولوجية الصواريخ المتعددة الرؤوس الى جعل هذه القواعد اقل اهمية من عدد الرؤوس الحربية ودقة اصابتها .

وكانت دقة الاصابة هذه موضوع مقال لاحق للسيد « جيمس ديغبي » James Digby ويلاحظ في هذا المجال ان تطورا هاما حدث خلال الاعوام الثلاثين الماضية ففي حين ان دقة الاصابة كانت محققة بواسطة السلاح النووي مهما بلغ الحيدان فان التكنولوجيا الحديثة سمحت للاسلحة الاخرى البعيدة المدى بان تحقق

دقة اكبر، وعلى الرغم من أن البعض قد استنتج بأنهاصبح من الممكن أنتصيب أي هدف تراه فان ذلك هو تصور مبسط للواقع اذ ان الصواريخ الجوالة أصبحت قادرة على اصابة اهدافها بدقة ۳۰ مترا على مسافة ثلاثة آلاف كيلو متر .

كما انه أصبح بالامكان اطلاق صواريخ عابرة للقارات بدقة لاتزيد على ۳۰۰ متر من اهدافها ، وان الاسلحة التكتيكية قادرة على اصابة الدبابة او الطائرة بدقة تعتبر ثورة في عالم الاصابة .

ويعرض لنا « جون ميرشايمر » رايه حول هذه الناحية ويعتقد ان الذخائر دقيقة التوجيه هي السلاح الدفاعي الامثل الذي يمكن لحلف شمالي الاطلسي ان يتصدى به لاي هجوم قد تشنه قوات حلف وارسو ، كما يعرض كل من « غور وماكورميك » رايهما حول هذا الموضوع .


اخيرا يتضمن هذا الكتاب بحثين الاول حول دور التكنولوجيا في تخفيف حدة الصراع في الفضاء . وهنا يجب التفريق بين التطبيقات التكنولوجية التي تقود الى الحد من السباق بقدرتها على الانذار المسبق وبالتالي توقع الرد الملائم ؟ وبين تلك التي تزعزع التوازن مثل الصواريخ المضادة للاقمار الصناعية واستخدام بعض الاقمار الصناعية التي تزيد من دقة اصابة الصواريخ . لاشك ان ايجاد حد فاصل بين النوعين عملية غير سهلة ولكن لابد من المحاولة اذ ان التكنولوجيا هي محايدة بحد ذاتها وتبقى الفكرة الكامنة وراء استخدامها .

ان البحث الثاني يهتم بالتطورات الحاصلة في مجال القوى الجوية . وخاصة ان التكنولوجيا قد لعبت دورا هاما في هذا المجال سواء من حيث نوعية الطائرات او الاسلحة المستخدمة فيها . فاستخدام الوسائط الالكترونية في مجال الاستطلاع والملاحة وتوجيه السلاح والمساعدة الهائلة التي تقدمها في اتخاذ القرار المناسب بسرعات عالية تثبت بدون ادنى شك مدى الفوائد التي قدمتها التكنولوجيا ؛ مما يقودنا الى توقع حروب المستقبل كحروب الكترونية ـ حروب بين نبضات الكترونية ـ خطة تسعى كل منها الى حماية صاحبها ومنع الآخر من الاستفادة من امكانات اجهزته .

في الثامن من شهر آب عام ١٩٣٤ كتب البروفسور « ليندمان » الى صحيفة « التايمز » يقول : « واذا لم نتمكن من ايجاد وسائل واقية ومن ثم انتقلنا الى سياسة الرد فان الاغراء بانتكون الاسرع بالرد سيكون كبيرا جدا ». وتكمن الحكمة في تطبيق التكنولوجيا في مجال انظمة السلاح التي تزيد من ثقة المقاتل وتجعله في مأمن من اي خطر لا ان ندخلها في تلك الانظمة التي تسمح بان يكون هذا الطرف اسرع بالرد من الطرف الآخر .

جوناثان الفورد
نائب مدير المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية

* * *



العقيدة العسكرية والتكنولوجيا

ستيفن كانبي

STEVEN CANBY

مقدمـة :

تعرض حلف شمالي الاطلسي منذ سنوات عدة لمشاكل عدة . ففي مطلع الستينات ادى الجدل الطويل حول استراتيجية الحلف ومستوى قواته ، الى انسحاب القوات الفرنسية من امرة القيادة العسكرية المشتركة . وبعد فترة ساد التوتر بين الولايات المتحدة الاميركية وحلفائها الاوروبيين بسبب الصعوبات التي تواجهها اميركا في ميزان مدفوعاتها وبالتالي تهديدها بتخفيض عدد قواتها العاملة في اطار الحلف . ومع اقتراب الحلف من الذكرى العشرين لانشائه واجه ميلا اميركيا شديدا نحو التخلي عن فكرة الاستمرار بتحمل نفس نسبة النفقات الدفاعية كما في السابق .

وفي صميم المناقشات كلها كانت مسالة التفوق على القـوة العسكريـة التقليدية لحلف وارسو، والتي بقيت، محور الاهتمام الاول للدول الاوروبية .

بالاضافة الى موضوع الدفاع النووي عن القارة القديمـة ، اذ ان عدم التوازن التقليدي بين قوات حلف شمالي الاطلسي وقوات حلف وارسو قد اصبح مسالة مسلما بها ، كما بقيت مسالة : « لماذا ينفق حلف شمالي الاطلسي مبالغ اكبر من حلف وارسو ومع ذلك يبقى اضعف في مجال القوة التقليدية »، دون حل لها .

ويهدف هذا البحث لايضاح هذه النقطة وبنفس الوقت طرح افاق جديدة لدور القوة النووية والقوة العسكرية التقليدية . ويسعى الى مناقشة موضوع ضرورة التعاون المتبادل بين العقيدة العسكرية والتكنولوجيا ، وكيف ان اعادة النظر بالعقائد تسمح لحلف شمالي الاطلسي بالتفوق على حلف وارسو بالمجال التقليدي ، وبان الاستخدام الصحيح للاسلحة الحديثة يمكن ان يعزز الدفاع. كما ويوضح هذا البحث بان اعادة تقييم القدرات التقليدية لحلف شمالي الاطلسي،كما نقترح،سوف يؤدي الى ازالة الكثير من الصعوبات التي تعترض الحلف واخيرا يطرح اطارا جديدا لمسالة الامن الاوروبي .

* * *

آ ـ استراتيجية حلف شمالي الاطلسي

ـ هل الدفاع التقليدي امر مرغوب به ؟

ترتبط كل استراتيجية بالغاية المنشودة والامكانات المتوفرة ويفضل ان تكون قادرة على ايجاد الحل المناسب لاي موقف طارىء دونما تعقيد .

كان حلف شمالي الاطلسي قديما قد تبنى استراتيجية الرد الكثيف في الفترة التي انفردت فيها الولايات المتحدة الاميركية بالسلاح النووي حيث تمتعت بامكانية توجيه الضربة القاصمة،وكان التهديد الاميركي بالضرب النووي كرد على اي عدوان سوفياتي يتمتع بمصداقية مؤكدة . ثم تحول حلف شمالي الاطلسي الى استراتيجية جديدة لاتزال سائدة تقول بالرد المرن والتصعيد المتدرج بالتعاون مع دفاع متقدم . فتحت هذه الاستراتيجية الجديدة مجالا لخلافات وتساؤلات لاحصر لها . فالرد المرن من حيث التعريف يعني القيام بعمل يتصف بالحذر ويفتقر الى الدقة في التحديد ، وهذا ماجعل الاوربيين تحت رحمة القرار الاميركي اي كالتابع لا الحليف المحترم . مما أثار نقاش حاد وطرحت افكار متعددة منها تشكيل القوة النووية المتعددة المستويات ولكن جذور المشكلة وهي ضعف القدرة العسكرية الاوروبية التقليدية بقيت بدون حل ، كما وجد البعض في هذه الاستراتيجية الجديدة ضعفاً في مجال التصرف خلال الازمات .

وعلق الجنرال « غالوا Gallois » وسواه على ذلك بقوله :

« ان استراتيجية الرد المرن دونما قدرات تقليدية كافية ، ليست سوى تسمية جديدة لوضع قائم . فاذا ماقلنا للطرف الآخر بان الرد النووي لن يكون فوريا وان كل محاولة خرق من طرفه ستتصدى له قوات ضعيفة فمما لاشك

فيه انه لن يرتدع . وان هجوما خاطفا مدرعا يحقق نصرا مؤكدا قبل ان يتخذ اي اجراء رادع او تصعيد متوقع ، وقد يؤدي في افضل الحالات الى اقتطاع جزء من الدولة الالمانية ثم يتوقف القتال . في حين لو توفرت قوة تقليدية كافية قادرة على التصدي وتحطيم الهجوم فان ذلك سوف يعطي للرد المرن قيمة فعلية ويسمح باتخاذ القرار المناسب . اما الدفاع التقليدي الضعيف فهو ليس سوى شبه استراتيجية يؤمن فقط امكانية الانذار والاعلام وهذا ماتعترض عليه الدول الاوروبية » .

وعلى فرض عدم توفر القوات التقليدية الكافية لدى حلف شمالي الاطلسي ، مع العلم ان كافة الدلائل تشير الى عدم احتمال ذلك ، مالم يبدي الاتحاد السوفياتي كرما زائدا ويخفض تعداد قوات حلف وارسو ، ماهي الخيارات الاخرى ؟ وهل هناك بديل فعال لاستراتيجية الرد المرن ؟ اذا اخذنا بعين الاعتبار الآراء الفرنسية ، خاصة وان فرنسا هي المعارض الاول لهذه الاستراتيجية ولاسباب منطقية ، لكان الجواب حتما سلبيا .

فالفرنسيون يريدون من القوات التقليدية للحلف ان تكشف نوايا العدو، وهذا الراي وان كان مماثلا للراي الاميركي ظاهريا فانه يختلف عنه جوهريا ، اذ ان الاميركيين يعتبرون هذه القوات وقتالها مرحلة أولية ريثما يتخذ القرار بالرد المرن . اي تقاتل هذه القوات دونما قرار متخذ بعد بالرد او التصعيد او عدم الرد وذلك ريثما تتكشف نوايا العدو . ومن الصعب جدا التعريق في المرحلة الاولى بين حادث حدود وبين هجوم مدبر . في حين يرى الفرنسيون ان كل عمل عدائي يجب ان تتصدى له فورا القوات التقليدية ويكون الرد النووي فوريا ايضا ضد كل عدوان واسع النطاق كما نصت الاستراتيجية السابقة للحلف الاطلسي .

ان هذا المفهوم الفرنسي يكتفي بتواجد قوات تقليدية قليلة نسبيا مع تمتعها بصلاحية التصدي الفوري لاي هجوم معاد شريطة ان ياتي الرد النووي فوريا ايضا كما كان بموجب الاستراتيجية القديمة . ذلك ان التحول الى استراتيجية الرد المرن لم يرافقه زيادة حجم القوات التقليدية بل على العكس

هناك قناعة لدى بعض المسؤولين الاميركيين بعدم وجود فعلي للفرق الكبير بين انقوى التقليدية للجانبين .

وباختصار ينحصر الخلاف الفرنسي الاميركي بمسألة جدلية هي من يملك صلاحية الرد النووي اميركا ام دولة اوروبية كفرنسا مثلا .

ـ هل تفي القنابل النووية التكتيكية بالغرض ؟

تعتقد اوساط حلف شمالي الاطلسي ان بالامكان التغلب على ضعف الحلف بالقوى التقليدية باستخدام الاسلحة النووية التكتيكية . ولهذه الاسلحة من وجهة النظر الاوروبية قيمة رادعة خاصة لكونها تعتبر حلقة اتصال بين الاسلحة التقليدية والاسلحة النووية الاستراتيجية وبنفس الوقت يخشى الاوروبيون هذه الاسلحة لانها تفرض حربا نووية على المسرح الاوروبي . في حين ينظر اليها الاميركيون كقدرة قتالية كامنة لاتستخدم الا ضمن الرد النووي الاستراتيجي . والخلاف مستمر .

وقد اثارت الاحداث الاخيرة وميل الولايات المتحدة الاميركية نحو تخفيض حجم القوات التقليدية في المسرح الاوروبي بسبب زيادة النفقات ، الى طفو مسالة امكانية التكنولوجيا وخاصة الاسلحة النووية على تخفيض النفقات الدفاعية ، الى السطح وبالتالي قدرتها على تغطية النقص في القوى التقليدية. يدعي البعض ان استخدام الاسلحة النووية الحديثة « النظيفة » مع دقة الاصابة التي تتمتع بها يمكن ان تفي بالغرض لقدرتها النارية الكبيرة بالاضافة الى تسببها باضرار جانبية اقل من التكتيكية .

ولكن في حين ان هذه الاسلحة متميزة من الناحية الفنية فان قدرتها العسكرية ادنى قيمة . ولابد من التساؤل هل باستطاعة هذه الاسلحة الجديدة فعلا ان تعزز القوة الرادعة تجاه الاتحاد السوفياتي وهل تعوض عمليا من القوى التقليدية ؟ .

يتم الردع عادة وفق اسلوبين : بالتهديد بالعقاب لكل عمل عدواني او بعدم اعطاء الخصم عذرا لتحقيق اهدافه . وقد اعتبرت الاسلحة الاستراتيجية وسيلة العقاب اما القوات التقليدية فهي لحرمان العدو من فرصة للعدوان .

ويلعب الخوف من العقاب بين الدولتين العظميين دورا مختلفا بينهما عن الدور الذي يلعبه بالنسبة لحلفائهما الاوروبيين . فعلى الرغم من ان الاضرار الجانبية تكون عادة أقل من الاسلحة النووية التكتيكية فهي قوة رادعة بالنسبة لدول وسط اوروبا ولكنها بنفس الوقت تمس الجيوش الميدانية للدولتين العظميين وبالتالي قد تكون مرحلة اولية على طريق تبادل القصف الاستراتيجي. ولو قبلنا براي الذين يدعون ان الاسلحة النووية النظيفة لن تكون سوى امتداد للحرب التقليدية فعلينا عندئذ اعتبار الاسلحة النووية التكتيكية وقد فقدت دورها لن تعود قوة رادعة بالعقاب . اما اذا كان استخدام الاسلحة الحديثة النظيفة سوف يؤدي بالتصاعد الى استخدام الاسلحة النووية التكتيكية فان احتمال نشوب حرب شاملة يصبح أكثر احتمالا .

يمكن القول بأن هذه الاسلحة الحديثة سوف تلعب من حيث الردع نفس دور القوات التقليدية شريطة تحسين امكانياتها القتالية بالنسبة لحلف وارسو لتكون قادرة على الاقل لايقاف اي هجوم من قبل قوات حلف وارسو قبل اجتيازها لنهر الراين . وعلى كل متعمق في الموضوع ان يعترف بان الاعتماد على هذه الاسلحة الجديدة سوف يؤدي الى وضع اسوا من السابق بالنسبة لحلف شمالي الاطلسي . ولا يمكن ان يكون فعالا مالم يرتبط استخدامها تلقائيا باستخدام الاسلحة النووية الاستراتيجية ..

اما من حيث قدرتها على الردع فذلك مقبول فقط في حالة انفراد احد الطرفين بامتلاكها وهذا لاينطبق على الواقع . فان حلف شمالي الاطلسي وحلف وارسو كلاهما مسلح الى درجة الاشباع كما يمتلك الاول انظمة رمي افضل نوعية لكن القوات السوفياتية افضل تنظيما وأكثر قدرة على خوض الاعمال القتالية . من جهة أخرى نجد ان خطوط مواصلات حلف شمالي الاطلسي شديدة التعرض وكذلك قواعد الامداد ومقرات القيادة والسيطرة .

وربما بسبب كون حلف الاطلسي يخضع للوصاية الاميركية فان قادته يعتبرون القوى النووية عبارة عن قوة نارية اكبر لا اكثر . وربما لهذا السبب او للخبرات المكتسبة يميل منظرو الدفاع الغربي الى اعتبار الاسلحة النووية التكتيكية كجزء من القوة النووية ككل .

أما الاتحاد السوفياتي الاقل تأثيرا بالنظريات فانه ركز اهتمامه على دمج الاسلحة النووية ضمن اطار النظام القتالي العام . ولدى الاتحاد السوفياتي قوة قليلة نسبيا من الوحدات ذات القدرة الحركية العالية (١٨ كتيبة بتعداد ١٢ الف رجل في الفرقة الميكانيكية وحوالي ١٧ الف رجل في الفرقة المعززة ـ يقابلها لدى القوات الاميركية ١٢ فرقة بتعداد ١٦ الف رجل في الفرقة الميكانيكية و ٤٨ الف رجل في الفرق المعززة وكلها موجودة على مسرح العمليات) .

كما ان قوات الاتحاد السوفياتي قد اعتمدت تكتيك الهجوم الخطي بهدف الاقتراب من خط الدفاع المعادي وهذا التكتيك تصعب تقدير الاتجاه الرئيسي للهجوم في حين يعتمد حلف شمالي الاطلسي التشكيل الثلاثي وحدتين الى الامام وواحدة في الخلف ـ وقد جهز السوفيات دباباتهم لخوض حرب في ظروف القصف النووي كما دربوا قواتهم على القتال في مثل هذه الظروف وذلك اكثر مما تفعله قيادة حلف شمالي الاطلسي .

وطالما احتفظ حلف شمالي الاطلسي على تنظيمه الحالي فان استخدام الاسلحة النووية التكتيكية لن تحقق النتائج المرجوة . ولا يمكن للاسلحة النووية الجديدة رغم دقة اصابتها تعديل العجز في الدفاع الغربي . فان استخدام الاسلحة النووية التكتيكية المتطورة (المحسنة) ضد اهداف معينة بدلا من القصف العام لمنطقة ما ، يؤدي حتما الى الاقلال من الاضرار الجانبية ويسمح بتقييد استخدام الاسلحة النووية . ولكنها بنفس الوقت مطلوب منها ان تعوض النقص في القوى التقليدية ، والموضوع ليس بقدرتها النووية ودقة اصابتها بل يرتبط بالمزيج من دقة الاصابة وتحديد موقع الهدف بدقة وفي الوقت المناسب . وبدون ذلك ستؤدي رغم دقتها الى اضرار جانبية كبيرة كما لايمكن استخدامها عندما تكون القوات المعادية قد اقتربت من القوات الصديقة بالاضافة الى ضعف تأثيرها على الدبابات المعادية مالم تستخدم بكثافة وذلك لضعف نصف القطر الخطر ولاعتماد السوفيات على الانتشار الخطي .

وبالنتيجة نجد ان الاسلحة التقليدية اصبحت اكثر فنية وقادرة على تحقيق نتائج افضل ، خاصة بعد ان توفرت لها امكانية دقة الاصابة ـ مثل الاسلحة المضادة للدبابات وتزايد قدرة المدفعية وهي بالتالي قد تكون من حيث

الفعالية مماثلة للاسلحة النووية التكتيكية ، واكثر منها في الصراع القريب ضد الدبابات . ولكن هذا يتطلب اعدادا اكبر من الاسلحة التقليدية وهي ارخص ثمنا ، اما تدني قدرتها النارية بالصلية الواحدة بالقياس الى الاسلحة النووية فذلك غير مهم عندما يكون العدو قد وصل الى مدى النظر . هذا لايعني ان الاسلحة النووية التكتيكية لم تعد مفيدة بل هي تتمتع بميزة خاصة ضد تجمعات الدبابات في مناطق حشدها اذ في مثل هذه الحالة تكون الاسلحة التقليدية غير فعالة مطلقا ، ولكننا نريد ان نوضح ان تفوقها على الاسلحة التقليدية قد تدنى خاصة اذا اخذنا بعين الاعتبار ان لاستخدام الاسلحةالنووية قيود وقواعد وتتطلب وقتا لتحديد الاهداف المناسبة لها .

الصعوبة الاخرى التي تعترض استخدام الاسلحة النووية الصغيرة والنظيفة هي افتراض توفر اسلحة مماثلة لدى الطرفين وان كل منهما يعمل ويتصرف بموجب قواعد واحدة ، وهذا وضع غير وارد . اذ بما ان الاتحاد السوفياتي قد عمد الى نشر اسلحة تدمير شامل في أراضيه فان هذا الوضع يقضي على كل امل بخوض حرب نووية محدودة،اما اذا عمد الاتحاد السوفياتي الى تعزيز قواته الميدانية بأسلحة نووية صغيرة ونظيفة عند ذلك تصبح قوات حلف شمالي الاطلسي التقليدية غير كافية ونعود من جديد الى عجز الاطلسي في التصدي التقليدي لحلف وارسو . ولا يمكن لنوعية السلاح الغربي ان يغطي العدد الاكبر من الاسلحة الشرقية وان كانت اقل دقة وتطورا .

ان المدافعين عن فكرة امكانية التعويض عن النقص في القوات التقليدية لحلف شمالي الاطلسي بواسطة الاسلحة النووية التكتيكية يعتمدون علىعاملين: الاول هو تغطية نقص القدرة البشرية بالقدرة النارية وبالتالي عملا بمبدأ نسبة ١ الى ٣ بين الدفاع والهجوم . وكلا العاملين غير دقيق اذ ان القدرة النارية القوية يمكن فعلا ان تعوض النقص بالقدرة البشرية او ان الطرف الآخر لايملك هو نفسه قدرات نارية قوية ، ولكن الواقع الفعلي ان الخصم الحالي قادر اما على تبديل اسلوب قتاله او على شل هذه الاسلحة باسلحة مماثلة وبالتالي تفقد هذه الحجة مبرراتها .

وقد اثبتت كافة الدراسات ان هذا الحل سيؤدي حتما الى زيادة عدد الاسلحة النووية التكتيكية لدى الطرفين مما سيؤدي الى زيادة الخسائر.

اما قاعدة اضطرار المهاجم الى حشد ثلاثة اضعاف حجم القوات الدفاعية وبالتالي تكثيف قواته على محاور معينة مما يجعلها هدفا أثمن للقصف النووي التكتيكي ، ان هذه القاعدة تفترض لجوء المدافع الى تحصين مواقعه بقوة مما يقوده الى خوض معارك ثابتة وتحرمه من امكانية المناورة بالاضافة الى جعل كامل قواته في مواقع محددة مسبقا وبالتالي معرضة للقصف بدقة . وعندما يكون الدفاع ضعيفا بالقوى التقليدية فان ضربة نووية مفيدة لفتح ثغرة في خطوط القوات المهاجمة تسمح للقوى المدرعة المدافعة بالحرف ؛ وفي وضع حلف شمالي الاطلسي الحالي فان كل عمل من هذا النوع اكثر ضررا اذ ان العدو سوف يقوم هو نفسه بضربة مدرعة خاطفة ويستغل القصف نفسه ، قد يتمكن المدافع من ذلك في عمق الدفاع وعندئذ يكون مقيدا باماكن تواجد قواته مما يصعب عليه اختيار الهدف بحرية .

باختصار طالما تمسك حلف شمالي الاطلسي بموقفه العسكري هذا فان مبدا التعويض عن النقص بالقوى التقليدية بالاسلحة النوويةالتكتيكيةمبدا غير واقعي .

وبدون قدرة دفاعية تقليدية عالية القدرة والمستوى فان حلف شمالي الاطلسي سيفتقر الى امكانية استخدام القوى النووية التكتيكية بفعالية . اما لو توفرت لحلف الاطلسي قوى تقليدية كافية عندئذ لاحاجة للاسلحة النووية لتعوض النقص . وذلك لايعني انكار ميزات هذه الاسلحة اذ انها تلعب حينئذ دور حلقة في جهاز الردع النووي العام ضد اي استخدام لحلف وارسو للسلاح النووي .

لاشك ان الاسلحة النووية التكتيكية الجديدة مغرية من حيث قدراتها: دقة في الاصابة ، تاثيرها الاشعاعي السريع التاثير ، قدرتها على الاختراق لتدمير او تصديع بعض الاهداف كالجسور ــ وهي بالتالي تعتبر واسطة فعالة تدعم متخذي القرارات في الازمات وفي اطار استراتيجية الرد بالقوة . ويمكن ان

نستنتج من ذلك ان استراتيجية الردع المبنية على تعويض نقص الفوات بالاسلحة النووية الجديدة وهم كبير ، ولا بد لحلف شمالي الاطلسي من تبني استراتيجية تعتمد على قوات فعلية ليتمكن من تبني استراتيجية الرد المرن . ان نظام التوازن المبني على علاقات نسبية غير متوازنة حيث يسعى حلف شمالي الاطلسي الى ردع الاتحاد السوفياتي بالقصف النووي الاستراتيجي بينما السوفيات يردعون الولايات المتحدة الاميركية بالقوات التقليدية وبالصواريخ المتوسطة المدى والموجهة نحو اوروبا الغربية كان وما زال غير مقبول ومدعاة للقلق . واذا ماشئنا فعلا ان يكون هناك توازن حقيقي فان على حلف شمالي الاطلسي أن يسعى الى موازنة قوانه بقوات حلف وارسو في كل من الحقول الثلاثة (الاستراتيجي والنووي التكتيكي والقوى التقليدية) ولا يمكن لحلف شمالي الاطلسي الاستمرار بالادعاء بأنه قادر على تغطية عجزه بالقوى التقليديةبواسطة الاسلحة النووية التكتيكية . بل يمكنه التغلب على ضعفه بالقتال وبادارة الازمات وذلك بزيادة قدراته التقليدية والنووية بالاعتماد على التكنولوجيا الاميركية . ولكن يبدو حتى الآن ان انشاء وتطور قوات تقليدية قوية وكافيةفي اطار حلف شمالي الاطلسي غير وارد حاليا وبالتالي فان الحلول العملية الآن يجب ان تركز على تخفيض تكاليف القوات التقليدية ضمن اطار قدرة فعلية للرد المرن مع سياسة رادعة تعتمد على الردع المتدرج وقوى دفاعية متقدمة .

– هل يمكن عمليا الدفاع تقليديا ؟

في الوقت الذي يبدي فيه الاوروبيون رغبة بالحصول على قوة كافية لتطبيق سياسة الرد المرن وقوات تقليدية قوية فان تحقيق ذلك يصطدم بخمس عقبات :

– الميزانية والقدرة البشرية ، ضعف قوة الردع ، القدرة التدميرية في حرب تقليدية ، عدم توفر قوات برية كافية وشكوك حول قبول الاتحاد السوفياتي بفكرة الحرب المحدودة .

كانت النفقات اللازمة لانشاء قوات تقليدية كافية هي العائق الاول لذلك دافع الجنرال « فوركية «Fourquet» » عن الفكرة القائلة بان مهمة القوات

التقليدية تنحصر بكشف نوايا العدو فقط ورفض القبول بقوات تقليدية كبيرة بداعي ان ذلك سيشكل عبئا كبيرا على ميزانيات دول حلف شمالي الاطلسي .
وكانت الفكرة تعترض زيادة عدد قوات حلف شمالي الاطلسي بنفس التنظيم والتشكيل القائم حاليا . ولكن مضاهاة الاتحاد السوفياتي بالقوه التقليدية يتطلب اكثر من مضاعفة قوات حلف شمالي الاطلسي البريه في المنطقة الوسطى بسبب تفوق الاتحاد السوفياتي أيضا من حيث التنظيم والقدرة على التعبئة. وهذا سوف يضاعف نفقات الدفاع الاوروبية ويؤدي الى رفع مستوى مساهمتها الى مستوى المدفوعات الاميركية . وهو الوضع المستحيل للاقتصاد الاوروبي ومرفوض حتما .

لحسن الحظ ليس من الضروري مضاعفة الميزانية لزيادة حجم القدرة البشرية والتسليحية اذ الواقع ان لدى دول حلف شمالي الاطلسي في وسط اوروبا بالاضافة الى فرنسا قوات مسلحة وميزانيات أضخم مما لدى حلف وارسو . ولا يمكن الحل بالتباكي على الميزانيات ولا باعتبار موضوع الضعف غير وارد والدعوة الى القبول بالوضع الراهن كما يدعي بعض المحللين الاميركيين ان المسألة كلها محصورة في تبني حلف شمالي الاطلسي تنظيما خاطئا لقواته ، تماما كما فعل خصوم المانيا خلال الحرب العالمية الثانية . وباستطاعة هذا الحلف تحويل قدراته البشرية الحالية وبميزانيته الراهنة الى قوة تعادل قوة حلف وارسو شريطة ان يعيد دراسة وتقويم كافة النواحي التي تجاهلها طويلا واستنباط طريقة افضل لاستثمار ميزانيته ومعرفة مايحتاجه من قوات فعلا من حيث النوعية والعقيدة التكتيكية ومن ثم اعادة النظر في التنظيم الحالي والاستفادة من القدرات التكنولوجية للتغلب على بعض العقبات القائمة .

اما الاعتراض الثاني الذي أثير ضد فكرة انشاء قوات تقليدية اقوى فهو الخوف من ان يؤدي ذلك الى اضعاف القوة الرادعة . في حين ان جوهر استراتيجية الرد المرن يكمن في زيادة قوة الردع . ويقول « هنري كيسنجر Henri , Kisinger » : « اذا امكننا الثبات في العمليات العسكرية يكون دفاعنا قد حقق أهم أهدافه » . وهو يعتقد ان امكانية ايقاف العدو على الارض لاتعني لهذا الاخير فقدان الامل بالانتصار بل خشية من فقدان مايملك .

أن الفكره الاميركيةُ بتخفيض القوات واضعاف قوة الردع يدل على ان المتاكل انتي يتعرض نها حلف شمالي الاطلسي ليست فقط ماليه او مبنية على مبدا ضعف الميزانية . وأولئك الذين يبرزون فكرة ضعف القوة الرادعة عليهم منطقيا ان يدعموا الفكرة الاميركية بتخفيض حجم القوات التقليدية . وعليهم ان ينادوا بعودة استراتيجية الرد المكثف والفوري او على الاقل يتبنون الرأي الفرنسي حول الرد المرن . ولكن يبدو ان قلائل هم الذين يودون العودة الى مثل هذه الاستراتيجية او القبول بالرأي الفرنسي . وأقل منهم من يود تعزيز القوى التقليدية لتوازي قوة الاتحاد السوفياتي . ونجد ان فرنسا هي المعارض الاقوى للفكرة الاميركية بتخفيض القوات وبذلك نجد ان أمن حلف شمالي الاطلسي في مهب الريح .

الراي الثالث هو ان أية حرب تقليدية ستؤدي الى دمار هائل بالنسبة لاوروبا وهذا مشابه لمن يرى في ذلك اضعاف قوة الردع . فاذا كانت اية حرب مدمرة اليس من الافضل تخفيض نسبة احتمال وقوعها من التشجيع على قيام حرب تقليدية ؟ هذا الخط من التفكير يفترض حربا طويلة الامد مثل الحرب العالمية الثانية . وهذا مناقض للفكرة الاساسية من وجود اسلحة نووية والتفاوت بين قوى الحلفين . وان حربا تقليدية قصيرة الامد في أوروبا بغض النظر عن كثافة القوات المشتركة بها ، لن تكون مدمرة للسكان المدنيين وللقواعد الاقتصادية كما كانت حروب الماضي . فالحرب العالمية الثانية كانت كارثة بسبب طول امدها ، والتخطيط لتدمير القدرة الصناعية العسكرية لدى الخصم والتمسك بخطوط دفاعية متتالية والتقدم الكثيف للقوات الحليفة ضد الدفاعات المعادية وتحت نيران مدفعيتها . اما في الحرب قصيرة الامد فان تكتيك التمسك بالارض وانسحاب قوات حلف شمالي الاطلسي من خط الى آخر لن يكون ذي فائدة بالنظر للمساحة القليلة لاوروبا الغربية . وان التدمير الكامل للقدرة الصناعية في المدن لامعنى له ولن يقوم الاتحاد السوفياتي بذلك خاصة اذا كان منتصرا ، اما اذا شعر باحتمال الهزيمة فانه يجد دافعا اقوى لتجنب ذلك . ونجد الآن ان القوى العسكرية صغيرة اذا ماقيست بالاعداد الهائلة التي كانت موجودة خلال الحرب العالمية الثانية . وليس لدينا حاليا سوى

الولايات المتحده الاميركية التي تملك قدره نقل جوية كبيرة وهي وحدها تمتلك امكانية امداد عمليات قصف مدفعي مكثف .

كان لدى الاتحاد السوفياتي سابقا اعدادا كبيرة من الفرق المدفعية ولكنها خفضت كثيرا (واستعيض عنها بلا شك بالاسلحة النووية) . بالاضافة الى ذلك فان عملية القصف البعيد المدى بالطيران او الصواريخ اصبح باهظ التكاليف مما يجعل كل طرف يتردد كثيرا في استخدامه ضد أهداف غير عسكرية الا اذا كان القصف نوويا . وبهذا فان عمق الاضرار الجانبية الناجمة عن العمليات العسكرية بالقوى التقليدية سيكون محصورا في مسارح العمليات (مع العلم ان هذه المسارح ليست ثابتة في موقع معين) . ويمكن للامكانيات التكنولوجية خلال الثمانينات ان تعدل هذه الاستنتاجات بتقديم امكانيات تدميرية بكلفة اقل وقدرة على النقل الى مسافات عميقة تبلغ عدة مئات من الكيلومترات اعتبارا من الخطوط القتالية ومع ذلك يبقى كل هذا جزءا يسيرا من الدمار الذي سببته الحرب العالمية الثانية ويمكن تعويضه بمساعدة الحلفاء ، وأبعد من ذلك فان هذه القدرة التدميرية غير متوازنة بمعنى ان الدفاع قد يكسب من تدمير شبكة المواصلات في المناطق الخلفية للعدو في حين نجد ان المهاجم بتدميره شبكة مواصلات المدافع لن يجديه اذ ان ذلك سوف يعرقل تحركاته الخاصة .

اخيرا فانه يمكن جعل الخطوط الامامية للدفاع على مقربة من الحدود الجغرافية شريطة توفر امكانية فعلية لتطبيق استراتيجية الرد المرن .

اما الاعتراض الرابع على تعزيز القوات التقليدية هو عدم امكانية مقارنتها او ملاءمتها للحرب النووية وقد عبر عن ذلك الجنرال غالوا بمساندة الدكتور كيسنجر بقوله :

« من السهل البرهنة بأنه لايوجد قاسم مشترك بين النظامين ـ الاسلحة التقليدية والاسلحة النووية ـ ولاشك ان المستقبل سيشهد انتصار الثانية على الاولى حتما . » ثم يتابع الجنرال غالوا شرحه ليوضح الاسباب الداعمة لرايه فيقول :

« من الواضح ان نظام الاسلحة التقليدية يعتمد على تكديس الرجال

والعتاد وأن قدرته النارية تتناسب وحجم القوات المحتشدة . وهذا يتطلب جهازا اداريا قادرا على تحريك كميات هائلة من العتاد الثقيل . وهو يعتمد على عامل الزمن البطيء نسبيا مما يتيح الفرصة لتعبئة القوات والاسراع في تصنيع الاسلحة واستغلال الامكانات الاقتصادية .

ان راي الجنرال غالوا هذا يوضح مدى الاعتقاد الراسخ لدى حلف شمالي الاطلسي لخوض حرب المستقبل استنادا لخبرات الحرب العالمية الثانية . هذه هي بوضوح مشكلة الحلف الاطلسي . فلا ضرورة لخوض الحرب التقليدية بهذا الاسلوب ومن المؤكد ان الاتحاد السوفياتي لايفكر بالقتال بهذه الطريقة. أكثر من ذلك هناك تقارب ملموس بين التكتيك الدفاعي الملائم للحرب المدرعه وللحرب النووية التكتيكية . وان كنا نتفق مع الجنرال غالوا بأن تكتيك الحرب العالمية الثانية وتكتيك الحرب النووية مختلفان تماما .

الاعتراض الخامس على تقوية القوات التقليدية مبني على الفرضية القائلة بأنه طالما ان القوات السوفياتية تنظر الى الصراع في اوروبا كحرب نووية فان ذلك ينفي كل ضرورة لامتلاك قوات تقليدية قوية وان عملا كهذا ليس سوى اضاعة للوقت والمال . وفي الوقت الذي عدلت العقيدة السوفياتية في السنوات الاخيرة هذه الفكرة فان هذا الاعتراض يفقد جوهر مهام القوات التقليدية في اطار استراتيجية الرد المرن .

كانت القوات التقليدية في السابق هي الوسيلة والواسطة التي تدافع الدولة بها عن نفسها . اما في الصراع بين الدول النووية فان دور هذه القوى لم يعد كذلك . بل اصبحت وسيلة للتخفيف من خطر التهديد وتقديم الامكانيات الضرورية للسيطرة والمناورة في الازمات . وبالتالي فان قوة نووية بدون قوة تقليدية هي سيئة في اي صراع ضد قوة نووية اخرى . ولهذا نقول ان اية قوة تقليدية قوية في اوروبا ليست وحدة لخوض الحرب بل لمنع الروس من الحصول على اي مكسب في اية ازمة قد تنشب وفي صراع لوي الذراع.

هناك سبب آخر لضرورة توفر قوات تقليدية قوية وهو عدم القبول مسبقا بحتمية كون الحرب في اوروبا نووية . وبالامكان الموافقة على ان

استراتيجية الرد المرن وتحديد حجم القوات التقليدية وبالتالي قدرة تدميرية أقل لحرب قادمة مقبولة لو أن الاتحاد السوفياتي سعى من جانبه الى الحد من قواته ولكن من ناحية أخرى يمكن للمرء ان يعتقد ان عدم التوازن بين المواقف الاستراتيجية وبين القوات العسكرية التي تخدمها سيؤدي حتما الى عدم استقرار وتصعيد سريع نحو حرب نووية . وطالما ان القوات التقليدية السوفياتية منظمة ومهياة للسيطرة على اوروبا الغربية بسرعة وبحرب قصيرة الامد فمن المستبعد ان يشعر حلف شمالي الاطلسي بالاطمئنان وعليه اما سيشعر بدافع قوى لاستخدام الاسلحة النووية للتصدي للهجوم السوفياتي او ان الاتحاد السوفياتي سوف يسبقه في ذلك . وان قوات تقليدية قوية مع امكانيات حقيقية للرد المرن هما فقط القادران على تخفيف الضغوط هذه وتجعل السلاح النووي ميزة لكلا الطرفين اي للردع .

باختصار ان مشاكل حلف شمالي الاطلسي هي استراتيجية الرد المرن نابعة ليس من فقدان المنطق بل بسبب عدم صحة الاستفادة منها . ان استراتيجية الرد المرن المبنية على فكرة كشف النوايا اولا هي استراتيجية تفترض مسبقا موقف للضعف .

وسوف تؤدي فقط الى زيادة المشاكل الداخلية لحلف شمالي الاطلسي وبالتالي استمالة الوصول الى حل لها . ان الاستراتيجية الصحيحة للرد المرن، طالما ان الاقمار السوفياتية تملك هذه القدرات ، تكون واقعية فقط عندما يمتلك حلف شمالي الاطلسي قوة دفاعية تقليدية كقوة قادرة على التصدي للقوات التقليدية لحلف وارسو . ولا شك ان استراتيجية مبنية على توازن عسكري في المستويات الاستراتيجية الثلاث هي ضرورية حتما للدفاع عن أواسط اوروبا ولاحتمال تجنب الحرب اصلا .

ـ اعادة التنظيم :

نتيجة لكل ماسبق ذكره على حلف شمالي الاطلسي ان يعيد تنظيم قواته للتصدي لحرب يفرضها طرف آخر قوي ولحل التناقض الاساسي بين القدرات العسكرية والضعف القتالي . اما الحل البديل لاعادة التنظيم فهو اضطرار

حلف شمالي الاطلسي اما لزيادة ميزانياته الدفاعية او القبول بواقع الضعف. هذا التخلف الناجم عن كون عقيدته القتالية وتنظيماته لم تعد صالحةللعمليات الحربية على المسرح الاوروبي . وعلى التنظيم والتدريـب القتالي للقوات ان يتلاءم مع الشروط الراهنة حاليا . خاصة مـن حيث التنظيمات الاميركيـة والبريطانية المتعددة المهام التي أثرت على التفكير والمفاهيم العسكريه الاوروبية (والتي هي نفسها تأثرت بالمفاهيم العسكرية الفرنسية في الفقرة التي سبقت الحرب العالمية الثانية) . ولا تتلاءم مع الوقائع الراهنة في اوروبا . لانها موجهة نحو حرب مشاة لا نحو هجوم مدرع سريع كما جهز حلف وارسو نفسه له . فالاعتدة الحربية المهيأة والمجهزة للقتال في ظروف جوية وجغرافية قاسيةوالتي وضعها الولايات المتحدة الاميركية لتلبية احتياجاتها الخاصة وفقا لسياستها ، هذه الاعتدة مرتفعة الثمن وليست ضرورية للقتال في الظروف الاوروبيةالغربية والوسطى . كما ان لاضرورة لجعل التنظيم مستقل تماما كالحملات العسكرية التي تحمل معها تموينا يكفيها لمدة طويلة من الزمن . اذ ان القوات المنتشرة في أوروبا لاتحتاج لتوازن اداري اذ ان الموارد المحلية كافيـة لها وان الحروب المدرعة لاتتطلب تموينا وتنظيما اداريا مثلها مثل المشاة العاملة عبر الحدود . بالاضافة الى ان الصراع القصير الامد يتطلب عمليات صيانة أقل (اذ يمكن ترك بعض الاعتدة المدمرة) ويحتاج لعدد اقل مـن المهندسين والفنيين (وسيكون الطرق والخطوط الحديدية أقل تعرضا للتدمير) وبصورة عامة قوات ادارية أقل من اية حرب طويلة الامد . كما ان القوات العسكرية المعدة لخوض حرب قصيرة الامد قادرة عند اللزوم على خوض حرب طويلة الامد بعد امدادها . في حين ان قوات معدة لحرب طويلة الامد ـ تكون عادة اضعف في حرب قصيرة الامد ـ لن تستطيع الاستفادة بشكل قوي من جميع قواتها الكبيرة الحجم .

اما قوات الاتحاد السوفياتي المجهزة غالبا باعتدة وأسلحة اقدم وأدنـى نوعية فانها قد هيأت نفسها لخوض النوع الوحيد من الحرب المحتملخوضها ضد قوات حلف شمالي الاطلسي ـ حربا قصيرة الامد بقوات كثيفة تحرمحلف شمالي الاطلسي من امكانية تعبئة موارده المتفوقة في زمن قصير . لقد تغلب الاتحاد السوفياتي على تخلفـه النوعي بتفوقه العددي في الوحدات القتاليـة

وبعقيده قتالية تستغني عن الاعتدة المتطورة . وجعل تنظيماته ملائمة لعقيدته القتالية المبنية على موجات هجوم خطية الملائمة للهجوم الصاعق . أخيرا في الوقت الذي اتجهت جيوش حلف شمالي الاطلسي نحو النموذج الاميركي في الاحتياط ونظام التبديل قام الاتحاد السوفياتي بالتمسك وتطوير العقيدة القتالية المدرعة الالمانية وحسن نظام التعبئة الذي يؤمن حشد جيوش كبيرة للتغلب على خصومه عبر سلسلة من المعارك السريعة .

وليس لدى الاتحاد السوفياتي مبدئيا خيار آخر سوى الحرب الصاعقة وعلى قوات حلف شمالي الاطلسي ان تهيء نفسها للتصدي لمثل هذه الحرب.

وعلى حلف شمالي الاطلسي ، كمدافع ، ان يجهز نفسه بقوات مناسبة واقل كلفة لانه ليس بحاجة الى التخطيط لامتلاك قوات عسكرية هجومية ماعدا الهجمات المعاكسة ضمن اطار الخطة الدفاعية الاستراتيجية وعليه السعي للاستفادة من التكنولوجيا الحديثة لتدعيم القدرة الدفاعية لا الهجومية . مثلا يمكن للقوات المدافعة ان تحدد أهدافها مسبقا كما تستطيع الاعتماد على مخزون مهيا للتموين وتعبئة الموارد المدنية في حين ان القوات المهاجمة تحتاج الى نظام اداري وامداد دائم لتتمكن من متابعة القتال بصورة مستمرة مع تقدمها كما تحتاج الى جهاز كبير لترميم محاور الطرق المدمرة في عمق الاراضي المعادية . ونظرا لان الاتحاد السوفياتي قد جهز قواته للقيام بخرق مدرع ضيق فان ذلك يسمح لقوات حلف شمالي الاطلسي بامكانية التصدي له دونما الحاجة الى التضحية بجهاز كبير للتعبئة . باختصار نقول ان تحويل القدرات الحالية لحلف شمالي الاطلسي المعدة للقيام بعمليات هجومية عبر الحدود ، الى قوات فرقية متخصصة مع التخطيط لامكانية استيعاب الاحتياطات في اطار الفرق العاملة سوف يعطي نتائج افضل ويقدم قدرة أكبر للردع وللامكانيات القتالية واستخدام افضل للسلاح النووي وكل ذلك بتكاليف اقل . وما يلي سوف يركز على الاسلوب الممكن اتباعه لبلوغ هذه الاهداف .

ب ـ المفهوم القتالي السوفياتي

ـ قدرات عسكرية وموارد اقل

على الرغم من تمتع حلف وارسو على تعبئه قواته بمدة اسرع من قدرة حلف شمالي الاطلسي لكنه من جهة اخرى يملك موارد ادنى . فاذا كان الموقف فعلا كذلك لماذا يسود الاعتقاد لدى حلف شمالي الاطلسي بأنه غير قادر على الحاق بحلف وارسو من حيث القوة التقليدية ؟ . الجواب على هذا التناقض يكمن في الناحية التنظيمية . فالجانب الاضعف من حيث الموارد لايستطيع القتال وفق نفس مفاهيم الخصم الاغنى ويتوقع النصر : وعليه حلق تفوق بالقوات والتنظيم ليحقق قوة كافية لدعم سياسته وليتمكن من تحقيق النصر معتمدا على اكتساب المباداة مبكرا وعليه بالتالي ان يطور نظامه العسكري بشكل متفوق على خصمه كما فعلت المانيا بجيوشها المدرعة المسلحة بدبابات البانزر او ان يمتلك نظام تعبئة متفور وسريع وقادر على الحاق الهزيمة بالعدو قبل ان يتمكن هذا الاخير من حشد قواته الكبرى والاستفادة من موارده الهائلة تماما كما فعلت المانيا في الحرب العالمية الاولى .

ولهذه الاسباب وجد الاتحاد السوفياتي نفسه تجاه اغراء قوي ليبني استراتيجية عسكرية معتمدة على قدرة عسكرية اقوى من حلف شمالي الاطلسي بالاستفادة من قوة هجوم متفوقة وسريعة معتمدة على المدرعات مع تطوير كبير لنظام الحشد والتعبئة . وعلى المستوى العملياتي تبنى الاتحاد السوفياتي المفهوم الالماني للحرب الصاعقة مع ادخال تحسينات عليه . اما على المستوى التكتيكي فقد حافظ على اسلوبه القتالي التقليدي المبني على الهجوم الكثيف . وقد نجح فعلا بوضع نظام تعبئة وتنظيم قواته بشكل يؤمن له التجمع السريع والانتشار الملائم للخطة الموضوعة .

انحصرت الاهداف العسكرية في الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية، في اوروبا على التصدي لاستراتيجية القوة الامريكية ــ بنفس الوقت الذي كان يعمل فيه على انشاء قوة استراتيجية ــ واحكام السيطرة على اوروبا الشرقية. وفي الوقت الذي كانت اوروبا الغربية تعيد بناء قواتها في ظل المظلة الامنية الامريكية ، نجح الاتحاد السوفياتي برغم دماره الاقتصادي في المحافظة وتطوير قوة تقليدية قادرة على تهديد أوروبا وابقاء هذه القارة « كرهينة » كرد غير مباشر التهديد الاميركي النووي . وقد ادت هذه القوة البرية الكبيرة الى حل مشاكل اوروبا الشرقية .

وبقي التساؤل بدون جواب . وهو كيف امكن الاتحاد السوفياتي امتلاك هذه القوة الكبيرة رغم ضعف موارده وقلة ميزانياته الدفاعية في زمن السلم؟

لقد حقق الاتحاد السوفياتي كافة اهدافه بخلق اقصى قوة مقاتلة ممكنة مع أقل جهاز اداري ممكن وبالتالي انصبت معظم الميزانيات على تحسين القدرة القتالية الفعلية . وقد تمكن من تخفيض نسبة الوحدات الادارية بالنسبة للوحدات المقاتلة عبر طرق اربع :

١ ــ دعم اداري مركزي .

٢ ــ دمج الوحدات التدريبية في اطار الوحدات المقاتلة .

٣ ــ اعادة النظر بالتنظيم والملاكات وتبني ملاكات اقل عددا من الوحدات الغربية وعلى مختلف المستويات .

٤ ــ الاحتفاظ بقيادة واركان بعض الفرق ضمن الوحدات المقاتلة .

ويمكننا تقدير نتائج هذه الخطوات ببساطة وذلك بتقسيم مجموع قوات الجيش في السلم على عدد الفرق . فلدى الولايات المتحدة الامريكية ٦٠ الفا لكل فرقة معززة في حين لايزيد هذا العدد في الاتحاد السوفياتي عن ١١ الف. كما ان اقتصاد الاتحاد السوفياتي بوحدات الدعم الاداري واضح بجلاء بمقارنة القوات المنتشرة فعلا على الساحة الاوروبية . فلكل فرقة اميركية في زمن السلم خصص ٤١ الف رجل في المانيا في حين اقتصر هذا العدد بالنسبة للفرق السوفياتية على ٢١٥٠٠ رجل .

ـ المتطلبات التنظيمية للعقيدة العسكرية السوفياتية :

ان الاساس الذي استندت عليه العقيدة السوفياتية هو الحرب الصاعقة أي مفهوم التفوق العددي المحلي والسرعة في الهجوم . ويعتمد التكتيك على حشد القوى في قطاع خرق ضيق من الجبهة قادر على خرق الخطوط الدفاعية الامامية والانطلاق بسرعة نحو المناطق الخلفية لتطويق القوى الرئيسية وشل أي رد فعل من قبل المدافعين . وعندما يكون الدفاع ضعيفا نسبيا يكتفي المهاجم بخرق او خرقين ويحتاج لبضعة أسابيع لينهي العملية اما اذا كان الدفاع قويا فقد يحتاج الامر الى عدة عمليات خرق قبل ان ينهار المدافع .

اهم متطلبات هذا التكتيك هو الامداد الاداري ، وهذه الناحية واضحة جدا لدى المنظرين السوفيات . اولا اذا كان الهجوم ضد عدو ضعيف نسبيا ومتمركز على خطوط دفاعية قليلة العمق فان الحرب سوف تنتهي قبل ان تكون قوات الخرق المدرعة بحاجة الى دعم اداري مكثف . ونجد ان حلف شمالي الاطلسي هو في هذا الموقف الضعيف اذا ما اخذنا بعين الاعتبار ان العقيدة السوفياتية تعتبر ان المرحلة اليومية للهجوم هي ١٠٠ كم وبالتالي نجد ان نهر الراين وهولندا لايبعدان سوى ثلاثة ايام مسير انطلاقا من الحدود الالمانية في الشمال والوسط . وفي مثل هذه الظروف فان التنظيم الحالي المطبق لدى حلف شمالي الاطلسي بكبر حجم الوحدات الادارية والدعم ليس فقط غير ضروري بل يقلل من قدرة الوحدات المقاتلة ويعيق المناورة لانه يتطلب حماية ويحتاج لمحاور تحرك عديدة .

ثانيا تتم الحرب الصاعقة عادة بوحدات مدرعة تتطلب وحدات دعم اقل نسبيا وتمتلك قدرة نارية كافية تستغني بها عن الدعم الناري غير المباشر . وان الحاجة لدعم ناري كثيف مطلوب فقط خلال المعارك العنيفة عند خرق الدفاع والقتال على الخط الاول ، وما ان ينجح الخرق حتى تقوم الوحدات المدرعة باستثمار هذا النجاح مستغلة الفوضى السائدة لدى المدافع وبالتالي لاتحتاج الا الى دعم بسيط بالعتاد والنار . وبالتالي فان تزويد كل فرقة وفيلق (تسمى جيشا لدى السوفيات) بقطعات ووحدات ادارية كبيرة خاصة بكل منها يصبح ضرورة ملحة .

كان الحل السوفياتي لمواقف كهذه بتبني تكتيك الهجوم بالانساق الذي يتم بزج النسق تلو الآخر وفق نظام مقيد ومحدد بدقة بدلا من تبديل القوات المهاجمة بقوات أخرى جديدة كما هو مطبق في الغرب .

ولهذا فان الفرق المعينة للقيام بالخرق لاتحتاج الى وحدات تأمين كثيرة .

وقد دربت القوات السوفياتية على خوض معارك مستمرة ليلا نهارا طيلة ١٩٤١ ـ ١٩٤٢ وحولوها الى فرق متخصصة بقيادات مركزية على أعلى المستويات ، وبالتالي تعود قادة الفرق السوفياتية على تلقي التعزيزات والدعم فقط عند الحاجة وتبعا لنوعية الدعم المطلوب . ثم اعتمد هذا الاسلوب واعتبر مكملا الحرب الصاعقة . وطالما ان المعارك العنيفه سوف تدور ضمن قطاعات خرق ضيفة ومحدودة فان بامكان القيادة العليا حشد الدعم اللازم للقوات المخترقة طالما هي بحاجة لها وحتى ينجح الخرق ثم المناورة بها نحو الاتجاه المطلوب او ابقاؤها حسب متطلبات الموقف . اذ ما ان ينجح الخرق فان الفرق المدرعة لن تكون بحاجة ماسة الى امداد او دعم كثيف كما في مرحلة الخرق .
وقد اعاد السوفيات تنظيم فرقهم بعد الهزائم التي لحقت بهم عامي ٢٤ ساعة يوميا بهدف انهاك قوات حلف شمالي الاطلسي وعدم اتاحة الفرصة لها بالمناورة او الدعم او اعادة التنظيم .

ان هذا الاسلوب بحشد قوات الدعم والتعزيز من مختلف الانواع على مستوى القيادات العليا والمناورة به حسب الموقف فكرة مغرية جدا لانه بذلك امكن للاتحاد السوفياتي تنظيم عدد اكبر من الفرق المقاتلة مما تسمح به موارده خاصة وان هذه الفرق تحتاج الى الدعم والتعزيز بصورة متفاوتة خلال المعارك وتبعا للمهمة المكلفة بها وما امكنها تحقيقه ، كما ان الخسائر داخل وحدات الدعم هي عادة اقل من الخسائر ضمن القطعات المقاتلة المشاة والدبابات . وهذا يعني ان وجود تفاوت بين الفرق من حيث وحدات الدعم ممكن دونما ان يقلل من فعاليتها وبالتالي يصبح بالامكان انشاء قطعات مقاتلة اخرى على حساب وحدات الدعم . شريطة ان يعمل على تشكيل وحدات وتشكيلات دعم وتعزيز على المستوى الاعلى قادرة على خدمة عدد اكبر من الفرق .

ـ التعبئة والتعزيز :

لدى الاتحاد السوفياتي حوالي ١٦٧ فرقة وهي تختلف من واحدة الى اخرى من حيث الاستعداد القتالي وان كانت من حيث الوحدات والتسليح متشابهة تقريبا . فتلك الموجودة في اطار المجموعة القتالية السوفياتية في المانيا مثلا مكتملة العدو من حيث الرجال والعتاد في حين ان معظم الفرق الاخرى تملك حوالي ٢٥ بالمئة فقط من قدراتها .

ولدى الاتحاد السوفياتي ثلاث مستويات من درجات الاستعداد القتالي تتفرق : الاول تكون فيه الفرقة مكتملة بنسبة ٧٥ ـ ١٠٠ بالمئة من قواتها وعتادها . الثاني : تنخفض هذه النسبة الى ٥٠ ـ ٧٥ بالمئة مع كامل آلياتها الحربية . الثالث : بين ٢٥ ـ ٣٣ بالمئة مع كامل آلياتها الحربية ؛ ان العنصر المشترك والاساسي في هذا التنظيم هو التواجد الدائم لمجموعة قيادية مع العناصر اللازمة والقادرة على العمل الفوري فور وصول العناصر المعبأة . اما العتاد الخاص والتجهيزات الاخرى فتكون مخزنة للتقليل من الحاجة الى الصيانة الى أدنى حد ممكن . وقد افادت الخبرة ان عتادا مخزنا بشكل جيد يعيش مدة أطول ففي حين يقوم الجيش الاميركي بتنفيذ تدريباته ومناوراته بالعتاد القتالي المخصص لكل تشكيل بينما الاتحاد السوفياتي يستخدم العتاد التدريبي لذلك وبالتالي يحافظ على الاعتدة القتالية بشكل افضل ولمدة اطول مع ابقائها جاهزة للقتال الفوري عند اللزوم . ومن هنا تبرز بشكل واضح مزايا التنظيم السوفياتي اذ انه ليس فقط يقلل من حاجته لوحدات الدعم العديدة بل هو يؤمن استخدام اعتدة القتال القديمة وبكثافة بسبب محافظته عليها بحالة فنية جيدة وعند اللزوم يعزز بها تشكيلاته او تشكيلات الدول الحليفة.

وعلى المخطط ان يأخذ بعين الاعتبار دوما درجة الاستعداد القتالي لكل فرقة زمن السلم وبالتالي توضع الخطط الملائمة وفق متطلبات القتال وامكانيات النقل . ولا شك ان السوفيات قد تقبلوا ، في سبيل هذا ، فكرة احتمال تعرض القطعات المقاتلة الى خسائر كبيرة على اعتبار ان القطعات المعبأة سوف تجد الوقت اللازم للجاهزية وتستطيع متابعة القتال بنفس الايقاع المطلوب للحرب الصاعقة .

ج ـ العقيدة العسكرية والتكنولوجيا

ـ كيف تمت الاستفادة من التكنولوجيا ؟

كان للسلاح النووي تأثيرات عدة على التخطيط العسكري وقد درست معظمها الا ان هناك ناحية لم تعط الاهمية الكافية وهي مدى التشويه الذي اصاب اسلوب دراسة الاعمال القتالية نفسها . فالتحليل الاستراتيجي النووي مختلف تماما عن تحليل دراسة معظم الحروب التقليدية وهذا واقع اثبته الخبرة الاميركية خلال الحرب الفيتنامية . وقد ادعى منظرو وزارة الدفاع بان القادة العسكريين لم يتفهموا حقيقة الحروب الحديثة (اي النووية) ، ويمكننا من جهة اخرى ان نقول ان المنظرين لم يكونوا اوفر معرفة في حروب ابسط منها. فان التحليل الاستراتيجي مبني اساسا على المفهوم القائل بتأمين تدمير واضرار معينة وهو بالتالي احتمالات عدة لتبادل القصف الصاروخي ومدى تأثير ذلك على القرار المتخذ . اما تحليل الحروب التقليدية فانه ليس بهذه السهولة ويتطلب مفهوما اعمق واكثر تفصيلا للخبرات التاريخية وللعقائد العسكرية وللتنظيم العسكرى الافضل .

لاشك ان التكنولوجيا في الاعمال القتالية الاستراتيجية معقدة ولكن التطورات التكنولوجية الحديثة جعلتها مبسطة من حيث الاستخدام فتحولت عمليا الى عملية تبادل القصف الصاروخي . اما على المستوي التقليدي فان التكنولوجيا عادة تكون مبسطة ولكن تنوع وتداخل عمل صنوف عديدة من الاعتدة والاسلحة يتطلب تحقيق مهام معينة ومتعددة مما يؤدي الى ضعف الاستفادة العملية من التطورات التكنولوجية . ان اي تطوير تكنولوجي على المستوى الاستراتيجي ، كالصواريخ المتعددة الرؤوس مثلا ، يمكن ان يؤدي الى تبديل جذري في الحسابات وبالتالي يؤثر على مجمل اعمال التخطيط .

اما على المستوى التقليدي فان دبابة احدث او طائرة افضل قد تعطي ميزة موقتة تسبب في تكبيد العدو خسائر اكبر احيانا ولكن هذا العدو سرعان مايتأقلم معها ويتخذ الاجراءات اللازمة للتصدي لها او للوقاية من اخطارها بالاضافة الى تطوير اعتدته لمجابهتها . مع العلم ان معظم الاسلحة المتطورة الحديثة لاتتميز عن سابقتها الا بفعالية اكبر نسبيا ، وذلك في مجال الوزن او السرعة او القدرة الحركية ، ومع الاسف هناك العديد من التحسينات التي أدخلت غير مجدية في القتال البري والمثال التقليدي على ذلك هو السرعةالكبيرة التي اصبحت الطائرات النفاثة تتمتع بها .

سادت الولايات المتحدة الاميركية فكرة ثابتة تعتبر التكنولوجيا العلاج الشافي لكافة الامراض . مثلا اذا تمتع العدو بتفوق عددي فالحل الامثل هو تغطية النقص الكمي بتفوق نوعي . اذا تعثرت القوات في معاركهـا كما في فيتنام طلب من العلماء اختراع عتاد جديد يثبت صحة هذه العقيدة .

ومن نفس المنطلق سعى حلف شمالي الاطلسي الى ايجاد حلول‌تكنولوجية لتغطية عجزه في القوى التقليدية ولكن وحتى الآن لم نجد ان هذه التكنولوجيا قد ادت الى النتائج المرجوة . وأصبح واضحا ان الاستفادة العملية من التكنولوجيا الحديثة لم تجد لها تطبيق واقعي .

دخل التطور التكنولوجي ثلاث مجالات حساسة هي : الاسلحة النووية التكتيكية ، الحوامات ، والذخائر دقيقة التوجيه . وقد سعى حلف شمالي الاطلسي الى التعويض عن ضعفه في القدرات العسكرية التقليديه بأسلحة نووية تكتيكية ولكن عندما ادخل الاتحاد السوفياتي بعد بضع سنوات اسلحة مماثلة فقد الحلف هذه الميزة بل يمكن القول انها اصبحت سيئة للمدافع‌بسبب قدرة المهاجم على فتح ثغرة في الدفاع بسرعة بواسطة هذه الاسلحة .

اما الحوامات فقد تعززت مكانتها بفضل النجاحات التي حققتها في‌الحرب الفيتنامية والواقع انه اذا مااستخدمت الحوامة بعقلانية فهي واسطة قيمة ولكن ومع الاسف فان نجاعة الحوامة في فيتنام قد ثبتت في مجال النقل‌السريع للقوات الى ساحة المعركة فقط ولم تلق مثل هذا النجاح في المجالات الاخرى.

ولا شك انه يمكن القول بأن الحوامة هي وسيلة فعالة تسمح للولايات المتحدة الاميركية بالاعتماد على قدراتها ومزاياها لخدمة مصالحها الاستراتيجية . فبدل التفكير بايجاد حل لمشكلة عدم كفاية وسوء تنظيم المشاة سعى الجيش الاميركي الى التركيز على زيادة القدرة الحركية للمشاة المتوفرة لديها . وبدلا من التركيز على تماسك الوحدات المعادية الذي يكسبها قدرة متجددة باستمرار يحاول الجيش الاميركي تجزئة العدو الى قوات مبعثرة وذلك بسرعة الحركة مما ادى الى زيادة الخسائر الاميركية في الوقت الذي جرت فيه محاولات التخفيف منها .

اما بالنسبة لساحة القتال الاوروبية فان للحوامة دورا لايضاهي للقيادة والاستطلاع والنقل والاسعاف وعدد آخر من المهام الادارية . اما دورها كواسطة لنقل القوات او كسلاح مضاد للدبابات فهذا موضوع آخر .

لاشك ان هناك مهام خاصة متعددة تلعب فيها الحوامات دورا هاما : مثل نقل مجموعات خاصة من المشاة لتنفيذ بعض الاغارات ، سرعة التعزيز بقوات لمناطق مهددة او نقل سريع للاعتدة والذخائر اللازمة لوحدة ما. نقل الاحتياطات المضادة للدبابات او مجموعات اقامة الحواجز على الطرق او نسفها. اما استخدامها على نطاق واسع فهو على الارجح غير اقتصادي او على الاقل لايحقق نتائج معادلة للثمن الباهظ الذي قد تدفعه .

فالحوامات مرتفعة الثمن سواء في شرائها او صيانتها بالاضافة الى ان اجواء المعركة على الحد الامامي هي خطرة جدا عليها .

اما المرونة الحركية التي تتمتع بها الحوامة فانها تعوض نوعا ما النقص في الاحتياجات ولكن حل هذه المشكلة يكمن في ايجاد قوات احتياطية بدلا من تجميد عتاد باهظ الثمن لنقل عدد محدود من الرجال .

كما ان استخدام الحوامة كواسطة للصراع ضد الدبابات مسألة تحتاج الى التمعن ، لقد اثبتت بعض التجارب ان الحوامة تتمتع بقدرة عالية لتدمير الدبابات ، وبالتالي فقد وجدت الدبابات نفسها في موقف غير مريح ولكن وبدون ادنى شك سوف تتلاءم الدبابات مع هذا الوضع الجديد (قد يؤدي ذلك الى

بعض التكاليف المادية) وسرعان مايصبح استخدام عدد من الحوامات كسلاح مضاد باهظ الثمن ، نسبة الى النتائج التي يمكنها تحقيقها .

ويبدو لي ان اهم راي معارض لاستخدام الحوامة كسلاح مضاد للدبابات يتلخص بكونها في مثل هذه الحالة سوف تحتل مكانة السلاح الجوي التكتيكي ولن تكون مهمتها سهلة خاصة في المناطق التي تحتاجها القوات أكثر اي في حالة خرق مدرع كثيف حيث تتداخل القوات المتحاربة ويصعب جدا تحديد المواقع الصديقة والمعادية . ثم انه اذا ادخلت تحسينات تنظيمية على القوى الجوية ـ كما سنقترح لاحقا ـ فان الطيران التكتيكي سيكون افضل بكثير من الحوامات بسبب قدرة الطائرة على حمل عدد اكبر من الصواريخ وامكانية اطلاقها من مدى ابعد بدقة رمي افضل .

ان المجال الآخر الذي دخلته التكنولوجيا هو الذخائر دقيقة التوجيه التي عرفت شعبيا باسم « القنبلة الذكيه ». وهنا كما في مجال الاسلحةالنووية التكتيكية اعتبرت هذه الوسائط أسلوبا آخرا لتعويض النقص في القوات التقليدية ، لانه وبسبب بعض المزايا التي يملكها الدفاع من حيث امكانية الاحكام المسبق على الاهداف وخوض القتال داخل مواقع محصنة والمخفية عادة بالغابات والاشجار فان القنبلة الذكيه تلعب دورا مميزا ايجابيا هاما لصالح المدافع .

ولكن وبسبب التنظيم المطبق في تشكيلات حلف شمالي الاطلسي وحتمية امتلاك الاتحاد السوفياتي لاعتدة مماثلة ، فان هذه الميزة سوف تنقلب الىغير صالح حلف شمالي الاطلسي . وقد اعتمدت فلسفة حلف شمالي الاطلسيمبدا توظيف نفقات اكبر لقوات اقل في حين ان عقيدة الاتحاد السوفياتي ثبتت مبدا نفقات اقل لقوات اكبر . وبالتالي سوف يجد حلف شمالي الاطلسي امامه اهدافا أكثر عددا عليه تدميرها ولهذا يحتاج الى عدد اكبر من الوسائط ـ طائرات ومدافع ـ وبهذا تتصاعد التكاليف بشكل آلي .

ـ كيف نستفيد من التكنولوجيا ؟

يتبين من هذا العرض السريع لمجالات ثلاث للتكنولوجيا الحديثة انالغاية

المرجوه من الاستفاده منها لم تتحقق وذلك بالدرجه الاولى لانها استخدمت لتطوير الاسلوب القتالي القائم بدلا من التفتيش عن طرق جديدة لاستخدام القوات العسكرية بالاستفادة من التطور التكنولوجي الحديث بطاقته القصوى. يجب ان ننظر الى التطور التكنولوجي الحديث كعنصر يخفف من القيود التي تفرضها العقائد القتالية الحالية لا ان نفرض عليه اساليبنا القائمة .

الواقع ان الفائدة المرجوة من التكنولوجيا الحديثة غير كافيه في عملية تبديل عتاد او سلاح متخلف بآخر احدث وأكثر تطورا وفعالية بل بالقناعة بأن التطور التكنولوجي يساعد في تطوير العقائد القتاليه وايجاد التنظيم الافضل لذلك .

ومن الواضح ان تفكير حلف شمالي الاطلسي خضع لفترة طويلة لفكرة ثابتة وهي السعي للنوعية ضد الكمية . أي فكرة التغلب على النقص العددي في القتال بالتفوق التكنولوجي . وقد كانت هذه الفكرة مغريه عبر التاريخ وهذا منطقي فعلا انما ضد دول متخلفة تكنولوجيا اما في حالة وجود دولة قادرة على اللحاق بمثل هذه القدرات او تمتلكها فعلا فان الموضوع يصبح مسألة تحتاج الى تعمق .

اثبتت الوقائع ان اي تطور تكنولوجي لعتاد ما يتطلب في المرحلة الاولى زيادة في النفقات ثم تنخفض هذه النفقات في المرحلة الاخيرة اي عندما يصبح قيد الانتاج الفعلي بكميات كبيرة ، ونظرا لسعي حلف شمالي الاطلسي الدائم لكسب التفوق التكنولوجي على حلف وارسو فان نفقاته سوف تتزايد باستمرار اي اذا تابع حلف شمالي الاطلسي هذه السياسة وكذلك فعل حلف وارسو فان بامكان الاول ان يبقى متقدما تكنولوجيا فقط اذا رصد الميزانيات اللازمة والمتصاعدة حكما وقد يضطر في هذه الحالة الى تحويل جزء من الميزانيات المخصصة للاعتدة الاخرى نحو البحوث التكنولوجية مما يؤدي الى أثر سلبي على قدراته العسكرية التقليدية . ومن جهة أخرى فان الزيادات المستمرة في الميزانيات العسكرية لم تعد مقبولة سياسيا في الدول الغربية وبالتالي فان اي تخفيض فيها سيزيد من ضعف القدرة القتالية بالنسبة لحلف وارسو . مما

يؤدي تلقائيا الى زيادة ضغط العسكريين للحصول على اعتدة احدث وأكثر تطورا تكنولوجيا .

ونعود الى الحلقة المفرغة اذ اصبح من الواضح ان محاولة تغطيه العجز بالقوى التقليدية بواسطة التفوق التكنولوجي هي سياسة غير مجدية وقد فقدت مردودها شيئا فشيئا .

والاسلوب الوحيد لتحقيق الغاية المرجوة من التفوق التكنولوجي هو عندما نتمكن من الاستفادة من التكنولوجيا لتحسين القدرة القتالية للقوات بتكاليف أقل من السابق أو مساوية لما هو مخصص حاليا ؛ وأهم من ذلك بنفقات أدنى من تلك التي يخصصها الخصم لمثل هذه الغايات . وقد اثبتت التجارب ان اي تطور تكنولوجي مبتكر يكلف اكثر من التكنولوجيا المنقولة أي تقليد ماهو قائم ، فمن الافضل ان تركز الجهود على امتلاك أعتدة جديدة تماما انما على فترات . خاصة وانه ثبت ان اي تطوير جزئي لعتاد قيد الاستعمال يكلف أكثر من اختراع عتاد جديد تماما .

ولكن هناك ناحية يجب اخذها بعين الاعتبار . اذا وجدنا من المناسب ادخال أنواع جديدة من التكنولوجيا بين فترة وأخرى فلا بد ان يكون واضحا ان هذه الاعتدة الجديدة تتطلب من المؤسسات العسكرية استخدامها بالاسلوب والشكل الصحيح لاستثمار امكاناتها الى اقصى حد ومن المعروف ان هذه المؤسسات غالبا مايسودها فكر تقليدي جامد يرفض بالغريزة اي تطور جديد. ومن جهة اخرى فانه مالم تتأقلم هذه المؤسسات مع التطور الحديث فان الفائدة من الاعتدة الجديدة تبقى قليلة الفائدة والمردود . وربما كان التخلف التكنولوجي لدى العدو أكثر مردودا من الناحية العملية لتوفر استعداد لتقبل التطور الجديد والتبدل التنظيمي المطلوب المناسب له .

وكي تعطي التكنولوجيا الحديثة النتائج المرجوة منها بشكل صحيح لابد أن يسعى كل تخطيط عسكري الى فرض مفاهيم جديدة لتحل محل القناعات السابقة الجامدة . فالولايات المتحدة الاميركية في فيتنام مثلا اختارت اسلوبا قتاليا يعتمد على المرونة الحركية والقدرة النارية ، وفي حين ان هذا المفهوم الهام

والباهظ الثمن جيد نظريا ، فانه لم يكن فعالا بالنسبة لاستراتيجية قمع الثورة هذه الاستراتيجية الهادفة الى حماية السكان من العناصر الثورية وحرمان الثوار من قواعد تموينهم .

ولا توجد وصفات جاهزة لتامين تطبيق اساليب حديثة في القتال ولكن بامكاننا تحليل الطرق المناسبة للتنظيم والاستخدام الجيد للقوات بالاستفادة من الاعتدة المتطورة الجديدة . الغاية هي كيف نضع الحديث مكان القديم وهذا يتطلب بالاضافة الى دراسة فن الحرب ان يكون العسكريون على استعداد للقبول بفكرة امكانية دور بعض العقائد القتالية وعدم ملاءمتها للواقع الحالي . وهذا يعني ان تبدلات قد تطرأ على التكتيك ، الانتشار . الاوامر القتالية ، التنظيم وحتى على الابحاث والدراسات .

تواجه قوات حلف شمالي الاطلسي في اوروبا مشكلة كيفية الحد من القدرة الحركية لقوات حلف وارسو ، اذ لو امكنها ذلك لتحولت الحرب الى عمليات قتالية ثابتة وبالتالي لصالح المدافع ، كما في الحرب العالمية الاولى . وتصبح الحرب التقليدية على الساحة الاوروبية عبارة عن سعي المهاجم للاستيلاء على بعض المناطق قبل ان يتمكن المدافع من تنظيم نفسه ومن ثم الى تبادل النيران .

وقد اثبتت التجارب ان نظرية الضغط على العدو بواسطة التهديد او القيام فعلا بقصف مركز ومستمر ، غير مجدية تماما كما شاهدنا في القصف الالماني لبريطانيا خلال الحرب العالمية الثانية وتصف المانيا نفسها في المراحل اللاحقة وخبرات حرب فيتنام . وبالتالي يجب ان تقتصر الحرب التقليدية على منع العدو من احتلال مناطق معينة وان كل قوة وكل عتاد متطور تكنولوجيا غير مهيا للقيام بهذه المهمة ويصبح بلا اهمية ويشكل ثمنه عبئا لامردود له .

يكمن جوهر المشكلة اذن بابتكار اسلوب دفاعي قادر على التصدي لهجوم الدبابات السوفياتية ومن ثم حرمان المهاجم من المزايا التي يتمتع بها . ونحن نعتقد ان استخدام اعتدة متطورة جديدة بعقيدة قتالية مناسبة وتنظيم ملائم قادر على تحقيق هذا الهدف وجعل المدافع متفوق على المهاجم . كان يتم هذا

التفوق المتبادل في الماضي ببساطة نسبيه فقد سمح الركاب للفرسان بالتعوق على المشاه في حين كان الرمح الطويل والقوس معيق للفارس الذي يرتدي اللباس المدرع . اما اليوم فالمشكله هي الدبابة التي بتعاونها مع سلاح الجو وقدراتها الحركية وتصفيحها قلبت الوضع لصالح المهاجم اذ لم نعد الرشاشات والمدفعية قادرة كما في السابق على ايقاف الهجوم . ونحن لانوافق السيد هنري كيسنجر برأيه القائل « بأن الحرب التقليديه غالبا مانكون لصالح المدافع خاصة بعد دخول السلاح النووي . بل حتى خلال الحرب العالمية الثانية كان لابد للمهاجم من ان يحشد قوات بنسبة ثلاثة الى واحد » . اذ حتى خلال الحرب العالمية الثانية وبالرغم من احتمال اكتساب المدافع قوة محلية فانه كان نادرا مايتمكن من حشد قوات مضادة للدروع في قطاع الخرق ، وقد تزايدت اهمية هذه المشكلة اليوم أمام حلف شمالي الاطلسي اذ اضيف اليها سرعة تحرك الدبابات بامكانياتها الجديدة وقدراتها على الخرق واكتساب المبادأة بسهولة . وقد واجه حلف شمالي الاطلسي معضلة في تنظيم وحدات الاسلحة المضادة للدبابات اذ عدا التنظيم الالماني الجديد لايملك الحلف وحدات مضادة خاصة على مستوى الفصائل لمواجهة التنظيم السوفياتي الذي يضم وحدات مضادة للدرع على مستوى السرايا والكتائب والافواج . كما ان المشاة في حلف شمالي الاطلسي حتى وقت قصير ضعيفة في الاسلحة المضادة نوعا وكما . وعلى سبيل المثال كانت الكتيبة الاميركية تملك ثماني اسلحة مضادة للدرع متوسطة قادرة على تدمير دبابة متوسطة على مدى الف متر بالاضافة الى ثمانية عشر سلاح خفيف مضاد . اما الفرقة الميكانيكية فلديها ثمانية واربعون سلاح متوسط ومائة وسبعة عشر سلاح خفيف موزعة على كافة الوحدات بما في ذلك الشرطة العسكرية .

يتطلب الدفاع المضاد للدبابات تركيزا للاسلحة واسلحة مضادة فعالة. ويمكن للتكنولوجيا ان تعالج فعالية الاسلحة فقط . وقد سادت قناعة راسخة لدى العسكريين بأن أفضل سلاح مضاد للدبابة هو الدبابة لذلك بقيت الاسلحة المضادة ضعيفة القدرة نسبيا ، الا في حالات خاصة ، بسبب عدم القناعة بجدواها . ومؤخرا تم وضع أربع انواع من الاسلحة المضادة الفعالة قيد

الاستخدام القتالي . ومعظمها استفاد من التطور التكنولوجي الذي سمح بزيادة مدى ودقة الاسلحة المضادة الخفيفة .

واذا لم تكن التكنولوجيا قادرة مباشرة على حل مشكلة اعادة تجميع الاسلحة المضادة للدرع في المكان والزمان المناسبين للتصدي لهجوم مدرعمعاد، فانها تستطيع تسهيل هذا العمل بتبسيط السلاح مما يجعل هناك امكانية زيادة عدده داخل الوحدات نفسها . مع العلم ان هناك عدد معين يمكناستيعابه دونما خلق مشكلة جديدة . فالحشد يتطلب تجميع عدد كبير من الوحدات القتالية مع زيادة القدرة على نقل الوحدات من قطاع الى آخر . فالموضوعهنا تنظيمي وعقائدي ولا تؤثر التكنولوجيا عليه سوى بشكل غير مباشر وذلك بتذليل الصعوبات التي تعترض تنفيذه من حيث القيادة والسيطرة والقدرة الحركية .

* * *

د ـ التخطيط لبلوغ التوازن التقليدي

تحتل الدبابة على مسرح العمليات الاوروبي موقــع الصــدارة وتعتبر السلاح الامثل ، فلو امكن ايقافها لزال خطر الاحتلال عن الدول الغربية اذ لايوجد اسلوب آخر ولا واسطة أخرى من الناحية العملية قادرة على احتلال الارض . فالقوات المظلية شديدة التعرض والمشاة بطيئة وكلاهما قادر فقط على القيام باعمال بث الفوضى وتدمير بعض الاهداف اي القيام باعمال خداعيــة قد تؤثر سياسيا وأحيانا عسكريا في منطقة محددة ولكن لايمكن اعتبارها أعمالا حربية واسعة النطاق. حتى عندما ترافق هجوما رئيسيا مدرعا الذي قد يسبق ببعض الانزالات الجوية فان عملها يبقى محددا بأهداف معينة كقطـع طـرق المواصلات وزيادة الفوضى في صفوف المدافع .

وفي الوقت الذي ننظر الى الجيش كوحدة متكاملة من عناصر وصنوف مختلفة ، فاننا نجد ان نواة قوته هي الدبابة التي تلتف حولها باقي الصنوف بل يمكن القول ان الهدف العام الوحيد في أوروبا سواء للقوى الجويةالتكتيكية أو البرية او البحرية الساحلية هو السعي الى تدمير او اعاقة تقدم الوحدات المدرعة المعادية والسماح للقوات المدرعة الصديقة بحرية العمــل ، ان هــذه الناحية غالبا مانتناساها خلال سعي كل صنف لابراز أهمية دوره مما ادى الى عدم اعطاء الاهتمام الكافي للعنصر الاساسي ـ الدبابة ـ واهدار النفقــات على نواح أخرى قد لاتكون لها اهميتها في اطار الموقف العام والدور المخصص لكل منها مع العلم ان بالامكان الحصول على نتائج أفضل وابراز دور كل صنف لو أعيد النظر بالتنظيم القائم .

تدور المعارك البرية لتحقيق أهداف ثلاث : الاستنزاف ، التمسكبالمواقع ومــن ثم اعادة التنظيــم والتعــويض عن الخسائر . في معركــه « اجنكور

الفرســـان الانكليز الاقواس حاملو كبد « CRECY وكريسي Agincourt الفرنسيين خسائر كبيرة ومن مدى بعيد ادى الى انتفاء الحاجة الى التمسك بالارض او التعويض بالخسائر اما في الحرب العالمية الاولى فقد تعاظمت اهمية عامل التمسك بالمواقع اما خلال الحرب العالمية الثانية فان الدبابة وسرعةتحرك القوات قضى على المواقع الثابتة وكبد المدافعون خسائر كبيرة مما جعل عملية التعويض (او الهجمات المضادة) صعبة ومعقدة .

يتصف الدفاع الجيد بقدرته على تدمير الخصم بحرب استنزاف قبل وصوله الى المواقع الدفاعية،ولكن وللاسف ان هذه المهمة عسيرة التنفيذ حتى لو اعيد النظر باسلوب تنظيم القوات ورغم المساعدة التي تقدمها التكنولوجيا الحديثة . لكن مايمكن عمله فهو اعادة النظر بدرجة اهمية كل من الاهداف الثلاث الملقاة على عاتق الدفاع بشكل يصبح بالامكان التمسك بالمواقع دون الاعتماد على التعزيز . ويمكن بذلك للتكنولوجيا ان تستخدم لتسهيل عملية الانتشار الدفاعي بغية تحقيق وفر بالقوات وامكانية حشد قوى اكبر من القوات المهاجمة . وسوف نشهد في المستقبل القريب ان الوسائط المتطورة المساعدة على تحديد الاهداف وزيادة دقة الاصابة رغم اثمانها الباهظة ستزيد من القدرة على الاستنزاف وعلى مسافات بعيدة ، مما يؤدي الى التقليل من الخسائر وبالتالي زيادة او المحافظة على متانة الدفاع . من هذه الوسائط المساعدة هي : اجهزة الرؤية الليلية واجهزة الانذار المبكر . العربات القادرة على تخطي مختلف الحواجز بسهولة الخ .

ستبقى مهمة ايقاف تقدم الخصم او تأخيره اهم واجبات الدفاع حتى لو جاءنا المستقبل بوسائط آقدر على الاستنزاف ، لان الدفاع المتقدم يحتاج دوما للوقت الكافي للاستعداد ولمنع العدو من الاستيلاء على مناطق صديقة مهما كانت صغيرة اذ قد تستخدم كسلاح سياسي . ومن جهة اخرى قد يصبح الهجوم المضاد الهادف الى استعادة مناطق محتلة عملية غير واقعية بسبب وجود التهديد النووي بالتصعيد بالاضافة الى ان التكنولوجيا قادرة على جعل الدفاع المنظم هدف صعب جدا على المهاجم . اما في نطاق الاحلاف العسكرية فان الدفاع المتقدم يلعب دورا سياسيا وعسكريا .

وتكمن الصعوبة في كيفية تنظيم دفاع متقدم في الوقت الذي يعاني فيه حلف شمالي الاطلسي مشاكل عديدة في عقيدته للدفاع المتحرك الذي يتقبل فكرة التخلي عن بعض المناطق لاتاحة المجال لجمع وتحريك الاحتياطات . وقد أعتبر الدفاع المتقدم غير عملي طالما ان بالامكان خرق حائط (حاجز) فعلي كما ان المعارك الفعلية سوف تدور في المناطق الخلفية عبر مناورات معقدة . ومن المعروف ان الدفاع وفق العقيدة الاميركية هو اما دفاع خطي حيث تكون القوة الرئيسية على الحد الامامي مع الاحتفاظ باحتياط متحرك قليل ، او دفاع متحرك تكوّن فيه الاحتياطات المتحركة قوية في حين تحتل الحد الامامي قوات ستارة خفيفة للانذار وتحديد محور الهجوم المعادي وهناك شكل ثالث للدفاع ظهر مؤخرا وهو احتلال مواقع دفاعية محصنة منتشرة في الجبهة والعمق . وكان حلف شمالي الاطلسي قد تبنى الشكل الاول للدفاع ثم بعد توفر الاسلحة المتطورة الحديثة تحول الى دفاع متحرك .

ولكن العقبة الكبرى التي تعترض حلف شمالي الاطلسي هي افتقاره الى احتياطات كبيرة ومتواجدة على مسرح العمليات ، وهذه الاحتياطات ضرورية جدا في ظروف الحرب المدرعة واحتمال استخدام الاسلحة النووية التكتيكية : وهي تسمح لقائد الدفاع التصدي لاي خرق معاد وتحديد محور الجهد الرئيسي للهجوم وبالتالي اتاحة الفرصة للاحتياطات الاخرى بالتحرك نحو الاتجاه المناسب لتعزيز الدفاع او شن الهجمات المضادة . واذا أمكن توفير احتياطات كبرى لدفاع متقدم وبالاستفادة من التطور التكنولوجي نستطيع تبني أسلوب الدفاع الثالث الذي سماه البعض الشطرنجي اي على الجبهة وفي العمق قوامه نقاط محصنة قوية .

وسنوضح فيما يلي كيف يمكننا توفير هذه الاحتياطات عبر اعادة تنظيم القوات المتوفرة حاليا وكذلك الاساليب التي يمكن للتطور التكنولوجي ان يجعل عملية اعادة الانتشار ممكنة مع مزايا الدفاع المتحركة والدفاع الشطرنجي.

ـ اعادة التنظيم لتامين احتياطات اكبر :

ان السعي لتوفير حجم اكبر من الاحتياطات يحتاج الى تغيير رئيسي في التكتيك والتنظيم والعتاد وحتى في التدريب خلال فترة السلم .

وفي الوقت الذي تكاد نصاب بالذعر من تعدد المتطلبات هذه فان اسلوب تحقيق هذا الهدف واضح تماما ، والصعوبة هي فقط في الايضاح بانه بامكان مربع جديد للقوات ان يقدم قوة جديدة اكثر فعالية .

ان المحور الرئيسي الواجب الاهتمام به خلال مناقشة الموضوع هو طبيعة الحرب المدرعة والعقيدة العسكرية السوفياتية . في الحرب المدرعة لاتشن الهجمات الرئيسية عبر الجبهة كما فعلت قوات الحلفاء خلال الحرب العالمية الثانية ، بل تجري بشكل مركز عبر قطاع او اكثر ضيق الجبهة لخرق الدفاع والتوغل عميقا وضرب مؤخرة الدفاع في الوقت الذي تشغل فيه قوات الحد الامامي للدفاع بوحدات ثانوية وهجمات خداعية ورمايات كثيفة . هذه العقيدة التي يعرفها الجميع قد قادت الى تحقيق انتصارات مدهشة للالمان والروس ولكن ماهو غير معترف به حتى الآن هو ان بالامكان تنظيم الدفاع بشكل يتصدى بفعالية لمثل هذه العقيدة القتالية . فكما ان المهاجم لايضعف قواه ببعثرتها على امتداد الجبهة على المدافع ان يحذو حذوه . وكما يركز المهاجم قواه الرئيسية على قطاع خرق ضيق مع الاحتفاظ باحتياط قوي لاستثمار الخرق ، على المدافع ان يفعل ذلك . واخيرا كما يسعى المهاجم الى حشد وسائط الدعم لخدمة الخرق على المدافع ان يكون مستعدا لتنفيذ ذلك في مختلف المواقف القتالية .

ـ الخيالة المضادة للدرع :

ان الخطوة الاولى نحو امتلاك احتياطات اكبر هي تشكيل وحدات خيالة مضادة المدرع بسيطة التسليح نسبيا ، لتحل محل كتائب المشاة والمدرعات الباهظة التكاليف المتمركزة على طول الجبهة . اذ ان هذه القوات المتمركزة قد تفقد قدراتها فور تعرضها لهجمات خداعية معادية تمنعها من المناورة وتثبتها في مواقعها في حين لو انتشرت امامها وحدات الخيالة المضادة للدرع لامكن تجميع هذه القوات في مناطق خاصة والاستفادة منها كاحتياطات قوية بيد القائد الذي يمكنه ان يزجها في المعركة في قطاعه او في قطاعات اخرى حسب الضرورة .

وان تراجع الوحدات الامامية عن خط الدفاع الحدودي لمسافه محددة لايعتبر تحولا في سياسة الدفاع المتقدم ، خاصة وان هذا الخط قد يكون احيانا تبعا لطبيعة الارض بعيدا عن الحدود الدولية نفسها ، بل يمكن جعل مناطـق التجمع قريبة نوعا ما اذ ان الغاية هي فقط توفير احتياطات متحركه غير مجمدة في المواقع .

لاشك ان هناك بعض المناطق في الجبهة الوسطى يمكن اعتبارها محاور محتملة للخرق المعادي ، خاصـة الاوتوسترادات (يمكن اعتبـار ثلاثة منها رئيسية وستة ثانوية) ولا بد هنا من دفع قوات معينة قادرة على تنظيم مواقع دفاعية لسد هذه المحاور ، اما في باقي القطاعات فان الخيالة المضادة للدرع المدعومة باحتياطات جاهزة كفيلة بالتصدي لاي هجوم معاد .

اما كيف يمكننا انشاء وحدات خيالة مضادة للدرع فهذه المسألة الاولى التي يجب ان تحلها التكنولوجيا . اذ ان وحدات الخيالة المدرعة التي يملكها حلف شمالي الاطلسي حاليا وكذلك وحدات الاستطلاع قليلة من حيث العدد ومكلفة اساسا بمهام الانذار لا القتال واما قدرتها كوحدات مضادة للدرع فهي ضعيفة ولا شك انه بالامكان تطوير مهامها وزيادة قدراتها المضادة للدبابات .

يضم التشكيل الاميركي على مستوى السرية والذي مازال قائما منـذ الحرب العالمية الثانية دبابات وعناصر استطلاع ومشاة وعناصر هاون كل منها بقوة فصيلة تقريبا . وقد أصبح هذا التنظيم متخلفا اذ ان التطور التكنولوجي الذي أوجد الصواريخ المضادة للدبابات الموجهة والمدافع ذات الضغط المنخفض والعربات المدرعة ذات العجلات كلها تسمح للدبابة بأن تعمل جنبا الـى جنب مع هذه الوسائط ضمن تشكيل موحد كوحدة مضادة للدبابات .

وقد عملت الولايات المتحدة الاميركية لشعورها بضعف وحدات الخيالـة المضادة للدبابات الى تعزيز هذه الوحدات بفصيلة دبابات ولكن هذا الحل الذي طبق منذ عام ١٩٧٣ بقي اعرجا لان الوحدة أصبحت بذلك وحدة دباباتتقاتل وفق عقيدتها بالاضافة الى انها مسلحة بدبابات شيريدان الباهظة الثمن . خاصة وانه بفضل التطور التكنولوجي لم يعد التصفيح القوي الدبابة العاملة

ضمن وحدة الصراع ضد الدبابات ضروريا جدا اد بالامكان تحميلها بسلاح مضاد بعيد المدى بالاضافة الى أسلحة مضادة للمشاة . وكذلك الامر بالنسبة لكافة العربات المدرعة التي يمكن تزويدها بالصواريخ والمدافع المضادة للدبابات بالاضافة الى الاسلحة المضادة للمشاة نظرا لانه أمكن ايجاد اسلحة مضادة بعيدة المدى وخفيفة الوزن نسبيا . وبزيادة عدد الاسلحة المضادة للدبابات يمكن ايضا الاستفادة من الاسلحة الرشاشة المضادة للطائرات في مثل هذه المهمة لكونها قادرة على التاثير على بعض اجزاء الدبابة ، وذلك في بعض الاحيان مثلا القتال ليلا او في الغابات . وباختصار يمكن للعربات المدرعة القادرة فعلا على اجتياز مختلف انواع الاراضي ان تحل محل الدبابات الباهظة الثمن في وحدات الخيالة المضادة للدبابات بقدرة قتالية افضل بسبب التسليح الجديد.

هذا وان استخدام العربات المدرعة بدلا من الدبابات الثقيلة يسمح بتكليف الوحدة بمهام الاستطلاع والصراع ضد الدبابات بآن واحد .

لاشك ان وحدات الخيالة المضادة للدبابات ستحتاج الى بعض عناصر المشاة عندما تكلف بمهام المحافظة على الحد الامامي . وفي هذا المجال نجد ان مثل هذه الوحدات في التنظيم البريطاني والفرنسي تخلو من اي عنصر مشاة في حين تملك الوحدات الاميركية المماثلة عددا يزيد عن الحاجة اذ نجد في كل سرية ثلاثة فصائل يمكن تخفيضها الى اثنتان فقط دون الاقلال من قدراتها مع ضرورة تدريبها على اعمال النقابين . كما يمكن الاستغناء عن الهاونات الثقيلة الموجودة في التشكيل الاميركي اذ ان هذه الوحدات سوف تخوض معارك على امدية قريبة تكفي فيها القنابل اليدوية والدخانية وعند الحاجة يمكن تغطيتها برمايات المدفعية غير المباشرة .

ومن جهة اخرى فان الاستعاضة عن الدبابات الثقيلة بعربات مدرعة خفيفة تقدم امكانيات تكتيكية جديدة خاصة اعادة بعض التقاليد القديمة للخيالة من حيث الانهاك ونصب الكمائن للدبابات والمشاة . وباضافة بعض عناصر المشاة اليها تزيد من امكاناتها وتقتصر بالقوى عند تكليفها بمهام وحدات الحد الامامي في بعض القطاعات . فاذا ماقام العدو بشن هجوم قوي يمكن لهذه الوحدات بما تملكه من أسلحة مضادة للدبابات من ان تعيق تقدمه ريثما

يتحرك الاحتياط كما تستطيع عند اللزوم تعزيز وحدات مماثلة عاملة في قطاع آخر وبسرعة لتشكل معها سدا منيعا مضادا للدبابات علـى الاجناب او في المؤخرات .

ان هذه التعديلات التنظيمية لو تمت في التشكيل الاميركي لامكن زيادة عدد الاسلحة المضادة للدبابات ثلاثة أضعاف في حين تخفض نفقات الادامة الى النصف ، مع زيادة القدرة على المناورة وتخفيض القدرة البشرية الى الثلث. وهذا مانعنيه بأن التكنولوجيا المرافقة بتعديلات في العقائد القتالية والتشكيلات تؤدي الى زيادة الفعالية .

ـ مركزية التعزيز والدعم :

ان الخطوة الثانية التي تتطلبها عملية ايجاد احتياطات قوية هي تخفيض وحدات الدعم على مستوى الفرق الى النصف والاستفادة من العناصر والعتاد الفائض لتشكيل وحدات جديدة . وان سحب القوات من الحد الادنى الـى الخلف قليلا وجمعها كاحتياط يسهل هذه المهمة اذ انها بذلك ستخفض مقدار حاجتها للتعزيز والدعم . ان هذا التخفيض في وحدات التعزيز يجب ان يشمل بشكل خاص الوحدات الادارية وجعلها مركزية ـ المنطق السوفياتي ـ بدلا من توزيعها على امتداد الجبهة . وطالما ان المعارك على المحاور الثانويـة للجبهة ستقتصر على عمليات تثبيت فان الدعم الاداري سيكون اقل وبالتالي يمكـن تركيز الجهد على محاور اكثر اهمية مـن الجبهـة حيث يركز العدو جهوده الرئيسية .

اما وحدات التعزيز الفرقية كما هي حاليا فهي ضرورية عندما تكـون الفرقة معرضة لهجوم رئيسي مباشر ولذلك بدلا من جعلها عضوية على كافة المستويات في الوقت الذي لن تحتاجها التشكيـلات كلها بآن واحد يمكـن تركيزها ودفعها نحو الاتجاهات المهددة وهكذا يمكن الاقتصاد بالقوى والاستفادة من عناصرها لتشكيل قطعات أخرى وحسب تقديرنا لن يحتاج حلف شمالي الاطلسي الا الى مايعادل نصف حجم هذه القوات مع المحافظة علـى قدراته القتاليـة .

ويتطلب تطبيق هذا الاقتراح اعادة النظر في مبادىء التنظيم لحلف شمالي الاطلسي . اولا بالتخلي عن فكرة التعزيز المتوازن لكافة التشكيلات فمن غير الضروري ان تكون كافة التشكيلات التابعة لجيش ميداني مكتفية ذاتيا وبشكل دائم بقطعات الدعم والتعزيز . يكفي ان تكون القطعات والتشكيلات المقاتلة على ثقة بأنها سوف تتلقى الدعم اللازم لها عند اللزوم . وهذا مرتبط بمدى الخسائر بالرجال والعتاد . اذ ليست الغاية دعم الجميع بآن واحد رغم عدم حاجتها بل بدعم القوات المحتاجة فعلا له .

ان التنظيم المبني على الاكتفاء الذاتي لكل تشكيل من حيث الدعم والتعزيز مناسب جدا وضروري عندما يكون التشكيل مكلفا بمهام بعيدة المدى كالحملات العسكرية اما التشكيلات المتمركزة دفاعيا او العاملة ضمن مسرح عمليات واحد فلا حاجة لها بذلك .

اضف الى ذلك كله ان هناك موارد محلية في كل منطقة يمكن الاستفادة منها زمن الحرب لزيادة قدرة التشكيلات مثل النقل والمساعدة الطبية والاعمال الهندسية والاتصالات الخ .

ـ نظام جديد للاستعواض :

ان الخطوة الثالثة التي تتبع منطقيا ماسبقها هي اعادة النظر في اسلوب الاستعواض عن الخسائر وجعله على اساس تبديل الوحدات لا الاستعواض انفردي . اذ ان الطريقة المتبعة حاليا في وحدات حلف شمالي الاطلسي تنص على تعويض الوحدات عن خسائرها بارسال افراد يحلوا محل المصابين وقد اعتبرت كل وحدة قادرة على متابعة القتال ريثما يتم تعويض الخسائر . اما تبديل الوحدة بكاملها فيجري فقط عندما تبلغ الخسائر نسبة مرتفعة تفقد الوحدة معها قدرتها على متابعة القتال .

ويعتمد مبدأ التعويض الفردي بالرجال والعتاد على اساس المحافظة المستمرة على القدرة القتالية للوحدة ولا شك ان هذا شبه مستحيل في حالة نشوب معارك شديدة . ولا شك ان الحرب النووية التكتيكية ستقضي نهائيا على هذا الاسلوب نظرا لكبر حجم الخسائر . اما في قتال تقليدي عنيف فان

الوحدات المستهدفة بالقتال والتي تكبدت خسائر يجب ان تنسحب الى الخلف لاعادة تنظيم نفسها والتعويض عن خسائرها في الوقت الذي تحل محلها وحدات جديدة .

ونجد ان بين هذين الاسلوبين هو ان التعويض الفردي اكثر اغراءا في حروب المشاة طويلة الامد حيث تدور المعارك على امتداد خط الجبهة . وقد كان هذا الاسلوب ملائما لظروف الحرب العالمية الثانية وحرب كوريا وفيتنام حيث كانت المواقف القتالية تسمح بسبب قلة الخسائر نسبيا وبشكل متعادل تقريبا للطرفين المتحاربين وبالتالي يمكن للوحدة المقاتلة ان تستوعب فورا اي عنصر او جماعة صغيرة جديدة .

ولكن في ظروف الحرب النووية التكتيكية : حروب تقليدية قصيرة الامد مع تركيز الجهود على تحقيق خرق المواقع الدفاعية ومن ثم التوغل في عمق الدفاع بسرعة فان التعويض عن الخسائر بوحدات قتالية متكاملة يبدو اكثر ملاءمة . وبوجود وحدات التعويض جاهزة في الخلف يمكن الاستفادة منها للتصدي للعدو كوحدة متكاملة وذلك لاستلام مهام وحدة اخرى تعرضت لخسائر كبيرة متوقعة عندما تكون في قطاع الخرق . وبهذا الاسلوب نكون قد انتقلنا فعلا من اسلوب الحرب الثابتة الى حرب الحركة .

ـ تشكيل فرق مخففة :

ستؤدي فكرة مركزية الدعم والتعزيز بالوحدات الى وفر بالرجال والعتاد لابد من استيعابها ضمن وحدات وتشكيلات مخففة القوة بدلا من الاسلوب الحالي المعتمد على مستودعات رجال وعتاد وبذلك يمكن تشكيل فرق اضافية مخففة العدد .

ان التكديس الكبير للاعتدة الحربية والاحتياطات المخزنية ومراكز تجمع الرجال انتظارا لتعويض الخسائر قد فقدت قيمتها في حرب قصيرة الامد خاصة اذا كان العدو قد هيأ نفسه لزج فرق جديدة بدلا عن الفرق التي خاضت المعارك فعلا ، لان مثل هذا الموقف سيقضي على كل توازن مطلوب. ربما كان ذلك مقبولا في حرب طويلة الامد اما في الحرب الصاعقة حيث يكتسح

المهاجم المواقع بسرعة فهو غير عملي وغير منطقي . وعلى قوات الدول الاوروبية الاعضاء في حلف شمالي الاطلسي ان تنظم نفسها للاستفادة بأسرع مايمكن من الموارد المعبأة . اما القوات العائدة للحلف والموجودة خارج القارة الاوروبية فلديها الوقت الكافي لاستيعاب عناصر جديدة وانتظار قوات التعزيز .

واذا ركزت دول حلف شمالي الاطلسي الوحدات الادارية وقوات الدعم بأيدي قيادة موحدة واتخذت الاجراءات الاخرى التي ورد ذكرها اعلاه فانها تستطيع توفير حوالي نصف هذه القوات ويمكنها الاستفادة منها لتشكيل فرق مخففه يتم اكمالها فور التعبئة وعند ذلك يمكن ان تتزايد فرق الحلف الى ثلاثه اضعاف . مثلا لو تم تبني عقيدة الاتحاد السوفياتي في مجال درجات الجاهزية الثلاث فان الدول الاوروبية الاربع – فرنسا ، المانيا ، بلجيكا وهولندا . قادرة على الاستفادة من فرقها الحالية الاثنتان والعشرون لتشكيل ستين فرقة مستفيدة من القوات العاملة الاحتياطية خمسة عشر منها بدرجة الجاهزية الاولى وعشرون بالدرجة الثانية وخمسة وعشرون بالدرجة الثالثة من الجاهزية . (هذا التقسيم يمكن تعديله بالطبع) ان المهم هو توفر فرق بدرجة جاهزية اولى قادرة على التصدي الفوري لاي هجوم مفاجيء واعاقة تقدم العدو ريثما يتم تعبئة ونشر فرق الدرجة الثانية اي بضعة ايام . وان خمسة عشرة فرقة بالاضافة الى القوات الاميركية والبريطانية والكندية كافية لهذه المهمة وهي بالفعل بنفس القوة القائمة حاليا ، وان وجود عشرين فرقة بالدرجة الثانية من الجاهزية والقادرة على خوض العمليات الحربية خلال ايام تقدم لحلف شمالي الاطلسي احتياطا قويا كافيا للحرب .

وبالامكان الحصول على ٩ فرق ونصف اميركية بدلا من اربعة ونصف الموجودة حاليا على المسرح الاوروبي لو طبقت نفس المبادىء هناك ، اما اذا نظمت الفرق على اساس الانتشار السريع فعند ذلك يمكن الحصول على مايوازى اربعة عشر فرقة ، بدون قوات اضافية .

ـ التعزيزات الاميركية والمستودعات الامامية :

على الرغم من القدرة الكبيرة للجسر الجوي الاميركي فان هناك قيودا

تفرض نفسها على عمليات التعزيز السريع . معظمها نابع مـن ضرورة التعزيز بوحدات كبيرة حسب الخطط الموضوعة وهذا يعني الاحتفاظ بتشكيلات قتالية جاهزة في الولايات المتحدة الاميركية ومن ثم استيعابها في خطة العمليات بعد اعطائها فترة للراحة وتهيئة نفسها لخوض الحرب .

ولكن اسلوب التعزيز بمجموعات من مئة الى مئتي مقاتل في كل مرة يمكن ان يحل هذا الاشكال،لسهولة استيعابهم في القطعات وخاصة اذا كانت اسلحتهم وعتادهم موجـودة لدى القطعات التي سيلتحقـون بها بدلا مـن تخزينها في « كيزوسلوتون » كما هو قائم حاليا ، عند ذلك يمكن تجنب الازدحام والتجمع قرب المستودعات بل يمكن ايصالهم الى أقرب مطار لوحداتهم .

ان هذا التنظيم يتطلب زيادة عدد السرايا في كل كتيبة لتصبح اربعة بدلا من ثلاثة (وزيادة كتيبتين لكل فرقة) وكذلك تخزين كافة الاعتدة والاسلحة الخاصة بها في الفرقة الام الموجودة في اوروبا وعلى مستوى الكتائب . ويمكن بهذه الحالة الاحتفاظ بالسرية الرابعة للكتيبة وكتيبة من الفرقة في الولايات المتحدة نفسها وتكون بقيادة نائب قائد الفرقة واللواء والكتيبة المخصصة لها. ولا بد من تخصيص وحدات من الاحتياط لتقوم بالتعزيز والوقت الكافي لذلك، وبذلك تبقى قوات الولايات المتحدة في أميركا بنفس قوتها .

يعني الموضوع بشكل عام الاحتفاظ زمن السلم بكتائب المشاة والدبابات بتشكيل ثلاثي في اوروبا وعند الحرب تعزز قوة هذه الكتائب بوصول السرايا الرابعة والكتيبة الاضافية للفرقة . وبالاضافة الى تزايد قوة الكتائب بوجـود السرية الرابعة حيث تسمح هذه الاخيرة للقائد بحرية العمل اذ ان التشكيـل الرباعي يسهل عمليات المناورة والاحتفاظ باحتياط كاف . ولا شك ان الكتيبة متى توفرت لها وسائل اتصال كافية فهي قادرة على استيعاب سرية رابعة .

كما ان التخزين المتقدم لعتاد الكتائب ذات السرايا الاربع سيقلل مـن الزمن اللازم للانتشار ويقلل من شدة تعرض المستودعات الرئيسية الموجودة على اوتوستراد « مانهايم كيزر لوترن » ويسمح بعد تبديل اسلوب التدريب بالتوفير بعدد وحدات التأمين .

اما الاسلوب المعتمد حاليا فانه يسبب مشاكل عدة اذ يتم نقل الفرق بكامل قوتها لتنزل وتتحرك نحو المستودعات الرئيسية حيث تتزود بالعتاد والسلاح تم تستعد للقتال ، ويتطلب ذلك وقتا لاباس به بالاضافة الى شدة تعرضها للخطر . وكلما كبرت الوحدة كلما تطلبت زمنا أطول للاستعداد . اما لو اقتصرت العملية على مستوى الكتائب فاننا نوفر وقتا كبيرا . وبالامكان نقل الرجال بطائرات مدنية الى مطارات متعددة في اوروبا ومن تم يلتحقون بقطعاتهم مما يوفر ايضا بعده الطائرات الحربية اللازمه . وعندما يكون التعزيز على مستوى السرايا فان الزمن الضائع يصبح قليل جدا .

ان الاعتراض الرئيسي على هذا الاقتراح هو ان تخزين العتاد قرب الحد الامامي يعرضه للخطر الشديد هذا صحيح ولكن التخزين في مستودعات ضخمة وفي العمق معرض ايضا للقصف والانزالات الجويه . كما هناك قائل بان خطر التخزين على المواقع الامامية كبير نظرا لان حلف شمالي الاطلسي لايتوقع ان تتمكن قواته من الصمود في مواقعها تجاه هجوم كبير معاد . ولكن الم توضع القوات الاميركية والبريطانيه والكندية في اوروبا لتحقيق الصمود . فالقوات الاميركية زمن السلم ستبلغ تسع فرق او مايعادلها اي ضعف القوات المقاتلة حاليا . فاذا كانت هذه القوات وبمساعدة القوات الحليفة الاخرى غير قادرة على الصمود لفترة اسبوعين فان موقف حلف شمالي الاطلسي سيء جدا وان بامكان قوات حلف وارسو بلوغ نهر الراين خلال أيام وتطويق القسم الاعظم من قوات حلف شمالي الاطلسي وعند ذلك لن يشكل هذا النهر اي مانع فعلي وسوف يمضي وقت طويل قبل وصول القوات الاميركية من الولايات المتحدة لتعزيز الدفاع عنه ، وكيف سيكون الموقف الحليف آنذاك أعتقد ان بامكاننا في مثل هذه الحالة ان نعتبر اننا خسرنا الحرب البرية .

ـ الخلاصة :

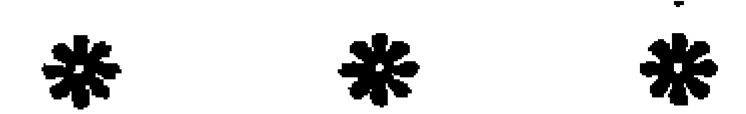
اوضحنا فيما سبق كيف ان بامكان حلف شمالي الاطلسي زيادة تعداد فرقه الى ثلاثة اضعاف تقريبا اي من ٢٩ فرقة الى ثمانين بنفس عدد الاشخاص سواء منهم الموجودين في الخدمة الفعلية او الاحتياطيين . ويتم هذا بمركزية الدعم الاداري والقتالي والتحول الى اسلوب التعزيز بالوحدات بدل الافراد

وزيادة الاعتماد على الموارد الاداريه المدنيه وتشكيل فرق محففة تم التعزيز بوحدات على مستوى الكتائب بدلا من التشكيلات الكبرى بالنسبة للقوات الاميركية والبريطانية والكندية . وسوف تتزايد أهمية الصدمة على حساب القوة النارية . ولكن على الرغم من ان هذا الاقتراح لن يتطلب زيادة عدد الرجال فانه يحتاج الى ميزانية خاصة ولمرة واحدة فقط تخصص لتأمين احتياجات الفرق الجديدة بالمعدات وقد تبلغ ٥ ـ ٧ آلاف مليون دولار .

أما الفرق في زمن الحرب والمخصصة للتعزيز والدعم فستنخفض الى النصف بالمقارنة مع فرق الاتحاد السوفياتي . وكما ان لدى الاتحاد السوفياتي عشرون فرقة في اطار مجموعة القوى السوفيابية في المانيا بالدرجه الاولى من الاستعداد القتالي ، فيمكن لحلف شمالي الاطلسي الاحتفاظ بعدد مماثل من الفرق مع دعمها بعدد اكبر من الاحتياطي .

كما ان اعادة تنظيم قوات حلف شمالي الاطلسي سوف تسمح لهذا الحلف بامتلاك القوى المناسبة لمجابهة قوات حلف وارسو بحرب تقليدية .

وسوف نحاول ان نوضح في القسم الثاني من هذا البحث مدى مايمكن للتكنولوجيا ان تقدمه في سبيل تحويل الموقف لصالح القوات المدافعة .



هـ ـ توزيع القوات لتحويل التفوق لصالح الدفاع

ـ مواقع محصنة صغيرة :

اذا ماتوفر لحلف شمالي الاطلسي عدد اكبر من الفرق وبالتالي اصبح لديه قوى احتياطية اكبر فانه يكون قد اكتسب مزيدا من المرونة يستطيع بها تبني أسلوب الدفاع المتحرك ومجابهة القوات التقليدية لحلف وارسو . ولكن الحلف بهذه الطريقة سوف يكسب بعض التفوق من حيث مقارنة القوى في ساحة القتال لاتفوقا دفاعيا فعليا لان تحقيق ذلك يتطلب دفاعاً منظما بالعمق للتصدي لاي خرق معاد محتمل . وان الدفاع العميق مع مايرافقه من ضرورة احتلال فعلي لبعض المواقع يتطلب قوى بشرية غير متوفرة لدى حلف شمالي الاطلسي حتى بعد اعادة التنظيم ، وحتى لو توفرت فانها ستكون عرضة للقصف النووي الا اذا وزعت بشكل وحدات وقطعات صغيرة نسبيا . ـ مواقع محصنة على مستوى السرايا مثلا لا على مستوى الكتائب كما هو الحال الآن . وبذلك يمكن ان نعمق الدفاع على اسلوب رقعة الشطرنج . ولتحقيق ذلك يجب ان نصحح الاسلوب المتبع حاليا للوسائط التكنولوجية وكذلك العقيدة التكتيكية وأسلوب التنظيم ليصبح دفاعنا قويا في كل مكان ومنتشرا في الجبهة والعمق.

ان المشكلة التي تجابهنا هنا وتتطلب حلا هي ، كيف يمكن للسرايا المنعزلة الصمود في وجه هجوم مفاجيء بالدبابات والمشاة وخاصة في ظروف الرؤية السيئة ؟ ان نظرة سريعة على التطورات التنظيمية التي اتبعها الجيش الاميركي توضح هذه النقطة . خلال الحرب العالمية الثانية كانت النقطة المحصنة تحتل بقوى كتيبة بتعداد حوالي الف مقاتل . وفي عام ١٩٥٦ وبدخول الفرقة الخماسية قيد التطبيق اصبحت المواقع المحصنة تحتل بمجموعة قتالية تعدادها حوالي الفي رجل . وفي اطار عملية اعادة التنظيم عام ١٩٦٢ للفرق التابعة للجيش تمت العودة مجددا الى مستوى الكتائب التي اصبحت ميكانيكية لاحتلال

النقاط المحصنة اذ تبين انه بالرغم من تزويد القوات بعربات مدرعة حديثة وزيادة القدرة النارية بالاسلحة الفردية الجديدة واسلحة الناقلات المدرعة ومدفعية الميدان التي تحولت من عيار ١٠٥ الى ١٥٥ ملم فانه لم يكن من الممكن الاكتفاء باحتلال هذه النقاط بقوى السرايا المنعزلة بموجب العقيدة القتالية الا في بعض المواقع المكلفة بمهام تعطيلية ، وبقي الدفاع يستند الى مواقع الكتائب المؤلفة من مواقع سرايا متعاونة فيما بينها بالنظر والنار وضمن موقع محصن واحد لكتيبة . وأكثر من ذلك وبما ان الفرقة المعززة تضم من عشرة الى احدى عشرة كتيبة مقاتلة فان ستة او ثمانية منها فقط يمكن ان تحتل هذه المواقع لضرورة الاحتفاظ بالباقي كاحتياط . ومن الواضح ان حلف شمالي الاطلسي لايملك العدد الكافي من القوى لتبني هذا النوع من الدفاع اذ ان خسارة بعض المواقع المحصنة قد يؤدي الى نجاح العدو في القيام بخرق مدرع عميق.

ان العنصر الرئيسي الذي كان يفتقده المدافعون هو وسائل الدفاع الفعالة والكافية للتصدي للدبابات ليلا نهارا ، اما الآن فان التكنولوجيا قد وفرت ذلك وبتكاليف مقبولة مما يسمح لنقطة محصنة على مستوى السرية بل ونصف السرية ان تؤمن دفاعا فعالا . وكان السلاح الفعال فعلا ضد الدبابات ، حتى الآن ، هو المدفع المضاد للدبابات المحمول على عربة مدرعة او هيكل مدرع ونظرا لعدم ملاءمة مثل هذه الاسلحة للواقع اضطر كل قائد الى تخصيص سرية دبابات لتعزيز الدفاع المضاد للدرع لكل كتيبة مشاة . وبالتالي أصبح لدينا قوة مختلطة من المشاة والدبابات سواء على الحد الامامي او في الوحدات الاحتياطية المكلفة بالهجمات المضادة . وكان الجيل الاول من الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات غير دقيقة وشديدة التعرض ولا يمكن الاعتماد عليها .

أما الاسلحة عديمة الارتداد فكانت ضعيفة من حيث دقة الاصابة وكذلك من حيث الاستخدام بسبب اللهب الشديد الناتج عن الاطلاق من مؤخرة السبطانة وايضا بسبب شدة تعرض سدنتها . ولم تكن الاسلحة الخفيفة قاذفة الصواريخ ذات عيار ٣٫٥ انش دقيقة وقصيرة المدى .

اما وقد أصبحت التكنولوجيا قادرة على تبديل كل هذا : فالصواريخ الموجهة المضادة للدبابات مثل الصاروخ الاميركي نوع « تاو » بمداه البالغ

ضعف مدى مدفع الدبابة ، والمدفع المضاد عديم التراجع قد حل محله مدافع ذات ضغط منخفض بقذائف مجنحة ومحرك شبه مستقيم يؤمن زيادة عالية في دقة الاصابة حتى مدى الف متر. ونظرا لان هذه الاسلحة خفيفة نسبيا وقليلة الضغط يمكن تحميلها على عربات مدرعة خفيفة تسير على عجلات على الاقل في أوروبا بسبب طبيعة الارض. بالاضافة الى ذلك هناك أسلحة مضادة للدرع صغيرة الحجم مثل السلاح الالماني « ارمبروست » ، وبهذا يمكننا ان نضع في كل حفرة سلاحا مضادا وعندما تنتفي الحاجة القتالية له يمكن تخزينه في العربة. أخيرا يستطيع الليزر والتوجيه بالاشعة تحت الحمراء اعطاء المدفعية والهاونات امكانيات ممتازة لتكون سلاحا مدمرا للدبابات .

ويمكن لاجهزة الرؤية الليلية ووسائل الانذار الالكترونية التي تساهدت تطورا كبيرا في فيتنام ان تؤمن لوحدة صغيرة مدافعة حماية فعالة ضد كل مفاجأة في ظروف الرؤية السيئة بل وتسمح للاسلحة المضادة للدبابات ان تفتح النار ليلا .

وهكذا وبعد توفر الاعتدة التكنولوجية الحديثة لم تعد المواقع المحصنة على مستوى الكتائب ضرورية . اذ لو ركبت المدافع المضادة ذات الضغط المنخفض على عربات مدرعة فان كتيبة مشاة مدرعة من ٦٥٠ رجل بسراياها الاربعة يمكن ان يتوفر لديها ٧٠ سلاحا رئيسيا مضادا للدبابات ويمكن دعمها بالقدرة التدميرية الجديدة المضادة للدبابات بالمدفعية والهاونات . مع العلم ان الكتيبة الاميركية الجديدة تضم ثلاث سرايا مشاة وفصيلة مدافع مضادة للدبابات وفصيلة استطلاع ويبلغ تعداد الرجال فيها ٨٨٨ . وقبل عام ١٩٧٢ كانت تملك ثماني أسلحة مضادة للدبابات رئيسية و ١٨ سلاح م/د خفيف . اما الآن فهي تملك ١٨ سلاح نوع تاو و ٢٧ سلاح م/د نوع دراغون أي ٤٥ سلاح م/د مطور.

كما يمكن زيادة عدد الاسلحة المضادة للدبابات الخفيفة من ١٨ في الكتيبة الحالية الى ٣٨ في الكتيبة المقترحة . ويمكن ان نقدر قيمة القدرة النارية المضادة للدبابات الحالية اذا ماعلمنا انه قبل عام ١٩٧٠ كان نظام الاسلحة م/د عبارة عن مدافع عيار ١٠٦ مم مركبة على عربات جيب . وبالاختصار نقول أنه بعد توفر الاجهزة المساعدة للرؤية الليلية والاسلحة المضادة للدبابات الحديثة

فان كل سرية أصبحت اقوى من كتيبة كاملة قبل عام ١٩٧٠ ويمكن توزيع هذه الكتيبة على أربع نقاط محصنة .

ونجد أن هناك خمس نواحي هامة سوف تنجم عن هـذه التبديلات . أولا لم تعد هناك ضرورة للدبابات الباهظة الثمن لحماية المشاة ويمكن الاحتفاظ بها في القوة المكلفة بشن الهجمات المضادة . ثانيا يمكن توزيع المشاة المدرعةالى نوعين : مشاة مخصصة للدفاع تحتاج فقط الى عربات مدرعة علـى عجـلات ومشاة مهاجمة مكلفة بمرافقة ودعم الدبابات وهده الاخـيرة فقط هي التي تحتاج الى أعتدة غالية الثمن (هذا التقسيم مماثل للتنظيم الالماني خلالالحرب العالمية الثانية في حين ان ٢٦ بالمئة من القوات الاميركية كانت مؤلفة من فرق مدرعة بمعدل واحدة لكل فيلق مشاة في حين ان فرق البانزر الالمانية لم تكن تزيد عن نسبة ١٨٪ في القوات الالمانية) .

ثالثا نظرا لتبدل دور المشاة والخيالة المدرعه عن مهامها المضادة للمشاة الى مضادة للآليات كما يمكن تزويدها بأسلحة مضادة للطائرات أيضا ، ويمكن الاستفادة من هذه الاسلحة لتدمير اسلحة العدو المضادة للدبابات خاصة وان حلف وارسو لايتبع نفس الاسلوب الغربي في الدعم الجوي . ونحن نعتقد ان سلاحا مماثلا للمدفع الروسي الرباعي السبطانات عيار ٢٣ ملم المضاد للطائرات هو سلاح نموذجي لمثل هذه المهام . وان الاستعاضة عن بعض الاسلحةالمضادة للدبابات بأسلحة مضادة للطائرات لايقلل من قيمة الدفاع المضاد للدبابات اذ ان أية قوة مدرعة سوفياتية مهاجمة سوف تضم عربات مدرعة قليلة التصفيح.

اما بالنسبة للمشاة الدفاعية فان للمدافع المتعددة السبطانات اهميـة كبرى اذ انها مفيـدة ليس فقط ضد الطائرات بل أيضـا للقتال الليلي ضد العربات المدرعة الخفيفة . وتستفيد القوات المخصصة للهجمات المضادة من هذه الاسلحة أيضا للتغطية الجوية اثناء تحركها حيث تكون مكشـوفة تماما وكذلك للتعامل مع الصواريخ المضادة للدبابات وأيضا ضد المشاة في القتـال القريب .

رابعا ان تبسيط مهام وعتاد وحدة ما يسهل عملية التدريب وبالتالي عملية التعبئة كما هو مفيد للاستفادة من خدمة المجندين المستدعين لخدمة قصيرة الامد والمتطوعين غير المؤهلين علميا .

خامسا اذا قررت قيادة حلف شمالي الاطلسي اعادة تنظيم قواتها وفق هذه المقترحات فان لديها فعلا دبابات وعربات مدرعة كافية اما ماينقصها من عربات مدرعة لزيادة عدد الوحدات المقاتلة فان قيمتها قليلة نسبيا .

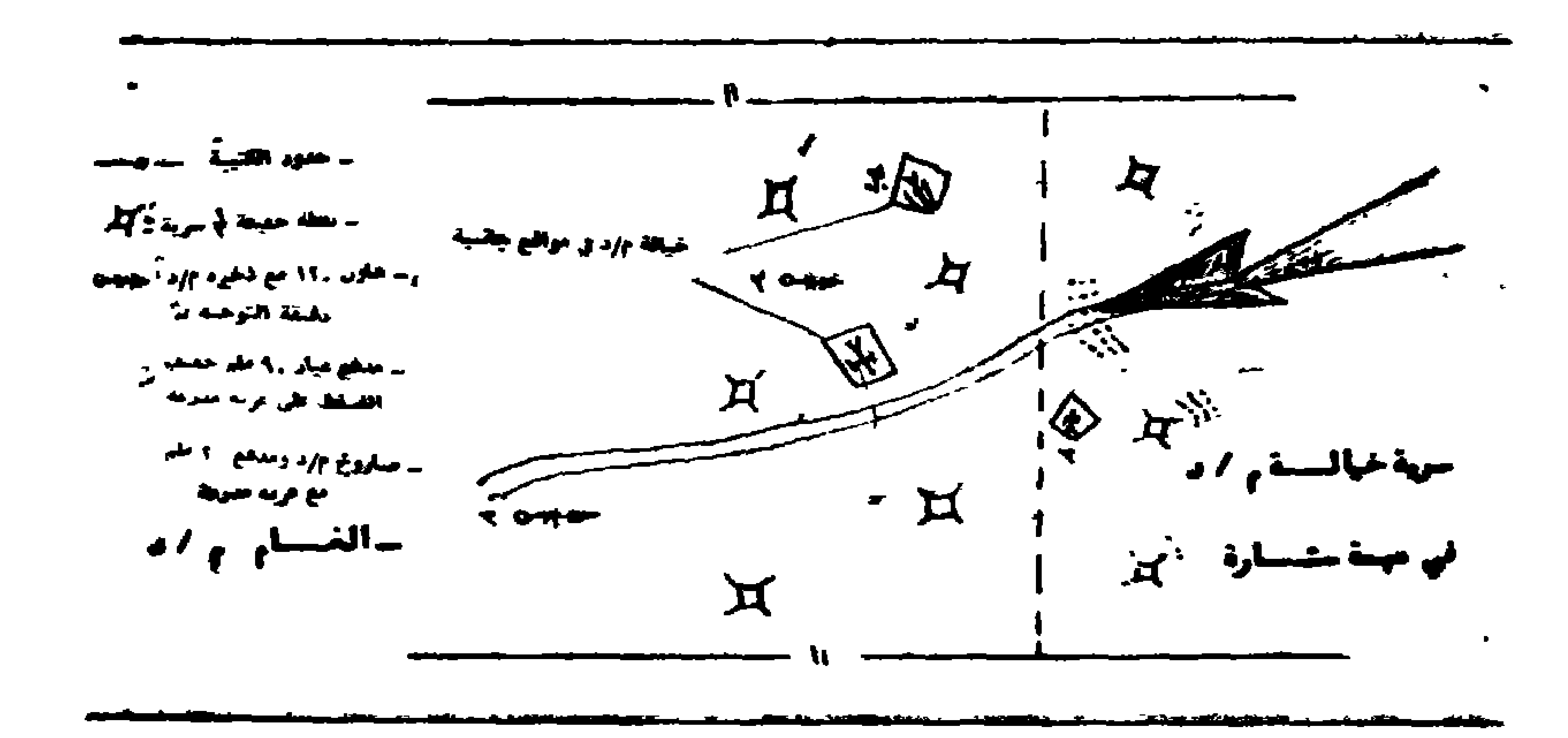
ـ الدفاع الشطرنجي ـ بنقاط محصنة صغيرة :

ثبت ان اسلوب الدفاع الشطرنجي المنتشر بالجبهة والعمق مفيد جدا في ظروف الحرب النووية التكتيكية . فالانتشار مطلوب لتخفيض آثار الاسلحة النووية . اما الانتشار بالعمق فهو مرغوب لان أي خط دفاعي أو مجموعة خطوط قابل للاختراق بواسطة المدرعات المعادية خاصة اذا استخدمت الاسلحة النووية التكتيكية .

والدفاع المنسق بالعمق هو وحده القادر على التصدي لخرق هجوم مدرع وانهاك القوات المهاجمة ريثما تقوم القوى الاحتياطية بالهجوم المضاد لتدميره أو اجباره على التراجع . ومع ان هذا الاسلوب الدفاعي (الشطرنجي) مناسب لظروف الحرب النووية التكتيكية فانه يبدو فعالا أيضا في ظروف الحرب التقليدية ولكنه لم يطبق حتى الآن نظرا لانه يتطلب قوى بشرية أكبر . وبالفعل لو أردنا تنظيم دفاع شطرنجي عبر السرج الالماني الغربي فاننا نجد ذلك مستحيلا . ولكن وكما أوضحنا سابقا فان المطلوب ليس دفاعا يغطي كامل الجبهة الوسطى وبنفس الوقت الذي أوضحنا به أنه بالامكان زيادة حجم فرق حلف شمالي الاطلسي الى ثلاثة أضعاف .

والمزيج بين هذين العاملين يجعل امكانية تطبيق هذا الاسلوب الدفاعي واقعية . (ممكنا) كما توضح ذلك الامثلة التالية :

١ ـ يمكن للفرقة المعززة حسب التنظيم الحالي لحلف شمالي الاطلسي وبرجالها البالغ عددهم ٤٠ الفا ان تنشىء عشر مواقع محصنة بقوة



الشكل رقم ــ ١ ــ

دفاع كتيبة مشاة مدرعة بالاسلوب الشطرنجي مع نقاط محصنة بقوة نصف سرية لكل منها

كتيبة لكل منها . اما لو أعيد تنظيمها وفق اقتراحنا فبالامكان الاستفادة من الاربعين الف مقاتل لانشاء فرقتين واقامة مواقع محصنة بقوةسرية لكل منها فيصبح عدد هذه المواقع ثمانون موقعا .

٢ ــ واذا ماحافظنا على أسلوب التعويض الفردي للخســـائر المطبق خـــلال السلم فان حلف شمالي الاطلسي سيجد صعوبة كبيرة في تبديل الوحدات المضروبة بالاسلحة النووية التكتيكية او خسرت قسما كبيرا منها نتيجة هجوم كاسح سوفياتي . اما لو طبقنا اسلوب التبديل بوحدات كاملـــة لكانت الصعوبات أقل . ثم بتشكيل فرق جديدة كما ذكرنا اعلاه يمكن

زيادة عدد المواقع المحصنة بنسبة ٤٠٪ وقد تتمكن الفرقـه مـن نشر ١١٠ موقعا بدلا من العشرة الموجودة حاليا اذ لو نظمنا اسلوب التعبئـة بهدف تعزيز المواقع المحصنة فان نسبة ١١ الى ١ يمكن زيادتها .

٣ ـ ان اعادة التنظيم والتشكيل يسمح لحلف شمالي الاطلسي بامتلاك ثمانين فرقة . فلو احتفظنا بستين فرقة في الاحتياط ونشرنا خمسة عشر فرقة قريبا من الحدود بالاضافة الى خمس فرق خيالة مضادة للدبابات كستارة فان عرض الجبهة المتوسطة لكل فرقة (عدا فرق الخيالة) يكون ٥٠كم . ونظرا للاختلاف بين المحاور من حيث تعرضها للتهديد فان هذا القطاع الخاص بكل فرقة يمكن ان يصبح ٨٠ كم في بافاديا مثلا كما يمكـن ان يضيق حتى ٣٠ كم بين « فولدا » و « هانوفر » .

ولا شك ان هذه الفرق الموجودة على الحد الامامي ستكون بالدرجةالاولى من الاستعداد . وعندما تسمح طبيعة الارض بذلك ـ كما في بافاريا ـ يمكـن للفرقة ان تنتشر دفاعيا بالاسلوب الشطرنجي على جبهة ٥٠ كم عرضا و ٨٠كم عمقا . ولا شك انها بالاستفادة من الحواجز الطبيعية والاصطناعية الموجودة أمام الجبهة ، وبالمراقبة الجيدة للارض بالنظر وبالنيران بالاضافة الى ضعف احتمال الهجوم المعادي من هذا الاتجاه فان المواقع المحصنة بقوى نصف سرية لكل منها تغطي جبهة وعمق حوالي ٢ر٥ كم كافية لاحتواء الهجـوم المعادي بالتعاون مع الستارة التي تشكلها الخيالة المضادة للمدرعات .

اما في المناطق الاشد خطرا فبالامكان زيادة قوة المواقع المحصنة الى قوة سرية وتضييق المسافات بينها ومن ثم نشكل فرق اضافية (خلفها) لتعميق الدفاع .

وتكمن مشكلة المدافع في كشف المحور الرئيسي للهجوم المعادي ومن ثم تركيز جهوده على هذا المحور . ان حلف وارسو لايملك القوى والوسائط الادارية اللازمة للقيام بهجوم قوي على امتداد الجبهة ولا شك انه سيعمد الى تضليل المدافعين بالايحاء بان هجومه الرئيسي في قطاع ما في حين يكون محور جهـده الرئيسي في قطاع آخر . لذلك تبقى مشكلة حلف شمالي الاطلسي في كشف

النوايا الحقيقية وربما اضطر الامر للتصدي لحوالي ست هجمات بينها ثلاثة فقط او هجومين رئيسيين . واحد اساليب كشف نوايا العدو هو مراقبة مؤخراته لكشف مواقع تمركز وتحرك قوات الانساق التالية . على كل حال ونظرا لتعدد اساليب الخداع ، والمفاجأة او في حالة قيام العدو بالهجوم كرد فعل لموقف معين فان على قائد الدفاع ان يخطط لتغطية معظم قطاع دفاعهمع مراعاة الاقتصاد بالقوى والا يستخدم احتياطه القريب الا عندما يتأكد من ان القوات الامامية غير كافية . وعندما يشعر بان قواته رغم زج احتياطه القريب غير كافية يطلب الاحتياط التالي مستفيدا من الوقت الذي أمنته القوات الامامية في أعاقة وعرقلة الهجوم ، بواسطة الحواجز والنيران . ونظرا لان قوة العدو ايضا محدودة فان هذه الاجراءات يجب ان تكون كافية لمنع الخرق او تضييق رقعته . ويستطيع العدو ان يخرق الدفاع فقط عندما تتوفر له القوى اللازمة وهذا لايتم الا حيث حشد فعلا هذه القوات اي على محاور الهجوم الرئيسية وعند ذلك يمكن ان يخرق على جبهة ٣٠ ــ ٤٠ كم .

وما ان يتم تحديد محور الجهد الرئيسي للهجوم على حلف شمالي الاطلسي ان يعمل على تخفيض القوة الدفاعية في القطاعات الاخرى ويستفيد من القوات المتوفرة لتشكيل قوة احتياطية اضافية . اذ انه مالم تكن قيادة الحلف قد خططت للقيام بخرق مضاد في قطاع آخر فان القوات الموجودة هناك لافائدة لها واي قتال تخوضه لن يؤثر على مجرى المعركة العام ولا معنى لتكبيد العدو خسائر اكبر على قطاع ثانوي طالما ان هجومه الرئيسي قد نجح وبدا يعمل على تطويق كامل القوات المدافعة من الخلف . ان السبب الاساسي لقائد الدفاع للاهتمام بقطاع ثانوي هو احتمال ان يصبح هذا القطاع محورا رئيسيا اما لقوة اخرى مكلفة بالتطويق او بسبب تعثر الهجوم الرئيسي . ولهذا يجب ان يستمر القتال على مثل هذا القطاع انما بأدنى مستوى ممكن مع تجنب كثرة الاستهلاك بالذخيرة والعتاد خاصة وانه تبعا لاقتراحنا لن يكون هناك مستودعات امامية منتشرة على طول امتداد الجبهة .

ان السبب الكامن وراء وضع القوات ، التي كانت مخصصة للعمل على الحد الامامي بمهمة كشف نوايا العدو ، في الاحتياط ، هو ان توزيعها بالاسلوب

الشطرنجي في العمق حول المنطقة التي ركز عبرها العدو جهده الرئيسي يسمح بتوفير أكثر من نصف القوات الموجودة في الاحتياط العام . وهذا مايسمح لحلف شمالي الاطلسي بتخفيض عدد الفرق الاحتياطية الموجودة بدرجة الجاهزية الاولى . وبالاضافة الى ذلك فان المعروف ان الضربة المدرعة بالتعاون مع القصف النووي التكتيكي يؤدي الى ايقاع سريع للهجوم ولا بد من اتخاذ تدابير سريعة خوفا من أن تتعرض القوى الاحتياطية لضربة نووية تعيق تحركها في الوقت المناسب .

ان عقب اخيل في اسلوب الدفاع الشطرنجي ليس في النظام نفسه بل في عدم امكانية تنظيم هذا الدفاع بشكل يمنع العدو من مفاجأتنا وبالتالي تحقيق انتصارات تكتيكية يستثمرها بسرعة . ويتم تلافي مثل هذه المواقف بمرونة القائد اذ انه لو حدث خرق معاد فان قوات الهجوم المضاد المدرعة كافية لتنفيذ دفاع متحرك ريثما تعيد الفرق تنظيم نفسها وتضييق الخناق على القوة المخترقة عبر سلسلة من التحركات المدروسة مع العلم انها قد تفقد بعض المواقع والمناطق .

ولا بد من تكليف القوى الجوية التكتيكية بالتعامل مع العدو المخترق ويجب أن تدرب على املاء الفراغ في الدفاع اثناء قيام القوات بتبديل مواقعها أو اثناء انتشار القوى الاحتياطية .

لاشك ان الدفاع المبني على اساس مواقع محصنة يترك فراغات بين موقع وآخر ولكن ذلك يجب الا نعتبره خطرا اذ ان الاسلحة الآلية وذخائر المدفعية المطورة قادرة على ايقاف المشاة الراجلة او الراكبة وخاصة في مناطق مكشوفة مثل اوروبا . يمكن للمشاة المعادية ان تتسلل ليلا ــ وهو تكتيك سوفياتي خلال الحرب العالمية الثانية ــ ولكن هذا الاسلوب بطيء جدا ولا يفيد الا في عمليات نزع الالغام امام الدبابات المكلفة بالخرق . ولكن المواقع المحصنة قادرة على منع هذه العمليات وعندما يسعى المتسللون للتجمع بهدف مهاجمة نقطة ما فانهم بذلك يعرضون انفسهم لرمايات المدفعية .

اما ضد هجوم بالدبابات فان افضل تكتيك دفاعي هو السماح للعدو بتطبيق عقيدته القتالية المفضلة لديه وهي القيام بالخرق في المواقع الضعيفة

أو عبر الفرج . وفي حين ان الاسلوب الدفاعي الحالي المبني على اساس قطعات منعزلة تفتقر الى وسائط مضادة للدبابات كافية للتأثير على العدو يؤدي الى اشاعة الذعر بين افرادها خوفا من التطويق ، فان الاسلوب الدفاعي الذي نقترحه يزيل كل دواعي الخوف من التطويق اذ ان عناصر الموقع لم تعد بحاجة الى مساندة فورية خارجية بسبب توفر احتياطات لديها داخل الموقع وعلى عربات السلاح نفسها بالاضافة الى انها تملك وسائط مضادة للدبابات كافية ولا خوف مطلقا من خرق يقوم به العدو طالما انه لم يخترق النطاق الدفاعي بكامل عمقه . واذا لم يتمكن العدو من اكتساح المواقع الدفاعية فان النقاط المحصنة قادرة على انهاكه بصورة مستمرة بواسطة الاسلحة المضادة للدبابات وبالمدفعية بعيدة المدى الدقيقة الاصابة وقادرة على تدمير دباباته وعرباته المدرعة سواء على الحد الامامي او في العمق .

اما الفرج بين المواقع المحصنة فبالامكان أيضا تغطيتها بسرايا الخيالة المدرعة الجديدة . وتبقى هذه المهمة صعبة في ظروف الرؤية السيئة . ولكن هذه الظروف نفسها تعيق عمل المهاجم ايضا وتحد من مناورته ويمكن دفع مجموعات صغيرة من المواقع لنصب كمائن للعدو المخترق لاعاقة تقدمه وتجبره على نشر مشاته الراجلة للتعامل معها وهذا مايبطىء سرعة التقدم ويستهلك قوات تعمل بوحدات صغيرة وبالتالي يمكن شلها بواسطة المدفعية التي يملكها المدافع .

واذا ما اعتمد المهاجم تكتيك التوغل السريع بالعمق دون ان يشتبك مع النقاط المحصنة الامامية تاركا اياها لوحدات الانساق الثانية فان ذلك يتطلب منه ان يعمل على جبهة عرضها بين ٢٠ ــ ٣٠ كم ويتوغل الى عمق ١٠ ــ ١٥كم بهدف ابعاد النقاط الامامية عن مجال دعم المدفعية لها ــ وسوف تتضاعف هذه الارقام عند ادخال المدفعية المطورة بعيدة المدى مع العلم ان المهاجم اكثر تعرضا لنيران المدفعية والقصف الجوي التكتيكي من المدافع ــ وهذا الاسلوب الهجومي ليس سهلا اذ ان النقاط المحصنة بما تمتلكه من اسلحة واعتدة سوف تثابر على المقاومة وازعاج ارتال الهجوم كما أن بعضها يحتاج للقضاء عليها شن هجوم قوي ، خاصة وان الدبابات المتوفرة للمدافع يمكن ان تعمل

اولا للرمي من الثبات ثم تشكل نواة للهجمات المعاكسة . وان افضل الشروط الملائمة للمهاجم لاختراق مرابض المدفعية هي في الظروف الجوية السيئة المستمرة لفترة طويلة وهذا عادة قد يحدث شتاء عندما نكون امكانية التحرك صعبة .

ويهدف الدفاع الشطرنجي اساسا الى احتواء الدبابات المهاجمة داخل شبكة الدفاع وعرقلة تقدمها واضعافها وبالتالي خلق الظروف المناسبة لشن هجمات مضادة . وفي حين نقبل في الدفاع المتحرك التخلي عن بعض المناطق والتنازل عن مزايا الدفاع الثابت بهدف التقليل من مزايا المباداة المعادية، فان الدفاع الشطرنجي يسمح بتطبيق اسلوب الدفاع المتحرك دونما التخلي عن الارض . وذلك بالتصدي لاي خرق معاد بقوىعدة نقاط محصنة وبالاحتياطات القريبة ثم بالاحتياط العام او الاحتياط المشكل من قوى النقاط الاخرى غير المعرضة . ويتميز الدفاع الشطرنجي بامكانية شل بعض المزايا التي يكسبها العدو بمباداته بالهجوم ويحافظ على ميزة الدفاع التقليدية نسبة واحد الى ثلاثة محليا ، يتابع مهمة ايقاف العدو على كافة القطاعات عن قطاع الخرق الرئيسي مع امتصاص قوة الهجوم جزئيا ، يستفيد من الاحتياطات القريبة بدلا من الاعتماد على احتياطات الدبابات الكبيرة الباهظة الثمن ، اي الاقتصاد بالقوى .

باختصار ان الدفاع الشطرنجي هو الشكل الافضل للدفاع ضد الهجمات المدرعة ولا شك انه يسمح للمدافع بالسيطرة على ساحة المعركة .

أما الدفاع المتحرك فانه يتمتع بميزة ضئيلة على المهاجم لانه اساسا مبني على التصدي للمهاجم بنفس اسلوبه التكتيكي اي بحرب الحركة . في حين ان الدفاع الشطرنجي لايتطلب الحركة اذ ان المدفعية الميدانية والاسلحة الرشاشة تتكفل بالمشاة وتقوم الاسلحة المضادة والالغام بالتصدي للدبابات.

ـ الاسلحة النووية التكتيكية : دفاع شطرنجي ام متحرك .

كما شرحنا سابقا ان مشكلة حلف شمالي الاطلسي مع الاسلحة النووية التكتيكية هي أولا عدم الثقة بقدرات القوات التقليدية مع بعض الشكوك حول توفر النوايا السياسية لاستخدام هذه الاسلحة عند الضرورة .

وفي الوقت الذي كان من المفروض ان تعزز الاسلحة النووية التكتيكية الدفاع الاوروبي فانها على العكس من ذلك دعمت قوة حلف وارسو . والسبب بسيط وهو وجود دفاع يفتقر الى العمق ومشكل من عدد قليل نسبيا من الكتائب الكبيرة الحجم مما يسهل على المهاجم كشف مواقع هذه الكتائب ومهاجمتها بضربة نووية ثم دفع دباباته بسرعة عبر الثغرة الناجمة عن القصف.

قد يكون في اعادة تنظيم القوات وجعلها في احجام اكبر حل مناسب لتفادي هذه النواقص اذ نسمح بذلك بتطبيق اسلوب الدفاع المتحرك بفعالية اكبر وتجعل المدافع على قدم المساواة مع المهاجم ويتساوى الطرفان من حيث احتمال تعرضها للقصف النووي . ولكن للدفاع الشطرنجي مزايا اكبر .

فالخطر الذي تتعرض له القوات الامامية اقل بسبب توزعها من حيث التمركز ولقلة حجمها كما ان المدافع يتميز عن المهاجم بامكانية الرصدوالمراقبة من عدة نقاط محصنة . ومتى كان الدفاع الشطرنجي مطبقا عمليا بشكل مناسب فانه لايسمح بالاختراق الا اذا قام العدو بالتعامل مع كامل قوات الجبهة وهذا يتطلب حجما كبيرا من الاسلحة والعتاد تكون معرضة للقصف النووي . ومع ذلك ما ان يتم الاشتباك بين قوات الطرفين حتى تصبحامكانية استخدام الاسلحة النووية اقل احتمالا اذ قد تتعرض قوات المهاجم نفسها لخطرها ، ولا يوجد جيش مستعد للتضحية برجاله بهذه السهولة . على كل حال ما ان يبدأ احد الطرفين باستخدام السلاح النووي حتى تفقد القوات البرية اهميتها اذ سوف تتحول الحرب الى تدمير متبادل .

اما اذا اقتصر استخدام السلاح النووي على القدرات التدميرية المنخفضة فان الدفاع الشطرنجي يكون اكثر ملاءمة والرجال اقل تعرضا اي ان هذا القصف يكون لصالح المدافع اكثر منه للمهاجم . ان جوهر الحرب النووية التكتيكية يكمن في دفع العدو الى التجمع ومن ثم قصفه نوويا لتكبيده خسائر اكبر مما يستطيع هو تكبيد المهاجم لو استخدم نفس السلاح . لهذا نتجنب هذا الموقف في حال تطبيقنا لاسلوب الدفاع الشطرنجي . في حين ان الدفاع المتحرك يتطلب حشد قوى كبيرة في منطقة ما قبل الانطلاق للهجوم.

الجدول ـ ٢ ـ

تأثير السلاح النووي ـ انفجار سطحي

قوة الانفجار كيلو طن	اصابة متوسطة لحوامات رابضة	اصابة الاشخاص المكشوفين	اصابة الاشخاص الملتجئين	اصابة متوسطة للآليات ذات العجلات	اصابة متوسطة للدبابات وعالية للمدفعية
٥ر٠	٧١٠	٤٧٠	٣٣٠	١٩٠	٨٠
١	٩٣٠	٥٧٠	٤٢٠	٢٦٠	١٣٠
١٠	٢١٧٠	٩٣٠	٧٣٠	٧٣٠	٣٥٠
١٠٠	٤٩٦٠	٢٥٧٠	١١٢٠	١٩٧٠	٩٥٠
١٠٠٠	١٠٦٩٠	٧١١٠	٢٢٠٠	٤٩٤٠	٢٣٩٠

ـ الارقام تدل على نصف القطر الخطر مقدرة بالامتار :

ـ اعادة التنظيم :

ان العامل الثالث للدفاع الجيد بعد امكانية الثبات واستنزاف العدو المهاجم هو قدرته على تفادي المفاجآت واعادة تنظيم البنيـة الدفاعيـة بعد تعرضه للهجوم . وهذا تابع للامكانيات المتوفرة . والعوامل الثلاث مرتبطة ارتباطا وثيقا ببعضها البعض . مثلا اذا كانت قوات الجبهة قوية قادرة على الصمود ، كما في الحرب العالمية الاولى ، فان احتياطا صغير الحجم يكون كافيا اما اذا كان احتمال الخرق واردا فالمطلوب توفر احتياطات كبـيرة . ويشكو حلف شمالي الاطلسي حاليا من افتقاره الى احتياطات كبيرة الحجم ، رغم انها قد تتوفر بعد عدة اشهر من التعبئة المكثفة ووصـول الدعم بحرا مـن شمالي اميركا .

وان عملية اعادة التنظيم المقترحة قادرة على تأمين الاحتياطات اللازمة لتنظيم دفاع متحرك فعال ولكن اعادة التنظيم والتكنولوجيا الجديدة المتطورة تؤمن ايضا امكانية جيدة لتطبيق الدفاع الشطرنجي . وفيما يتعلق بالاحتياط فان الخلاف بين الاسلوبين هو في حجم الاحتياط المدرع . فالدفاع المتحرك يهتم بشكل خاص بالهجمات المضادة التي تقوم بها الدبابات ، اما الدفاع الشطرنجي فيركز على حشد القوات الدفاعية حول اي خرق منتظر .

على الدفاع الشطرنجي ان يستوعب الخرق المعادي والتغلب على مثالب الحرب المدرعة والحرب النووية . ولكن وكما قال كلاوزفيتز «ضباب الحرب» يمكن لما هو متوقع ان يصبح غير محتمل وان الدفاع الشطرنجي ايضا بحاجة الى احتياط قوي بالدبابات ليتمكن من تدمير العدو الذي جرى استنزافه من قبل القوات المدافعة وكذلك لستر عملية الانسحاب في حال الفشل . في الواقع هذه هي المهام التقليدية لاي احتياط ولكن هناك ثلاث نقاط هامة تفرق بين احتياط الدبابات في الدفاع الشطرنجي وبين المهام المسندة الى قوات الاحتياط في حلف شمالي الاطلسي حاليا .

أولا يحتاج احتياط الدبابات العامل في نطاق الدفاع الشطرنجي الى قوة ضاربة فقط وبالتالي لاضرورة لان يشكل من مجموعة قتالية مؤلفة من مختلف الصنوف قادرة على الهجوم والدفاع : اذ ان الدفاع يمكن ان يتحقق من قبل نقاط محصنة مدافع عنها بقوات مجهزة بعتاد رخيص الثمن .

ويمكن الاستغناء عن الوحدات المكلفة بالتمسك بالارض او بتعزيز الدفاع والاحتفاظ بقوة من الدبابات فقط لشن الهجمات المعاكسة ـ واذا ما اقتضى الموقف تعزيز الدبابات بعدد من المشاة فبالامكان نقلها بسرعة من المؤخرة بواسطة الحوامات .

ثانيا لاتحتاج القوة الضاربة الا الى حجم بسيط من المدفعية العضوية والدعم الاداري . لانها اما أن تكون في الاحتياط او تقاتل داخل نطاق الدفاع الشطرنجي حيث يتوفر حكما الدعم اللازم ، وما ان تبدأ بالهجوم المعاكس حتى تعطى لها الافضلية الاولى من حيث نيران الدعم .

اخيرا ان اعادة النظر هذه تزيل عقبة هامة امام الخلاف السائد في حلف شمالي الاطلسي حول أسلوب الدفاع المتحرك . يعتبر الحلف بموجب هذا الاسلوب ان الفرقة هي أصغر تشكيل قادر على تنفيذ دفاع متحرك وبالتالي هناك تركيز قوي على الفرقة . ولكن حجم الفرقة الاوربية غير كاف لقيامها بالدفاع المتحرك بتوزيع تشكيلاتها الى قوة ايقاف وقوة هجوم مضاد . بالاضافة الى ان هذا يتعارض مع المبدأ القائل بعدم تنفيذ اي هجوم مضاد قبل ايقاف العدو المهاجم وتكبيده خسائر كبيرة .

ومن المعروف ان الاتحاد السوفياتي يحشد عادة عددا كبيرا من الفرق في قطاع الخرق بهدف اكتساح الدفاع واستثمار النجاح الاولي لذا فان القسم الذي تدفعه الفرقة الى الامام لن يتمكن من ايقاف الهجوم ولن يجد القسم الآخر سوى فرصة لخوض معركة جبهية غير متكافئة ضد الهجوم المعادي . اما اذا حاولت الفرقة القيام بهجوم مضاد من أحد الاجناب فانها قد تجد نفسها عرضة لهجوم مضاد لهجومها المضاد تقوم به قوات النسق الثاني المعادي التي تنتظر الوقت المناسب لاستثمار النجاح . على كل حال اذا كان الهجوم المضاد الذي سوف تقوم به الفرقة محدودا ومقتصرا على هجوم جبهوي فلا فائدة اذا من المناورة ومن الدفاع المتحرك ككل . ومن الافضل للفرقة في هذه الحالة ان تحتل موقعا دفاعيا ثابتا وتحاول قطع طريق التقدم على القوات المهاجمة بالاستفادة من الارض والثبات .

ان اعادة التنظيم وتبني اسلوب الدفاع الشطرنجي يقضي تماما على هذا التخبط ، اذ تتوفر لدينا اعداد اكبر من الفرق ويصبح بالامكان الاستفادة من الفرقة كتشكيل متكامل واحد ضمن نطاق نظام دفاعي واسع ومنسق .

وقد تخصص بعض الفرق للتمسك بالارض هنا او هناك في حين تكون هناك فرق اخرى مكلفة بالقيام بالضربات المضادة كما فعل الجيش الالماني خلال الحرب العالمية الثانية .

ـ استنزاف :

ان استنزاف العدو الى أقصى حد ممكن قبل الاشتباك الفعلي معه هو

من المبادىء التكتيكية الدفاعية البديهية ويفيدنا التاريخ ان الاطراف المتحاربة كانت تمطر أعداءها بالصواريخ قبل التحام القوة الرئيسيـة . ولكن هـذا الاستنزاف لم يكن فعالا الا في بعض الحالات النادرة . اما ومنذ منتصف الثمانينات أصبح عامل الاستنزاف على المدى البعيد هام وله دور كبير بسبب دخول الرؤوس الحربية الدقيقة التوجيه الى خير الاستخدام الفعلي ولا شك ان تطويرها المقبل سوف يدعم الاعمال الدفاعية كثيرا .

وتعتبر حاليا اعمال المغاوير وقوات الستارة الامامية والمدفعية والطيران التكتيكي هي وسائل الاستنزاف للعدو امام الحد الامامي للدفاع ولكن لكل من هذه الوسائل بعض المعوقات وبالتالي لن تكتسب فعاليتها الجيدة الا بالسلاح النووي .

فعمليات المغاوير تحتاج الى فترة زمنية طويلة نسبيا لتحضيرها وتنفيذها، ولا شك انه بالامكان دفع دوريات بالعمق ولمسافات بعيدة فورا ولكنها معـدة اصلا للاستطلاع واستثنائيا خوض معارك انهاك صغيرة ضد العدو في الانساق الثانية لعرقلة تحركها أو لبث الفوضى في الاتصالات في بعض القطاعات الهامة. وهذه الدوريات مضطرة الى اتباع اسلوب « اضرب واهرب » لتتمكن من البقاء مع تركيز جهودها على التدمير والنسف والاختفاء بسرعة . وقد سهلت الاسلحة الجديدة ذات الذخائر دقيقة التوجيه مهام هذه الدوريات فأصبحت بدلا من ان تخطط وتنفذ هجمات مفاجئة على اهدافها تكتفي باعطاء احداثيات الهدف للسلاح فيقوم بتدميره بدقة عالية بخطأ لايتجاوز امتارا قليلة لذلك يمكن ان تقتصر المعدات التي تزود بها هذه الدوريات على أجهزة اتصال لاقطة مرسلة لنقل المعلومات وتلقي الاوامر .

وخاصة لقد توفر حاليا أجهزة لايزر مماثلة شكلا لآلات التصوير يمكنها اعطاء معلومات دقيقة عن مواقع الاهداف المتحركة وسرعتها واتجاهها لتسهيل الرمي عليها . ونستخلص من ذلك كله انه بينما كانت مهمة هذه الدوريات اساسا هي الاستطلاع فقط فانها أصبحت عاملا فعالا في تسهيل تدمير الاهداف المعادية.

ومن المعروف ان مهمة قوات الستارة الامامية والمواقع المتقدمة ككل هي الانذار ومحاولة ابطاء تقدم القوات المعادية وكانت امكانياتها في مجال الاستنزاف

ضئيلة ومحدودة . ان الميزة الوحيدة التي تتمتع بها هـذه الوحدة هي انها بانسحابها من مواقعها بعد اقتراب العدو تصبح تحت تصرف القائد ليدعم بها اي قطاع مهدد او يحتفظ بها كاحتياط مباشر . ويمكن حاليا لهده القوات ان تصبح قوة جيدة مضادة للدبابات ولكن التكنولوجيا لاتستطيـع تبديل دورها العام من حيث كونها قوة استنزاف موقتة ، وان قوتها غير كافية للتمسـك بالارض والدفاع عنها بقوة .

اما المعوقات امام المدفعية فكانت أساسا في صعوبة تحديد الاهداف ومن ثم عدم دقة الاصابة واحيانا عدم كفاية مدى المدافع للرمي على العدو البعيد نسبيا . وقد تغلبت التكنولوجيا الحديثة على كافة هذه المثالب اذ بتبديل مدافع الهاوتزر باخرى ذات سبطانة طويلة مع سرعة ابتدائية أكبر قد أوصل مداها الى ٣٠ كم في حين يمكن ايصال القذائف الصاروخية الى ٤٠ كم ولا شـك ان هذه الامدية الجديدة مفيدة في زيادة القدرة على ضرب العـدو في العمق ولا تحتاج سوى الى تمركز هذه المدافع في نفس مرابض الهاوتزر .

واذا اقتضى الامر القصف الى أمدية اكبر هناك الصواريخ طبعا وان كانت أعلى ثمنا . والقصف المدفعي التقليدي المطور من حيث الدقة والقدرة فعال جدا سواء ضد الاهداف الثابتة او المتحركة شريطة توفر الظـروف الجويـة المناسبـة .

اخيرا زادت قدرة القوى الجوية التكتيكية بعد توفر القنبلة الذكيه خاصة وانه قد تضاءلت فعالية الطيران باستخدام القنابل المعادية غير الموجهة . اما الآن وبعد توفر القنابل الموجهة رغم ارتفاع ثمنها فقد ارتفعت نسـبة الفعالية الى أكثر من مئة ضعف ضد الاهداف الصغيرة مثل الدبابات والجسـور مع التقليل جدا من خسائر الطائرات . (واذا كان سعر القنبلة العادية من وزن ٣٠٠٠ ليبرة حوالي ١٨٠٠ دولارا فان مثيلتها الموجهة باللايزر تكلف ٤٩٠٠ دولار في حين ان ثمن الموجهة بواسطة التلفزيون يصل الى ١٥٠٠٠ دولارا . ولكـن نسـبة الفعالية الى الثمن تبقى لصالح القنابل المطورة التي قد تصل الى حوالي ١٤٥ ضعفا بالنسـبة للقنابل العادية من حيث دقة الاصابة والنتائج المحققة).

وللأسف فان التكنولوجيا في مجال القوى الجوية التكتيكية سلاح ذو حدين اذ قادت الى تطوير جهاز الدفاع الجوي وتزويده بوسائط اقل كلفة وأكثر فعالية وهي قادرة على حرمان القوات من الدعم الجوي المباشر .

كما ان طيران الدعم المباشر بغض النظر عن أخطار الدفاع الجوي الحديث الذي حد من حرية عمله ، يفتقر أيضا الى امكانية كشف وتحديد الاهداف بالسرعة الكافية اذ لو أمكنه ذلك لاستطاع قصف هذه الاهداف من مسافات بعيدة ، وفي هذا المجال لاتستطيع الدوريات خلف الخطوط مساعدته بفعالية لذلك لابد من توفير أجهزة كشف وتحديد الاهداف بسرعة ونقلها الى الطيار في الوقت المناسب . وتستطيع الاجهزة العاملة باشعة اللايزر تحقيق ذلك ولكنها وحتى الآن باهظة التكاليف .

ونستطيع تقسيم الاهداف الى ثلاثة أنواع أولا الاهداف الثابتة التي يمكن للدوريات تحديد احداثياتها والاهداف التي تبث موجات لاسلكية يمكن تحديد مكانها بواسطة الموجات الصادرة عنها ثم الاهداف المتحركة التي لايمكن للمراقب الحرفي تحديد مكانها بدقة كافية .

ويمكن الآن تدمير النوع الاول بسهولة وتكاليف قليلة نسبيا اذ تسمح أجهزة التوجيه المزودة بالليزر ايصال القنبلة او الصواريخ الى الهدف بدقة كبيرة جدا . كما يمكن ان تكلف بذلك المدفعية والصواريخ ارض ـ ارض . وذلك دون المجازفة بالتعرض لوسائط الدفاع الجوي المباشر نظرا لامكانية الضرب من مسافات بعيدة .

اما الاهداف النشطة لاسلكيا او التي تبث نبضات كهربائية كمحطات الرادار فيمكن كشفها فور وصولها الموجات النابعة عنها ويجري تدميرها بنفس اسلوب تدمير الاهداف غير المرئية . ولكن الصعوبة تكمن عندما يكون هذا الهدف متحركا وهذا يتطلب امكانيات أكثر تعقيدا اذ لايكفي كشف وجود الهدف بل يجب أيضا معرفة خط سيره وموقعه بالضبط عند وصول الصاروخ اليه وبالتالي يتطلب توجيه مستمر للصاروخ ، أي تكاليف اكبر .

وللتعامل ضد الدبابات المتحركة بأرتال او المنتشرة للقتال افضل وارخص

الحلول هو استخـدام المزود بجهاز كشف يعمـل بالاشعـة دون الحمراء القادرة على تحديد موقع الهدف رغم الغبار المثار من تحركه. كما انالتكنولوجيا قد قدمت في هذا المجال ـ الكشف في ظروف الرؤية السيئـة ـ امكانيـات لاتحصى .

وعندما يكون الهدف ابعد من مدى كشف الاجهزة المذكورة اعلاه فلدينا أساليب ثلاثة للتعامل معه . اولا كشفه بواسطة آله تصوير تعمل باشعةاللايزر موجهة عن بعد ومركبة على طائرة استطلاع خفيفة موجهة أيضا وبدون طيار. وعلى الرغم من ان هذه الطائرات معدة للعمل في ظروف الرؤية الحسنة فانها مع ذلك تقدم مزايا كبيرة لتحديد موقع الهدف ونقل المعطيات الى الصاروخ مافريك مثلا لتدميره . هذا بلا شك بالنسبة للاهداف الثابتة . ثانيا بعد كشف الهدف بواسطة هذه الطائرة يمكن ضربه بصواريـخ ارض ـ ارض . وثالثـا بصواريخ الطائرات بعد نقل المعلومات الى الطيار الكترونيا ولكن هذا قد يعرض الطائرة نفسها لخطر أسلحة الدفاع الجوي .

وفيما يتعلق بالطائرات الموجهة هناك انواع عديدة ولكن المشكلةالاساسية هنا هو شدة تعرضها ثم توفر أجهزة توجيه وقيادة لها .

وهي لاتحتاج لتحديد هدف ثابت سوى الى جهاز تصوير وامكانية نقل مشاهداتها . وهذه الانواع أمكن تخفيض اثمانها بجعلها كنوع من اللعب مـن حيث مواد الصنع . ولكن المعلومات المطلوبة منها قد تزايدت وبالتالي ارتفع ثمنها واصبحت قادرة على التصوير ونقل الصور وكذلك كافة المعلوماتالاخرى وذلك بواسطة أجهزة عاملة باشعة لايزر كما زود بعض أنواع من هذه الطائرات بنوع من الصواريخ مشابهة للصاروخ مافريك . ومن المعروف ان هناكالانواع التاليـة :

طائرة موجهة مزودة براس حربي متفجر تعمل ضد مدى يبلغ عشرة كيلو مترات وتستطيع تحديد الهدف ومن ثم تنقض عليه وتفجره وتفجر معه وذلك بايعاز من غرفة العمليات التي تشاهد الهدف المنقول لها بواسطة الطائرةنفسها. ولكن هذه الطائرة رغم صغر حجمها معرضة للاسقاط بواسطة أسلحة الدفاع الجوي . ومع ذلك تؤدي هذه القنابل الطائرة الى بلبلة الدفاع خاصـة اذا

استعملت بكثافة . والنموذج الآخر لهذه الطائرة هو النوع المكلف فقط بالرصد والتصوير ونقل المعلومات الى القيادة لتوجه المدافع او الصواريخ نحو الهدف المكتشف والمحدد . ولا يزيد ثمن هذه الطائرات عن عشرة آلاف دولار .

أما النوع الثاني فهو مماثل للاول من حيث مهام كشف وتحديد الأهداف ولكنها أبعد مدى من ١٥ ــ ٢٠ كم ويمكن استردادها واستخدامها في مهمة اخرى . وهي مجهزة بالوسائل اللازمة لنقل المعلومات الى جهاز التوجيه اللايزري الخاص بالمدفعية ، ويبلغ ثمنها بين ٧٥ ــ ١٠٠ الف دولار . ان الصعوبة الوحيدة التي تعترض القيادة هنا هي في تحديد احداثيات الهدف بالنسبة لمرابض المدفعية نفسها . وبنفس الوقت ضمان سرية عملية نقل المعلومات من الطائرة الى القيادة .

وهناك نوع آخر من هذه الطائرات بدون طيار ، تحمل صاروخا من نوع مافريك الى مدى يتراوح بين ١٠٠ ــ ٢٠٠ كم ويبلغ ثمنها ٢٠٠ ــ ٣٠٠ الف دولارا . وهذا النوع يسهل عملية التوجيه والاشراف والسيطرة وكذلك نسبة الكشف من قبل العدو ولكن ثمنها نفسها بالاضافة الى ثمن الصاروخ يجعلها مرتفعة الثمن وتبقى فعاليتها محصورة في مجال استنزاف القوى الجوية المعادية .

نستنتج من ذلك أن استنزاف العدو القريب والبعيد عملية هامةوباهظة التكاليف . وطالما ان التكنولوجيا المستخدمة عمليا لايمكنها أن تماشيدوما الرغبات العسكرية فعلينا ان نسعى الى بلوغ أهدافنا بأقل تكاليف ممكنة . واني أعتقد أن الاسلحة العادية كالهاونات مثلا مع التطور الجديد الذي ادخل عليها قادرة على تنفيذ مهام الاستنزاف بفعالية قد تغنينا عن الوسائل الباهظة التكاليف .

و ـ تكنولوجيا جديدة ونفقات دفاعية اقل

بين العقيدة والتكنولوجيا تفاعل متبادل . فاذا كانت العقيدة تتأثر بالتكنولوجيا فانها ايضا توجه هذه الاخيرة نحو المنحى الواجب عليها سلوكه في مجال تطورها . ونجد أفضل تعبير عن هذا التأثير المتبادل بين العقيدة والتكنولوجيا في زيادة القدرات العسكرية أحيانا ، ولكن التكنولوجيا تفرض احيانا وجوب اعادة النظر في التنظيم والتسليح الذي قد يؤدي الى تخفيض النفقات . لذلك يجب الا ننظر الى التكنولوجيا كعامل تطوير او تبديل الاسلحة والاعتدة القديمة بأخرى جديدة او زيادة القدرة النارية اذ كما يمكن مناقشة التكنولوجيا ديالكتيكيا والقول بأنها قادرة على زيادة فعالية الاعتدة فانها أيضا قادرة على السعي نحو ايجاد أسلحة أكثر فعالية وبنفس الوقت أقل كلفة وتعقيدا . والامثلة على ذلك عديدة وسوف نناقش هنا مجالين هامين حيث الاعتدة القتالية ضرورية جدا وباهظة الثمن : الدعم الناري بواسطة المدفعية بالرمي غير المباشر والقوى الجوية التكتيكية ، وكيف يمكن التوفير في النفقات المخصصة لها .

المدفعية :

تشكل المدفعية ، بما فيها الهاونات ، في الجيوش الاوروبية الحديثة الفرع الاكبر وبالتالي هي العبء الاكبر من حيث التأمين الاداري . ففي الولايات المتحدة الاميركية مثلا تشكل ذخيرة المدفعية والهاونات ثلثا وزن كامل مخزونات الفرقة .

وقد أثرت التكنولوجيا الحديثة على المدفعية من نواح عدة . اذ زادت فعاليتها بعد ادخال وسائل خاصة بتوجيه القذيفة في المرحلة الاخيرة من سيرها نحو الهدف مما قلل من ضرورة تكثيف الرمايات بواسطة الطائرات . كما سمحت

هذه التكنولوجيا للمدفعية بتدمير الدبابات حتى في ظروف الرؤية المتوسطةاو الضعيفة دون ان تؤثر على قدرتها بالقصف المساحي مما أعطى لقدرات المدفعية دورا متزايد الاهمية مع تخفيض الاستهلاك ــ اذ أصبح بامكان الهاونات ان تقصف العدو المقترب من الحد الامامي دونما حاجة لمعلومات مرسلة من راصد أمامي وذلك بالاستفادة من جهاز تحديد الاهداف العامل بواسطة الاشعة دون الحمراء ، بالاضافة الى امكانية تدمير الدبابات المنتشرة بواسطة القنابلالصغيرة التي تنشرها القذيفة فوق منطقة معينة وهي مضادة للدبابات وكذلك بواسطة الصواريخ غير الموجهة والقليلة التكاليف ضد الاهداف القريبة اما ضد الاهداف البعيدة فلا بد من استخدام صواريخ موجهة يمكن تعديل مسارها أثناء تحليقها وهي بالتالي أغلى ثمنا ــ ان هذا التطور في الفعالية لايتطلب أية زيادة في عدد المدافع وان كان من الضروري المحافظة على نفس حجم الوحدة النارية لانهرغم تزايد دقة الاصابة وعدم الحاجة الى رمي عدد كبير من القذائف لتدمير الهدف فان باقي القذائف ضرورية للاستفادة منها في القصف المكثف المساحي او في ظروف الرؤية السيئة . وان كانت المدفعية مازالت تتعرض للانتقاد بسببقلة امكانياتها على تدمير او ايقاف الدبابات فان مايغفله المنتقدون انها تؤثر جدا على المشاة المرافقة للدبابات وهذا هام جدا بعد ان أصبحت هذه المشاةمسلحة بصواريخ مضادة للدبابات .

والمطلوب من التكنولوجيا حاليا ان تزيد من سرعة الاطلاق في المدافع اذ بذلك يمكن الحصول على نفس النتائج بعدد اقل من المدافع وبالتالي تخفض النفقات فعلا .

وفي مجال دقة الاصابة نجد ان هناك ثلاثة أنواع رئيسية من الاهداف : أولا هدف ندعوه بالهدف النقطة وهذا يتطلب دقة عالية في الاصابة : ثانيا أهداف صغيرة المساحة تحتاج الى نسبة ادنى من الدقة : ثالثا وأخيرا رمايات الاشباع أو الرمي المساحي حيث دقة الاصابة بالنسبة لكل سلاح على حدة غير هامة . ويستخدم حلف شمالي الاطلسي المدفعية الطويلة لكافة هذه المهام وهذا غير فعال وضار . اذ ان هذه المدفعية الباهظة الثمن مناسبة في الواقع فقط للنوع الثاني من هذه الاهداف أي الاهداف صغيرة المساحة . اما

على « الاهداف النقطة » فهي عمليا غير فعالة . في حين انها غير ضرورية للرمي المساحي او رمي الاشباع وتبذير غير ضروري . اما الحل الافضل لملاءمة الثمن مع الفعالية فيكون عبر مزيج من المدفعية الطويلة التي يمكن الاستفادة منها بدقة جيدة للرمي على اهداف عبر خط الجبهة ، والمدفعية الصاروخيةالارخص ثمنا والتي تتمتع بايقاع رمي سريع للرمي المساحي . وقد عمدت عدة دولمن أعضاء حلف شمالي الاطلسي بعد اطلاعها على نظام القتال السوفياتي الىاعادة تنظيم قطعات المدفعية بهذا الاسلوب .

ومع ذلك يمكن للتكنولوجيا ان تقدم حل افضل من ذلك للمعادلة ثمن/فعالية . فبعد ان اصبحت الصواريخ مجهزة بجهاز توجيه دقيق للمرحلة الاخيرة من مسارها اصبحت فعالة ضد الاهداف الصغيرة جدا واهدافالنقطة بعد ان كانت مناسبة فقط للرمي المساحي . واذا ماعلمنا ان اجهزة التوجيه هذه ضرورية أيضا لقنابل المدفعية العادية فان ذلك لن يزيد النفقات بالاضافة الى انه بواسطتها يمكن تخفيض كمية القذائف لعدم الحاجة بعد الآن الى رمي الاحكام . ولا شك ان جهاز التوجيه ضروري عند التعامل مع الاهدافالصغيرة وبفضل وجوده انما بدرجة اقل من الاهمية عند القصف المساحي .

ومع ذلك ان هناك طريقة افضل لتعديل العلاقة فعالية/ثمن وهي اقتراح زيادة امكانيات المدفعية الميدانية من حيث المدى وسرعة الرمي . ونحن نعلم ان ايقاع الرمي بمدافع الهاوتزر هو ثلاثة قنابل في الدقيقة لفترة محدودة من الزمن ثم قذيفة واحدة بالدقيقة لرمايات الدعم . ولكن جهاز التلقيم الآلي الجديد ونظام عدم الارتداد المطور والنجاح في عملية تخفيض حرارة المدافعكل هذه يمكن ان تسمح لمدفعية الميدان بالرمي بمعدل ٣٠ قذيفة بالدقيقة والقيد الوحيد هو الوحدة النارية لكل سلاح .

مثلا المدفع الفرنسي عيار ١٥٥ ملم ذاتي الحركة يتمتع بمثل هذه المواصفات اذ ان مداه يبلغ ٢٥ كم ويطلق ثماني قنابل بالدقيقة حتىاستهلاك وحدته النارية البالغة ٤٢ قذيفة . ونستطيع مضاعفة مدى مدفعية حلف شمالي الاطلسي من ١٥ الى ٣٠ كم وذلك بتبديل مدافع الهاوتزر بمدافع ذات سبطانات طويلة مع تطوير السرعة الابتدائية . في حين تستطيع القذائف

الصاروخية بلوغ مسافة ٤٠ كم . والمعروف ان قذائف الهاونات ومدافع الهاوتزر اكثر فعالية من قذيفة المدفع الطويل لانها لاتحتاج الى غلاف سميك يحميها من شدة حرارة الاحتكاك بالاضافة الى كونها قادرة على الرمي بزوايا اكثر انحناء كما ان هناك اعتراض آخر على المدفعية الصاروخيه حيث انها لاتسمح بالرمي بدقة كما ان قوة انفجارها اقل بسبب الحشوة المتفجرة ولكن بعد تزويدها براس يصحح التصويب في مرحلته الاخيرة يزيل كافة هذه الاعتراضات .

من جهة اخرى لاشك ان مدفعيتنا نفسها عرضة لاخطار المدفعية المعادية المتمتعة بنفس هذه المزايا المطورة وقد تضطر بتأثير من النصف «معاكس البطاريات » الى الرمي والتنقل كي تتجنب الرد المعادي .

وفي هذا المجال نجد ان المدفعية الصاروخية قادرة على اطلاق عددا كبيرا من القذائف بسرعة ومن ثم تبدي مرابضها في حين لاتتمتع لا المدفعية المقطورة ولا ذاتية الحركة بهذه القدرة على كثافة الرمي مالم تتطور تقنيا كما في المدفعية البحرية . ان المدفعية المقطورة هي الاكثر تعرضا ، اذ ان تصفيح المدفع لايقي السدنة .

ومن جهة اخرى ان الرمي السريع بالمدافع يعني ان تتمكن المدافع من اطلاق نفس وزن المتفجرات التي تطلقها المدفعية الصاروخية وبوقت مماثل فاذا أمكن ذلك تكون قد تغلبنا على عدم دقة الصواريخ دون ان نخسر كثافة الرمي . مع العلم ان المدفعية سريعة الرمي قد تكون اكبر حجما وتحتاج الى زمن اطول من القاذف الصاروخي للتحضير للرمي .

ويمكن التغلب على هذه الصعوبة بتقليل حجم خزان (مكون) الذخيرة والاعتماد على عربات تقل مدرعة للتموين بالذخائر .

وحتى لو تبين ان المدفعية السريعة الاطلاق هي اقل قدرة حركية وابطأ سرعة في الدخول الى المعركة من قاذف الصواريخ أو المدفعية الحالية وذلك يجب الا يعتبر عاملا سلبيا . اذ ان المعيار ليس بقدرة كل مدفع لوحده بل بقدرة المدفعية كنظام متكامل . فالاسلحة المعادية بالتعاون مع المدفعية حتى

البطيئة كفيلة بتقديم الدعم الناري اللازم لقوات الحد الامامي ، وفي الحالات التي تتطلب سرعة تحرك وتدخل اكبر نلجأ الى المدفعية الصاروخية او بعض المدافع ذاتية الحركة . وبالتالي يجب الا تكون قلة القدرة على التحرك السريع سببا لعدم اعادة النظر في نظام المدفعية ككل والباهظ الثمن بدون داع .

ومع تبني المدفعية الصاروخية والمدافع السريعة نجد ان فعالية بطارية المدفعية قد زادت كثيرا . ومع ذلك قد يكون مجموع التخفيض بالنفقات اقل من الفائدة التي نجنيها من زيادة المدى وايقاع الرمي وذلك لانه لابد من الاحتفاظ بعدد من المدافع الموجودة حاليا وكذلك لضرورة تحسين وتطوير نظام الاحكام والسيطرة ورغم ذلك نجد ان التحول من مدفعية الهاوتزر الى المدافع سريعة الرمي سوف يؤدي الى تخفيض عدد الكتائب بنسبة الربع مع توفير رمايات ادق لمسافات ابعد . كما يمكن تخفيض عدد المدافع في كل كتيبة من ١٨ مدفعا الى ثلاثة فقط وبنفس الوقت زيادة ايقاع الرمي . (لاشك ان هذه الارقام هي نظرية وتهدف الى ايضاح الفكرة فقط ولا بد لتطبيق الاقتراح من اعادة النظر بتنظيم وتشكيل القطعات المدفعية بشكل جذري) .

وفي الوقت الذي تشكل المدفعية التقليدية القسم الرئيسي من قوة المدفعية فان نظام شبكة الصواريخ النووية يشكل حوالي عشرين بالمئة من مجموع المدفعية . وكان الجيل الاول من هذه الصواريخ ، مثل «اونستجون» الاميركي رخيص الثمن غير موجه ولكن ضعف دقة الاصابة وبطء الرمي جعل دور هذه الصواريخ التقليدي غير واقعي . اما الجيل الثاني مثل الصاروخ « لانس » فهو أصغر حجما واكثر دقة نسبيا ولكن سرعة الرمي بقيت متدنية مع ارتفاع ثمنه بشكل كبير يجعل استخدامه تقليديا غير مرغوب . ولكن التكنولوجيا الحديثة عبر نظام التوجيه الدقيق قد حدت من هذه النواقص واصبح نظام الصواريخ الآن جدير بالثقة . فهي رخيصة الثمن نسبيا تسمح باستخدامها في الحروب التقليدية وبنفس الوقت يمكن الاستفادة من بعضها في اية حرب نووية مثل الصاروخ « لانس » وسواه .

فقد سمحت التكنولوجيا بزيادة الدقة وايقاع الرمي بنصف التكاليف السابقة ــ بالنسبة لصاروخ لانس ــ واصبحت قادرة على ايصال ضعف القدرة

التدميرية التقليدية ولنفس المسافة . ولم تعد مشكلة قاعدة الاطلاق وزوايا الرمي المطلوبة قائمة بعد ان وضع نظام قياس المسافات الالكتروني . وتبقى هناك عقبة أمام استخدام هذه الصواريخ برؤوس نووية اذ ستكلف بالضرب بعيدا وبالتالي تبقى اجهزة التوجيه تعمل لفترات اطول مما قد يعرضها لاعمال التشويش المعادي ويمكن التغلب على هذه العقبة باستخدام اكثر من واسطة توجيه وبفتح النار بأكثر من سلاح مثل مدفعية الميدان والمدافع الصاروخية والصواريخ اذ لكل منها محرك مختلف الارتفاع ويصعب في هذه الحالة المناورة بأجهزة التشويش بالسرعة الكافية للتصدي لها . والخطر الآخر الممكن ان تتعرض له الصواريخ هو باسقاطها بالمدفعية المضادة او بصواريخ اخرى ولكن هذا يتطلب اجراءات معقدة اهمها كشف التردد الذي يعمل عليه الصاروخ وبالتالي تحديد مساره وموقعه ونظرا لان البث الصادر عن الصاروخ هو عادة ضعيف وغير مستمر فان هذا الخطر ضئيل .

باختصار يمكن الجزم بان التكنولوجيا الحديثة قد أوجدت امكانيةممتازة للاسلحة المختلفة للتعامل مع الدبابات المعادية ويمكن بالتالي الغاء مهام ايقافها على عاتق المدفعية . وتبلغ نسبة المدفعية في ساحة عمليات الجيش حوالي عشرة بالمئة .

لاشك ان اعادة التنظيم سوف تؤدي الى رفع هذه النسبة الى : احد عشر ونصف بالمئة ولكن بما أننا سوف نخفض عدد الكتائب المدفعية بنسبة ٢٥ بالمئة وعدد المدافع من ١٨ الى ٣ فقط بالكتيبة فان النسبة العامة سوف تهبط الى ستة ونصف بالمئة اي : توفير بنسبة خمسة بالمئة .

ـ القوى الجوية التكتيكية :

في الوقت الذي كانت فيه كل من اليابان والمانيا الرائدتان في مجال القوى الجوية التكتيكية في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الثانية . فان اية منهما لم تطورا هذا السلاح الى المدى الذي طورته الولايات المتحدة الاميركية. فقد لعبت القوى الجوية التابعة للاسطول الاميركي في المحيط الهادىء دورا حاسما وكذلك في مسرح العمليات الاوروبي حيث كان للقوى الجوية التكتيكيةالفضل

الاكبر في ايقاف الهجمات المدرعة الالمانية . وقامت الولايات المتحدة الاميركية استنادا لهذه الخبرات المكتسبة وكذلك لرغبتها في الاستفادة من التكنولوجيا في مجال التقليل من الخسائر بتطوير القوى الجوية التكتيكية (طيران الاسطول والقوى الجوية) حتى أصبحت الصنف الاكثر رعاية في الميزانيات العسكرية اذ ان المخصصات الممنوحة لها تزيد قليلا عن تلك المعطاة للقوات البرية. وبلغت نسبة المخصصات للقوى الجوية ٤٠ بالمئة من المجموع العام للنفقات الحربية. اما في اطار حلف شمالي الاطلسي فان الولايات المتحدة تخصص للقوى الجوية نفس المبالغ المخصصة للقوى البرية .

وعلى الرغم من ان الدول الاوروبية الغربية الاخرى لاتعطي للقوى الجوية الخاصة بها نفس الدرجة من الاهمية فان عشرين بالمئة من القوة البشرية الاوروبيةهي فيخدمة القوى الجوية مع حصةكبيرةنسبيا من الميزانيةالعسكرية.

ان هذه الاهمية المعطاة للقوى الجوية التكتيكية تدفعنا الى التساؤل :

١ ـ ماهو دور القوى الجوية التكتيكية ؟

٢ ـ هل هناك توازن بين النفقات والمردود ؟

٣ ـ ماهو الاسلوب الافضل في تنظيم هذه القوى ؟

ـ المشكلة :

كان بامكان الطائرات المقاتلة خلال الحرب العالمية الثانية تنفيذ عدة مهام والتحليق على ارتفاع منخفض دون التعرض لخطر كبير وبنفس الوقت قتل الاشخاص وتدمير الدبابات بمدافعها عيار ٢٠ ملم . اما الآن فان كافة هذه الامكانيات قد تبخرت في الهواء بسبب التطور الذي دخل القوات البريةخاصة زيادة تصفيح الدبابات واسلحة الدفاع الجوي بالاضافة الى تزايد سرعة الطائرات نفسها التي تجعل امكانية التسديد بالنظر على اهداف صغيرة شبه مستحيلة ، وبالتالي تحولت الطائرات من الرمي المباشر بالمدفع الى القصف بالقنابل من ارتفاعات عالية وسرعة كبيرة . وقد اجبرت التكنولوجيا التي ادخلت على اسلحة الدفاع الجوي الطائرات المغيرة على الاكتفاء بمرور واحد

سريع لتقليل مدة تعرضها لهذه الاسلحة . والقصف الجوي من ارتفاع عال ينطلب توفر شروط الرؤية الحسنة وهذه غير متوفرة دوما في الاجواء الاوروبية، مما يقلل من ظروف استخدام الطيران بشكل فعال . كما ان السرعات العالية تحتاج الى اعمال صيانة ادق ووقت أطول وبالتالي تقلل من عدد الطلعات المكلفة اخيرا هناك عقبة اقتصادية هي التي تنجم عن ضرورة تخصيص عدد كبير من الطائرات الباهظة الثمن لحماية الاجواء الصديقة وتغطية تلك المكلفة بدعم القوات البرية بالاضافة الى الطائرات المخصصة للتشويش الالكتروني والاستطلاع المختلف الانواع والانقاذ والدعم الخ .

وقد دلت الدراسات التي اجريت على نتائج الحرب في كوريا وفيتنام ان الطائرات بما تتصف به من عدم دقة الاصابة وقلة عدد الطلعات الممكنة عمليا والعدد القليل نسبيا العامل فوق ساحة المعركة وشدة تعرضها للاخطار الارضية حتى في ظروف السيطرة الجوية الكاملة . لاتقدم سوى نتائج ضئيلة لصالح القوات البرية الصديقة . أما انصار القوى الجوية فانهم يرفضون هذا المنطق ويسوقون امثلة من الحرب العالمية الثانية ولكن اوضاعا كثيرة تبدلت منذ الحرب العالمية الثانية ولا يمكن قبول خبرات تلك الحرب الا بعد دراستها بعمق.

لاشك ان حرب عام ١٩٦٧ هي مثال اقوى حجة ولكن علينا الا ننسى ان الاحوال الجوية وطبيعة الارض ونسبة الطلعات الجوية الاسرائيلية العالية بالاضافة الى السيطرة الجوية الكاملة على ساحة المعركة سمحت للطيران التكتيكي الاسرائيلي بالعمل الحر ومع ذلك نجد ان نسبة خمسة بالمئة فقط من الدبابات العربية المدمرة ظهر عليها آثار القصف الجوي ولم تصب اصابات بالغة سوى اثنين بالمئة من هذه الدبابات بالاسلحة الجوية . واهم دور قامت به الطائرات الاسرائيلية هي منع تحرك ارتال الآليات الاقل تصفيحا وذلك نهارا فقط وبسد الممرات الاجبارية مثل ممر متلا .

اما الحرب العربية ـ الاسرائيلية في تشرين الاول عام ١٩٧٣ فقد جاءت نتائجها في غير صالح القوى الجوية . اذ اظهرت انه بوجود شبكات الدفاع الجوي في منطقة ما تحرم الطيران التكتيكي من حرية العمل وتكبده خسائر

فادحة . وقد تمكنت اسرائيل بمجهود كبير القضاء على وسائط الدفاع الجوي المصرية في قطاع واحد فقط وذلك بواسطة القوى البرية . وهـذا العمل قد اوقعنا في تناقض تام : فان المهمة الاساسية للقوى الجوية التكتيكية التابعـة لحلف شمالي الاطلسي ، هي دعم القوات البرية ولكن اذا كان على القوات البرية هذه تدمير القوات البرية المعادية اولا فما هـو الدور الباقي للقوى الجويـة التكتيكية عدا شل القوى الجوية المعادية ؟

نستنتج من هذا كله ان الخبرات المكتسبة منذ الحرب العالمية الثانية تدل على ان الموقف قد تبدل في غير صالح القوى الجوية التكتيكية ان لم يكن ضدها. والسؤال الواجب طرحه الآن هو هل يمكن التغلب على قلة الدقة ، انخفاض عدد الطلعات وقلة عدد الطائرات والاستنزاف العالي بالعتاد ؟ لاشك ان جهاز التوجيه الدقيق عنصر ايجابي في هذا المجال اذ يزيد فعالية القصف الجوي ضد الدبابات والاهداف الصغيرة الهامة شريطة ان تتوفر الشروط الجويـة الحسنـة .

ويمكن للطائرات الارخص ثمنا مثل الطائرة الاميركية آ ـ ١٠ والطائرة الفرنسية ـ الالمانية الصنع نوع « الفاجت » ان تزيد عدد الطلعات وكذلك عدد الطائرات ويبقى امامنا السـؤال الكبير وهو الاستنزاف العالـي بالطائرات . اذ ان خسارة نسبة اثنين بالمئة من كل طلعة تعتبر خسارة باهظة الثمن . واذا لم يكن بالامكان التغلب على هذه المشكلة فان دور القوى الجويـة التكتيكية الاوروبية سوف يتدنى بالاهمية وينحصر بعمليات رد فعل سريـع لمساعدة جيش ما وفقط عندما يكون الموقف لصالحنا . ورغم ان هذا الـدور يبقى هاما بل حساسا جدا فان القوى الجوية التكتيكية قد فقدت استقلاليتها.

ويبدو مع الاسف ان الطائرة ستبقى عرضة للاصابة بواسطـة وسائط الدفاع الجوي المتطورة ، حتى لو جهزت بأفضل الوسائل الالكترونية المضادة والباهظة الثمن . ومن الصعب على الطائرة تجنب نظام الدفاع الجوي المكثف المزود بأجهزة الكشف السلبية او القصيرة المدى وستجد صعوبة اكبر في القضاء عليه او تشويشه . اذ ان كشف وتشويش موجة معينة خفية تستخدم

سابقا يتطلب من القوى الجوية امتلاك اجهزة مسح الكترونية قادرة على كشف هذا التردد بسرعة وتحديدمكانه ومن ثم تدميره وهذه الاجهزة باهظة الثمن. ثانيا يمكن لوسائط الدفاع الجوي الارضية ان تتحرك وتبدل مرابضها وبالتالي على القوى الجوية اعادة تحديد المواقع الجديدة . ثالثا اصبحت المدافع المضادة الطائرات الآلية أكثر فائدة اذ يمكن استخدامها ضد الدبابات عند اللزوم وضد الطائرات اساسا . رابعا ان الصواريخ المضادة للطائرات المحلقة على ارتفاع منخفض مثل سام ٧ سوف تتطور وتصبح ذات فعالية عالية جدا بعد زيادة سرعتها ودقة توجيهها بواسطة اللايزر ويمكن ان توزع على عناصر المشاة والمدفعية والوحدات الادارية وحتى الميليشيات والدفاع المحلي . اما الحل الذي كان معقولا في فيتنام بالتحليق على ارتفاعات عالية وبطائرات أسرع فهو غير مقبول في اوروبا .

وباختصار في الوقت الذي نتوقع فيه ان تدفع القوى الجوية ثمنا باهظا للمحافظة على تواجدها فوق ساحة القتال فان شبكة الدفاع الجوي هي التي سوف تقرر ما اذا كان هذا الجهد والثمن يوازي المردود .

ـ تحليل المهمة :

ستبقى القوى الجوية التكتيكية باهظة الثمن حتى لو نجحت في التغلب على كافة الصعوبات التي تعترضها من قبل وسائط الدفاع الجوي وحتى لو استخدمت طائرات اقل ثمنا . والسؤال الواجب ان نطرحه على انفسنا هو : ماذا تقدم القوى الجوية نسبة الى ماتقدمهمنظومات الاسلحة الاخرى ؟ المعروف ان مهام القوى الجوية الرئيسية هي :

١ ـ التفوق الجوي .

٢ ـ الدعم المباشر .

٣ ـ عزل مسرح العمليات .

٤ ـ منع تقدم التعزيزات المعادية .

تركز الدول الغربية جهودها المكثفة حاليا على المحافظة على تفوقها الجوي العام وعلى زيادة امكانياتها في خوض المعارك الجوية خاصة . ولكن التفوق الجوي نفسه هو مهمة غير مستقلة بل مرتبطة بالمهمة العامة كما ان فعاليته تعتمد على مجموع فعاليات المهام الجوية الاخرى . فاذا تدنى مستوى هذه المهام فان قيمة التفوق الجوي وامكانيات التوغل عميقا فوق القواعد الجوية المحمية جيدا تتدنى قيمة ومردودا وينعكس ذلك على العمليات بكاملها . هذه بلا شك احدى المشاكل التي تعترض حلف شمالي الاطلسي حاليا : فقواه الجوية تركز كافة جهودها لضمان التفوق الجوي في الوقت الذي يجد فيه ان قواته البرية ضعيفة نسبيا .

وعلى الرغم من ان العقيدة القتالية الجوية الغربية تفرض اعتراض العدو على مسافات بعيدة فان الدعم الجوي للقوات البرية والذي يفترض انه سوف يساهم بفعالية في ايقاف تقدم الدبابات ، يبقى مشكلة حساسة في الساحة الاوروبية .

ان الدعم الجوي المباشر هو بديل للدعم المدفعي أو مماثل له مع بعض الافضليات :

١ ــ مرونة اكبر .

٢ ــ القدرة على تدمير اهداف معينة كالدبابات مثلا بواسطة الصواريخ الموجهة او بواسطة القنابل المضادة المنشار .

٣ ــ القدرة على دعم التحرك السريع للقوات الصديقة قبل ان تتمكن المدفعية من اتخاذ مرابض جديدة متقدمة . اما مثالب القوى الجوية بالنسبة للمدفعية فهي : ارتفاع ثمنها وصعوبة القيادة والسيطرة واخيرا ومن وجهة نظر قادة القطعات البرية بطء ردود الفعل ومحدودية توفرها.

وفي مجال الدعم الجوي المباشر هناك تساؤلان اساسيان : هل ستستمر القوات البرية في انتظار الدعم الجوي ثم هل هناك بديل لهذه الواسطة الباهظة التكاليف ؟.

توضح هذه الدراسة ان أعادة النظر بتنظيم القوات مع الاستفادة من الوسائط التكنولوجية الحديثة وبني اسلوب الدفاع الشطرنجي ، يسمح للقوات المسلحة بوسائطها الذاتية حرمان العدو من حرية المناورة وايقاف دباباته . اي عمليا تحقيق معظم مهام الدعم الجوي المباشر . ومع ذلك يبقى هناك حاجة لهذا الدعم خاصة في بعض المواقف الحرجة مثلا عندما يتعرض الدفاع لهجوم معاد مفاجيء قد يؤدي الى حدوث بعض الفوضى .

ان اولى الوسائط التكنولوجية الضرورية في هذا المجال هي المدفعية « الذكية » . هذه المدفعية المزودة بقنابل دقيقة التوجيه لم تعد بحاجة لجهة أخرى تساندها في تنفيذ مهامها . فقد أمكن الآن اطلاق قنابل مزودة بجهاز يضبط اتجاهها في المرحلة الاخيرة من مسارها ، بواسطة المدافع الهاوتزر والهاونات الثقيلة وقاذفات الصواريخ المتعددة ، وبنفس الوقت ستفيد من المعلومات المنقولة لها من قبل ١١٧ راصد مدفعي متقدم على جبهة الفرقة الميكانيكية العادية الواحدة (في حين لايتواجد سوى ١١ راصد جوي) . هذه المدفعية قليلة التكاليف وذات ايقاع رمي مرتفع ولا تعترضها اية مشكلة من حيث الاشراف والقيادة (في حين هناك صعوبة في مجال التنسيق الدقيق بين القوات البرية وطائرات الدعم الجوي المباشر) وان انخفاض تكاليف المدفعية هذه لدرجة الصفر نسبيا ناجم من واقع كون المدفعية موجودة فعلا سواء أكان هناك دعم جوي مباشر ام لم يكن . وان ادخال القنابل الجديدة قائم فعلا وضروري لايقاف الدبابات وكذلك المشاة اما من حيث ثمن هذه القنابل الذكية فان العلاقة ثمن/فعالية تبقى لصالح الفعالية ، فان كانت قيمتها تعادل عشرة اضعاف القنابل العادية فان فعاليتها تعادل مئة ضعف . اخيرا فان تزايد ايقاع الرمي المدفعي يعوض عن الميزة الاخيرة للدعم الجوي وهي المرونة .

يمكن لكل راصد مدفعي امامي ان يوجه صلية كل ١٠ – ١٥ ثانية وليس عليه سوى ان ينقل التصحيحات اللازمة عبر معلومات مشفرة وهذا لايتطلب سوى ١٠ – ١٥ ثانية . ونظريا يمكن لفرقة امامية ان تدمر كافة العربات المدرعة في فرقة معادية ، خلال دقيقة واحدة . والعقبة هي رصد وكشف العدد الكافي من الاهداف لا دقة الاصابة . وفي مثل هذه الحالة فان الدفاع الجوي

المباشر لن يزيد الا قدر قليل لقدرة المدفعية التدميرية خاصة وانه يحتاج الى معلومات دقيقة عن الاهداف ومعلومات حول الظروف الجوية ، خاصة وان الظروف الجوية السيئة تؤثر على أجهزة التوجيه العاملة باشعة لايزر والموجهة بالنظر بواسطة مناظير الكترونية وقد اثبتت التجارب ان دقة اصابة الصاروخ مافريك في ظروف جويةسيئة تتدنى حوالي ٢٠ بالمئة.أخيرا نجد ان الطائرات غير فعالة جدا في مساندة الدفاع ضد عدو توغل بين المواقع الصديقة بسبب تداخل القوات وصعوبة الرؤية عبر الغبار المثار والدخان الناجم عن احتراق الآليات او المواقع ، في حين ان المدفعية والهاونات تعمل في كافة الظروفالجوية وبايقاع رمي مرتفع خاصة اذا استخدمت اجهزة تحديد المسافات العاملة بالاشعة دون الحمراء او العاملة بواسطة الموجات اللاسلكية ولا تعتمد كثيرا علي الرصاد الاماميين .

باختصار ان المدفعية بعد تغلبها على الصعوبات السابقة من حيث دقة تقدير المسافات والاصابة اصبحت قادرة على تنفيذ معظم المهام التي كانتملقاة على عاتق القوى الجوية التكتيكية .

أما العزل فيهدف اساسا الى عزل القوات الامامية عن الإنساق الثانية والاحتياطات او قوات الدعم والتعزيز . والامثلة التاريخية تفيد ان عمليات العزل قد اعطت نتائج مختلطة . فمنع تقدم الامدادات لم يكن فعالا مطلقا ولكن عزل قوات النسق الاول فقد كان ناجحا وفعالا بالنسبة للقوات البريطانية والاميركية خلال الحرب العالمية الثانية . وكان يهدف آنذاك الى عرقلة عمليات النقل الجارية وراء خط الجبهة مباشرة ، ومنع تحرك الاحتياطات .

ويمكن تنفيذ عملية عزل الجبهة بطرق ثلاث :

١ ــ بث الفوضى على محاور التحرك ليلا بواسطة القصف الجوي والمدفعي.

٢ ــ بالاستنزاف .

٣ ــ سد كافة محاور التحرك . ونظرا لصعوبة تدمير العربات المدرعةوالدبابات في مناطق تحشدها ولقلة الوقت المتوفر لمهاجمة ارتالها بين مناطقالحشد وخط الهجوم فان سد وقطع محاور التحرك يبدو افضل الطرق لمنع

الوصول الى الجبهة . واذا نجح المدافع في ذلك وتخريب شبكة الطرق فان المهاجم سوف يحتاج الى عناصر كبيرة لاصلاحها كما أنه سيجد صعوبة في تنسيق تحركات قواته بالاتجاهات المطلوبة . ولا شك أن بامكان القوى الجوية التكتيكية تنفيذ مثل هذه المهام باستخدامها قنابل موجهة لتدمير الطرق ولكن بامكان المدفعية بعيدة المدى أيضا ان تنفذها بفعالية.

وهنا تلعب الجاهزية القتالية دورا هاما اذ ان المدفعية يمكنها أن تتدخل فورا خاصة بعد تزويدها بأجهزة قياس المسافات الدقيقة وبذلك تصبح الوسيلة الاولى لتنفيذ مهام عزل الجبهة . واذا لم تنجح ولم يستطع الطيران التغلب على وسائط الدفاع الجوي تحل محلها عمليات الكمائن الليلية ضد الارتال المعادية التي تعمل على عرقلة التحركات في قطاعات مختلفة وهذه عمليا لاتستطيع تنفيذ المهمة بفعالية كافية .

أما عملية منع الامدادات فهي شبه ملغاة وغير واقعية اذ ان التوغل العميق في الاجواء المعادية يتطلب طائرات متطورة وما لم تستخدم القنابل النووية فان حظها بالنجاح قليل . فلن تتمكن الطائرات من تدمير عربات نقل العدو بوجود شبكة دفاع جوي فعالة كما انه من الصعب جدا قطع كافة محاور التحرك في الساحة الاوروبية بسبب كثافتها العالية . وأبعد من ذلك اذا مازجت وسائط كبيرة لتنفيذ هذه المهمة بقصف اهداف عدة بما فيها القواعد الجوية كما خطط قادة حلف شمالي الاطلسي فلا بد من ان تتوفر لجميع الطائرات المشتركة مزايا السرعة العالية والقدرة على حمل أوزان كبيرة من القنابل وبنفس الوقت نصف قطر عمل كبير ووسائل ملاحية الكترونية متطورة ، وبالتالي تتحول معظم الامكانيات الجوية نحو مهمة ثانوية وتترك المهام الاساسية وهي ايقاف قوات الهجوم . أخيرا بدون توفر دفاع متين فان النجاح بمنع تقدم الامدادات لن يحقق أي غاية اذ تستطيع القوات المهاجمة خرق الدفاع وتكتفي بما تحمله في احتياطها المباشر .

ولذلك اذا ما أردنا لهذه المهمة النجاح علينا استنباط حلا قليل الثمن واسلحة جاهزة دوما ووسائل تحديد الاهداف بدقة .

ـ تشكيل القوى الجوية كيف يجب ان يتم ؟

ان اعادة النظر بتنظيم وتشكيل القوات البرية مع ادخال التكنولوجيا المتطورة سوف يبدل دور القوى الجوية التكتيكية . اذ مع اعادة تجهيز القوات المسلحة وانتشارها لن تكون بحاجة للدعم الجوي المباشر بنفس الدرجة السابقة. ويؤمن الدفاع الجوي حمايتها من الطيران المعادي ومع ذلك تحتفظ القوى الجوية التكتيكية بمهمتين أساسيتين :الدعم الجوي المباشر والسيطرة الجوية المحلية . وهي رغم نفقاتها الباهظة هامة جدا عندما تكون القوات الصديقة في حالة من الفوضى بسبب نجاح العدو بخرق مواقعها الدفاعية . حينئذ يصبح الدعم الجوي المباشر هو الوسيلة الوحيدة المتوفرة لايقاف هجوم العدو وكسب الوقت ليسمح للقوات البرية باعادة تنظيم نفسها . ومن المحتمل في وضع كهذا ان يتم خلخلة شبكة الدفاع الجوي ولا بد من تأمين تغطية جوية لساحة المعركة ومنع العدو من استثمار خلو الدفاع من الدفاع الجوي والقيام بانزالات بالحوامات خلف الخطوط .

لاشك ان القوات البرية تكون معرضة جدا لخطر العدو الجوي أثناء تحركها وبالتالي تحتاج الى تغطية جوية ودفاع جوي . وقد تبين من التطبيق العملي أنه من الصعب الجمع بين الاثنين فطالما تحركت الارتال داخل المناطق الصديقة فان شبكة الدفاع الجوي تبقى على الارجح كافية لحمايتها رغم ان توفر الحماية والسيطرة الجوية يزيد من الحماية وذلك لان القوى الجوية يمكن ان تغطي مسافات ابعد . وما ان يتم خرق الدفاع المعادي حتى تفقد شبكة الدفاع الجوي الكثير من فعاليتها وذلك لان القوات سوف تعتمد فقط على أسلحتها المضادة الذاتية ، ويزداد دور القوى الجوية التكتيكية اهمية .

وتختلف الحاجة الى الدعم الجوي المباشر بين موقف وآخر ففي المرحلة التي تسبق الهجوم تتدنى وتبقى كذلك خلال المعارك على المواقع الدفاعية الامامية ولكنها تزداد الى ذروتها بعد الخرق في مرحلة استثمار النجاح لعرقلة تقدم الاحتياطات المعادية ومنعها من المناورة .

من ذلك كله نستنتج ان الطائرات ذات المهام المتعددة التي يسعى الغرب

الى امتلاكها لم تعد ضرورية في مجال الدعم الجوي او السيطرة الجوية المحلية. والمطلوب حاليا يقتصر على نوعين من الطائرات الخاصة والقليلة الثمن : طائرة مقاتلة خفيفة ملائمة للاشتباك الجوي بهدف تأمين السيطرة الجوية واخرى مقاتلة ــ قاذفة لتقديم الدعم الجوي المباشر . وبالنسبة للمقاتلات الخيار المطروح هو بين العدد او النوعية . فالمقاتلات المزودة بصواريخ بعيدة المدى غير ملائمة لتنفيذ مهام السيطرة الجوية وان كانت جيدة في الدفاع الجوي عن قطع الاسطول البحري المكلفة بعمل ما مثلا . اما الطائرة المطورة مثل (اف ١٥) فقد تكون افضل طائرة للاشتباكات الجوية انما كميزانية غير محدودة ولكنها أقل مرونة من طائرات أخرى تنافسها ومن نفس وزنها بالاضافة الى أنها باهظة الثمن وهذا مايحد من عدد الطائرات وعدد الطلعات اللازمة لتأمين السيطرة الجوية المحلية . ان معظم الطائرات المقاتلة المتطورة غير ضرورية وقد تؤدي في الواقع الى الاقلال من فعاليتها الاجمالية اذا أخذنا بعين الاعتبار المدة اللازمة لصيانتها تحضيرا لطلعة أخرى وما تتطلبه من قواعد جوية شديدة التعرض. ان أهم متطلبات الدعم الجوي ليكون مجديا هو توفر امكانيات رؤية جيدة للاهداف من قبل الطيار ، وهذا صعب جدا في مرحلة الخرق المعادي بسبب تداخل قوى الطرفين ، وأخيرا لايمكن تقديم دعما جويا سوى في النهار وبالتالي لاضرورة لاستخدام طائرات مطورة مهيأة للعمل في كافة الظروف الجوية .

ان الميزة الثانية التي تعزز فكرة استخدام المقاتلات الخفيفة في عمليات الدعم ، هي قدرتها على التعامل مع الحوامات : اذ بالرغم من ان الحواماتعادة لاتشكل خطرا كبيرا على القوات البرية ، فانها بمرونتها وباستثمار الموقف الغامض الناجم عن الخرق قادرة على تجنب الاسلحة المضادة والتوغل عميقا حتى مؤخرة القوات المدافعة فتزيد بذلك البلبلة وتضارب المعلومات عن موقع القوات المعادية .

وهنا تعترض الطيار المقاتل ، حين تعامله مع الحوامات ، صعوبة اكتشاف وتحديد موقع الهدف ، اذ بالرغم من كون رادار الطائرة معد للعمل بكافة الاتجاهات وبسبب وجود الحوامات على ارتفاعات منخفضة عادة ، فان موجات الرادار الموجهة نحو الاسفل قد ترتطم بالارض وما عليها لتعطي معلومات غير

دقيقة عن الهدف المطلوب . لذا تصبح عملية الملاحقة بالنظر هامة جدا في هذا المجال وهي شبه مستحيلة لطياري الطائرات المقاتلة المطورة السريعة جدا . نخلص من هذا كله انه من الافضل توفر عدد أكبر من الطائرات الخفيفة بدلا من الطائرات الحديثة المطورة لتنفيذ هذه المهام .

وإذا ما اخضعنا الدعم الجوي المباشر لنفس التحليل لخرجنا بنتائج مماثلة خاصة بعد ان توفرت اجهزة الرمي الدقيقه فهي وان كانت قد خفضت من وزن القدرة المتفجرة بالقنابل تبقى كافية ولا حاجة للمقاتلات المطورهالباهظة الثمن وقدرتها على حمل وزن أكبر من القنابل ، ومن الافضل توفر عدد أكبر من الطائرات الاقل ثمنا ذات المعدل الاكبر بالطلعات الجوية .

تتصف عملية الدعم الجوي المباشر الجيدة بالبساطة والكفاءة وقلةالخسائر هذا من وجهة نظر القيادة الجوية اما بالنسبة للقوات البرية فالمطلب الاساسي ان يكون في الوقت المناسب . والصفات الاولى تحتاج الى طائرات باجنحة ثابتة ولا ضرورة للطائرات ذات الاجنحة المتحركة المرتفعة الثمن . وقد اكتسبت الحوامات في الولايات المتحدة الاميركية شهرتها من كونها أسرع في تلبية طلبات القوات البرية خاصة وان دقة الاصابة وسرعة تدخل الطائرات لم تكن مؤمنة حتى حرب فيتنام . لاشك ان طائرات اليوم أصبحت تتمتع بقدرتها على الاصابة الدقيقة ولكن سرعة تلبية طلبات القوات البريه بقيت كما هي تقريبا وما زالت هذه القوات تفضل الحوامات في هذا المجال . وعادة ماتكون الحوامات قريبة من مواقع القوات البرية الامامية وذلك بسبب قلة سرعتها ومدى عملها بالاضافة الى امكانية هبوطها واقلاعها في أي مكان ولهذا يتآلف طيارو الحوامات مع الوسط القتالي سواء من حيث توزع القوات الصديقة او طبيعة الارض وبالتالي يصبح بامكانهم تلبية طلبات القوات البرية بسرعة وفعالية . أما القوى الجوية من ناحيتها فانها تفضل ان تجعل قيادة العمليات الجوية مركزية وتدعي انها بذلك تزيد من فعاليتها ومناورتها .

هذا بلا شك مقبول في حال نشوب معارك بين مشاة الطرفين حيث لايتبدل الموقف بسرعة كبيرة اما في معارك الدبابات فلابد من تدخل جدي سريع

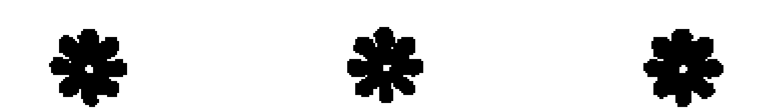
وفعال .وقد لاتتمكن الحوامات من تحقيق مهامها بسهولة ولكن يجب على القيادة الجوية الا تزج بطائراتها المتطورة على القطاعات الثانوية بل تركز جهودها على محور الهجوم الرئيسي ، وفي هذا المجال مركزية القيادة هامة جدا .

اخيرا يمكن للحوامات ان تستغل طبيعة الارض وتقصف العدو المتقدم من وراء ستائر طبيعة مختارة ولكن مثل هذه الساتر غير متوفرة دوما خاصة في الحرب المدرعة المتحركة وقد نجد ان أفضل الحالات التي يمكن للحوامات المضادة للدبابات ان تعمل فيها هي عندما تكون الحاجة لها أقل .

وحتى مع القناعة برأي القيادة الجوية بفكرة مركزية القيادة يجب الا تستخدم القوى الجوية التكتيكية بشكل مستمر طالما أنها حتى بالطائرات الارخص ثمنا غير قادرة على تنفيذ كافة المهام المطلوبة منها بفعالية . فالدعم الجوي المباشر مطلوب وبشدة في المواقع الحرجة اما عدا ذلك فالحاجة اليه أقل . وهذا يثير نقطتين : يجب ان تكون القوى الجوية التكتيكية في المواقف الحرجة قادرة على التدخل بكثافة وبطلعات جوية متزايدة وتعمل بفعالية ضد العدو ، وتنطلق من قواعد متقدمة ، اما في الحالات العادية فالمطلوب منها فقط تغطية جوية بسيطة وفي هذه الحالة يمكن ابعاد الطائرات الى قواعد خلفية أكثر أمانا ، وتنقل الى القواعد الامامية عند توقع الخطر .

ونظرا لان الميزانيات التي تحتاجها القوى الجوية مرتفعة جدا فان أي تبديل في مهامها قد يحمل الميزانية عبئا كبيرا . ولا شك ان اعادة النظر في تنظيم وتسليح القوات البرية لحلف شمالي الاطلسي سيقلل من حاجتها للدعم الجوي المباشر بالكثافة السابقة . كما ان مرحلة التصدي للخرق العادي او القيام بخرق مضاد لاتحتاج الى طائرات مطورة مثل اف ١٥ او طائرات الانذار والقيادة « اواكس » . بل يكفي لذلك طائرات ابسط لانها بالاضافة الى تمتعها بميزات أفضل للدعم الجوي المباشر لاتتطلب نفقات جديدة لاعادة تجهيز القوات الجوية ولا للصيانة وتدريب الطيارين . كم هي المبالغ التي يمكن ان نوفرها من هذا البرنامج ، لايمكنني تقديرها لان ذلك مرتبط اساسا بوجهة نظر حلف

شمالي الاطلسي بشان اعادة النظر في مهام القوى الجوية التكتيكية وقدراتها الموجودة او المطلوبة . واذا ماقارنا القوى الجوية التابعة لحلف شمالي الاطلسي بالقوى الجويـة السويديـة لوجدنا ان الاولى تفتقر الى حســن التنظيم وانه مــن الممكــن زيادة نسبـة عدد الطائرات / طياريـن ونسبـة عـدد الطلعات/طائرة .



ز ـ الخلاصـــة

كانت الغاية الاساسية من الدراسات والبحوث العسكرية في السنوات الاخيرة هي تقدير ومعرفة العلاقة بين الكلفة والفعالية . وتسعى هذه الدراسات لادخال بعض التعديلات عبر سلسلة من الاجراءات المعقولة والممكنة دون ان تبدل في ميزان القوى العام ولا في المعنى السياسي للقوة العسكرية . وقد اقترحنا عبر هذه الدراسة تعديلات اساسية سواء في مجال العقيدة العسكرية او في مجال الاستفادة من التكنولوجيا العسكريـة ، وغايتنا اجراء قفزة نوعية في القدرات العسكرية وذلك عبر زيادة في كمية التشكيلات مما قد يؤدي الى تعديل ميزان القوى العسكرية والتخلص من البلبلة السائدة بسبب تفاوت حجم القوى بين الطرفين . اذ ان التوازن الحقيقي بالقوى التقليديـة الاوروبية مبدئيا سيحـل معظـم الصعـوبات السياسيـة ـ العسكريـة التي تواجه حلف شمالي الاطلســي . ولا شك اننا سوف نواجه سلسلة جديدة مـن المشاكل السياسية ولكن يمكن لاوروبا ان تفاوض انطلاقا من موقع القوة وبنفس الوقت تتخلص من المتطلبات الاميركية المتزايدة .

حاولت عدة مدارس فكريـة شرح عجز قوات حلف شمالي الاطلســي التقليدية مع سعيها لايجاد حلول مناسبة لها . ومن بينها ـ واكثرها شيوعا ـ تلك الداعية الى تغطية العجز بواسطـة التفوق التكنولوجـي . وقد بدا ان استخدام القنابل النووية التكتيكية مثلا حلا جيدا لتغطية النقص بالقوى البشرية والنارية . وتوجه العسكريون نحو مبدأ التغلب على النقص بالقوى بواسطـة التفوق بنوعية العتاد العسكري .

وهناك مدرسة فكرية تقول بأن الاسلحة المضادة للدبابات ، الحديثة ، تعطي ولاول مرة « للمواطن الجندي » دوره في الدفاع وبذلك نعوض عن النقص

في القوى البشرية لحلف شمالي الاطلسي دون حاجة الى تشكيلات عاملةباهظة التكاليف .

ربما كانت المدرسة الاقتصادية هي الاكثر قبولا ، ظاهريا على الاقل ، وقد استندت في دراساتها الى تحديد منابع الامداد بالمال والرجال والعتاد ومن ثم تقدير الاحتياجات والسعي لايجاد الحلول المناسبة وفق معطيات اقتصاديـــة . وقد اكتشفت بنتيجة دراساتها هذه ان حلف شمالي الاطلسي لايقل قوة عن خصومه بل ان هناك توازن في القوى التقليدية في اوروبا واذا مابدا ان هنـــاك عجز جزئي فمرده فشل قيادة حلف شمالي الاطلسي في وضع خطط مدروسة اقتصاديا لتوزيع ميزانيتها حسب الاختصاصات والاحتياجات .

لم تلاق هذه الدراسات كلها قبولا اجماعيا بسبب مظاهرها غير الثابتة وغير الملائمة للواقع . مثلا تقترح مدارس الوسائط النووية التكتيكية والتفوق التكنولوجي التغلب على عجز القوى التقليدية بواسطة زيادة النفقات في الوقت الذي تزيد نفقات حلف شمالي الاطلسي على نفقات حلف وارسو كثيرا فيالوقت الحاضر . في حين اعترفت المدرسة الاقتصادية بالتناقض القائم حاليا والمتمثل بنفقات اكبر ومردود اقل ثم تصل الى نتيجة مفادها انه لاوجود للمشكلة اساسا وفي حال وجود بعض الخلل النسبي في ميزان القوى بين الحلفين فمرده الـــى فشل قيادة حلف شمالي الاطلسي في تنظيم نفقاتها وفق الاسس الاقتصاديـــة السليمة .

اما المدرسة التي تنادي بالاستفادة من المواطن الجندي فقد انطلقت فعلا من تحسسها بالواقع الراهن ولكن حلولها المقترحة مشكوك بها عسكريا وغير ملائمة استراتيجيا خاصة بالنسبة لبلد حيوي كالمانيا مثلا .

الواقع ان كافة هذه المدارس عالجت القشور الخارجية للعقيدة العسكرية لحلف شمالي الاطلسي ، فلم تتعرض اي منها مثلا لدراسة ماهي حاجة الحلف لفرقة معززة بتعداد ٤٠ الف مقاتل في زمن الحرب في حين ان الفرقة المماثلة في حلف وارسو تكتفي بنصف هذا العدد مع قدرة قتالية مماثلة بل اكثر من ذلك معدة لشن عمليات هجومية . الواقع ان سبب ذلك يمكن في الفلسفة القتالية

لدى كل طرف ، ففي الوقت الذي يقول حلف شمالي الاطلسي بعدد اقل من الرجال مزودين بعتاد افضل نوعية يعمل حلف وارسو على امتلاك عدد أكبر من الوحدات المسلحة باسلحة واعتدة اقل تطورا .

تهدف عملية اعادة النظر في التنظيم الى معالجة هذه الحقائق والواقع التنظيمي والعقائدي. وانها لاتنفي اهميةالاسلحة النووية التكتيكية ولا الضعف في تنظيم الانفاق ولا دور المليشيات ، ولكن في حين ان هذه الاقتراحات كلها تهدف الى اصلاح وضع معين وموقت فان اعادة التنظيم تسعى للاستفادة الى اقصى حد من دراسة موضوع كيف يمكن للقوات ان تستخدم بل كيف يجب ان تستخدم في واقعها الحالي وكذلك بالاستفادة من المزايا التي تقدمها التكنولوجيا.

ان اعادة التنظيم والميزات التكنولوجية ستقودنا حتما الى قلب المفاهيم السائدة منذ القدم فيما يتعلق بنسبة القوى بين المهاجم والمدافع . حتى الآن ان تفوق المهاجم يستفيد من الوسائط الآلية والدبابات والمقاتلة القاذفة ولكن بعد دخول التكنولوجيا الحديثة عمليا وبنفس الوقت اعادة النظر بالعقيدة القتالية والتنظيم فان الدفاع سوف ينافس الهجوم في الاهمية والتفوق في المعارك التقليدية على الاقل .

وان هذه الدراسة توضح الآتي :

١ ـ ان اعادة النظر في العقيدة القتالية لحلف شمالي الاطلسي وتطبيق التنظيم المناسب تؤدي الى امتلاك قدرة عالية للدفاع المتحرك والتعادل بالقوى مع حلف وارسو .

٢ ـ ثم بزيادة الاعتماد على الوسائط التكنولوجية الرخيصة الثمن يمكن لحلف شمالي الاطلسي ان ينظم دفاعا اماميا قويا بالتفوق الدفاعي سواء في الحرب التقليدية أم النووية .

٣ ـ وبالاستفادة من التطورات التكنولوجية اللاحقة يمكن لحلف شمالي الاطلسي تدعيم هذا التفوق الدفاعي وبنفس الوقت تخفيض القدرة البشرية في التشكيلات البرية والجوية في الجبهة الوسطى بنسبة ١٥ بالمئة يوفرها من المدفعية والقوى الجوية ا[illegible]ـية وسوف تزداد هذه النسبة تبعا لدخول التكنولوجيا الى المجالات الاخر

تكنولوجيَة الأسلحة الحَديثة
الأسلحَة دقيقَة التوجيه

ريتشارد بورت

RE CHARD BORT

مقدمة :

هناك اجماع على مدى اهمية التكنولوجيا كعامل اساسي في العمليات الحربية ومع ذلك يبقى دورها الفعلي غير محدد الملامح بشكل ثابت . مما لاشك فيه ان القدرة التكنولوجية لدى كل جانب هي التي تحدد النصر او الهزيمة او على الاقل تشكل عاملا هاما في هذا المجال او ذاك ولكن هذا الواقع مؤكد في المعارك والعمليات الحربية الآنية اذ مع الوقت تفقد التكنولوجيا المطورة الراهنة تفوقها مما دفع المؤرخين العسكريين الى النظر اليها كعامل دوري يساعد المهاجم تارة والمدافع تارة اخرى .

كما ان التكنولوجيا بتأثيرها على التكتيك والاستراتيجية فانها أيضا تمس وبعمق السياسة الدولية للدولة وذلك لانها بالقيود او الامكانات التي تفرضها على القوات المسلحة وبالتالي ، ابراز قدرة هذه القوات على الهجوم او الدفاع، فانها بنفس الوقت تعدل النوايا السياسية وتفرض على القيادة السياسية حدودا لمناوراتها .

وقد لعبت التكنولوجيا العسكرية في الدول الصناعية الحديثة خلال القرن العشرين دورا اكثر حيوية في مجال استخدام وتنظيم القوات المسلحة ، في حين

كانت في المجالات الاخرى عاملا هاما في سرعة التطور وزيادة الامكانات . كان أهم تطور في فترة مابعد الحرب العالمية الثانيــة هو التوصل الى تحطيم الذرة واستخدامها كســلاح ذي قدرة تدميرية رهيبة فاقت كــل توقعات القادة العسكريين مما نسف كافــة المفاهيم الحربية السابقــة واعطى مفهوما جديدا لسياسة الردع . وبالاضافة الى ذلــك نجد ان التطورات التكنولوجيــة التي ادخلت على الاسلحة التقليدية لم تكن بأقل تاثيرا .

وقد ادى دخول التكنولوجيا الى الاسلحة التقليدية ليس فقط الى زيادة امكانياتها وفعاليتها بل حولت القوات المسلحة الغربية الى عناصر تقنوقراطيــة مما ادى الى الاقلال من عدد العناصر البشرية مع الاحتفاظ بنفس القدرة النارية ان لم تكن اقوى . ينطبق هذا الوضع بلا شك على معظم دول العالم ولكنه اكثر وضوحا في الدول الغربية وخاصة في الولايات المتحدة الاميركية . السبب الاول لذلك هو كون الدول الغربية تقليديا تمتلك تفوقا تكنولوجيا وطالما انها تتمتــع بالاموال اللازمة والخبرات العلمية وقواعد صناعية قوية فانها تعتبر التكنولوجيا هي الوسيلة الامثل للتغلب على عجزها في المجالات الاخرى . وقد صرح الجنرال « جورج براون GEORGEBROWN » ان الولايات المتحدة الاميركية لم تحاول مطلقا التعادل مع الاتحاد السوفياتي سواء في مجال القوات البرية او في العتاد معتمدة بدلا عن ذلك على التفوق التكنولوجي .

ولكن وعلى الرغم من هذا الميل الشديد في العالم الغربي نحو الاستفادة من التكنولوجيا فقد بدات الانتقادات توجه نحو مدى ما قدمته التكنولوجيا المطورة للخطط الدفاعية . وقد لوحظ تركيز شديد على الاسلوب الذي تمت به الاستفادة من التكنولوجيا في السنوات الاخيرة . وقد اوضح البعض انه في بعض المجالات أعتبر تحسين الميزات الفنية لبعض الاسلحة وزيادة قدراتها التدميرية هــدف قائم بذاته وبذلك انفصلت عمليا من المتطلبات الفعلية لساحة القتال : مثــلا الطائرات المقاتلة التي استخدمت في الحرب الفيتنامية كانت اسرع من سابقاتها ولكن تبين انها جعلت عملية اكتشاف وتحديد الهدف اكثر صعوبة وبنفس الوقت هي اقل قدرة من حيث وزن القنابل والذخائر التي تحملها .

كما ان الاستعانة بالتكنولوجيا من جهة اخرى عملية باهظة التكاليف فكل سلاح مطور يكلف اكثر من سابقه . فهل من المنطق استبدال سلاح بآخر يزيد ثمنه عن الاول بضعفين او ثلاثة اضعاف في حين لايفوقه كفاءة الا بمقدار معين؟. وهناك ايضا النفقات المخصصة المقاتلين . ففي الوقت الذي كانت الغاية الاساسية هي الاستفادة من التكنولوجيا لتخفيف نفقات الافراد تبين في بعض الحالات ان النتيجة عكسية تماما . فقد دلت الدراسات ان نصف النفقات المخصصة للسلاح المتطور لمدة عشر سنوات تصرف على الصيانة (تحدد عادة فترة زمنية هيعشر سنوات لكل سلاحمتطور ، من تاريخ وضعه قيدالاستخدام، ليعتبر مستحقا لما انفق عليه) .

وقد جاءت هذه الآراء في الوقت المناسب اذ اثارت بعض التطورات التكنولوجية الحديثة جدلا كبيرا حول مدى الاستفادة منها في العملياتالحربية وما تتطلبه من تعديلات ـ وهنا أود ان أشير الى ان هذه الدراسة لن تتعرض للتطورات التكنولوجية المستقبلية التي قد يكون لها آثارا جذرية في حروب المستقبل مثل اجهزة اللايزر ذات القدرات العالية او وسائل تعديل وتبدل الظروف المناخية والجوية .

من جهة اخرى ربما كانت التطورات المقبلة كفيلة بتعديل اسس التخزين وزيادة الامكانيات المتوفرة حاليا وتوسيع مجال استخدام الاسلحة الحديثة بهدف تعديل العلاقة بين الكلفة والفعالية ، ولكن حتى ذلك الوقت الذيوصفه الدكتور « مالكولم كوري MALCOL CURRIE بانه ثورة في الحروب التقليدية ، فان التكنولوجيا الحديثة والاسلحة المتطورة حاليا لاتشكل اي ضمان ولا توحي بأن هذه الثورة قريبة . لو القينا نظرة الى الوراء لوجدنا ان بعض التكنولوجيا كان لها تأثير هام جدا على اسلوب وايقاع العمليات الحربية وخاصة على طبيعة المبارزة بين الدفاع والهجوم (مثل الرشاش والغواصة في الحرب العالمية الاولى والدبابة والطائرة القاذفة في الحرب العالمية الثانية) . ولكن في المستقبل يبدو ان المزايا التكنولوجية سوف تعتمد اساسا على سرعة وشكل الاستفادة منها. وهذا بدوره يحتاج الى ايجاد حلول تقنية معقدة بالاضافة الى ضرورة القيام بدراسات أعمق من السابق للمسائل التنظيمية والسياسية التي قد تنجم عن

استخدامها . هذا مع العلم ان هذه الدراسة لن تعطي اجابات واضحة ومحددة بل تقدم فقط اطارا عاما يسهل تقدير الموقف العام .

وسوف نوضح في القسم الاول من هذه الدراسة التطورات التكنولوجية الهامة ثم نتعرض في القسم الثاني الى الحجج التي استند البعض عليها للتنبؤ بمدى فعاليتها في التطبيق العملي بايضاح فقرات هذه الحجج اما القسم الثالث فسوف يسعى الى اظهار النتائج العملياتية والتنظيمية الناجحة عن تطبيق التكنولوجيا ثم يعكس القسم الرابع تأثيرها المحتمل على النواحي السياسية والجهود المبذولة للحد من التسلح وسياسة بيع الاسلحة .

* * *

آ ـ تطور الاسلحة الحديثة

في فترات السلم النسبي تحدث الثورات التكنولوجية العسكرية في فترات متباعدة عبر تطور بطيء . وان الانقطاع الحالي في التطور التكنولوجي للاسلحة التقليدية يدحض مزاعم القائلين بان هذه الاسلحة في تطور مستمر منذ الحرب العالمية الثانية . فالعديد من التقنيات التي أثبتت جدارتها خلال حرب الشرق الاوسط عام ١٩٧٣ وكذلك الدروس المكتسبة خلالها كانت متوقعة ومعروفة منذ عشر سنوات خلت . ولكن الصدمة الناجمة عن الصراعات الحالية سواءفي الشرق الاوسط او في الهند الصينية وسواهما ، قد أيقظت الاهتمام بتطوير الاسلحة التقليدية تكنولوجيا مع العلم ان ليس كل ماسوف يناقش ويطبقهو جديد تماما . وعلى الرغم من ان الخبرات الجديدة تدفعنا نحو بذل جهود أكبر في مجال تطوير الاسلحة فان التجارب العملية قد علمتنا ان أي استخدام لعتاد جديد او أي تعديل في العقيدة القتالية يتطلب زمنا طويلا ويتم بصورة تدريجية قبل ان يكتمل تطبيقه الفعلي .

وبنفس الوقت يبدو واضحا ان التطور التكنولوجي للاسلحة يجري بسرعة وان كمية المتغيرات كبيرة جدا . ففي عام ١٩٧٥ مثلا قامت الولايات المتحدة الاميركية لوحدها بتطوير ثلاثين عائلة من الاسلحة التقليدية . منها الاسلحة المضادة للدبابات حيث نجد أكثر من ثمانية عشر نوعا جاري تطويره في مختلف دول حلف شمالي الاطلسي . ولا تقتصر فائدة هذا التطوير على زيادة القدرة النارية والحركية والحماية ـ وهي الاهداف الرئيسية لكل تصميم جديد ـ بل تحسن السيطرة والمرونة في العمليات الحربية بزيادة القدرة على كشف الاهداف وتدميرها من مسافات أبعد وبنفس الوقت الاقلال من الاخطار الجانبية

التي قد تسببها للمنشآت والسكان المدنيين . ويبدو ان اهم هذه التطورات شملت المجالات التالية :

دقة التوجيه ، القيادة والتوجيه عن بعد ، تحسين الذخائر ، كشف وتحديد الاهداف ، القيادة والسيطرة والاتصال واخيرا مجال الحرب الالكترونية .

- التوجيه الدقيق :

ربما كانت اهم التطورات التي شهدتها الاسلحة التقليدية هي زيادة الدقة بواسطة التقنيات الجديدة التي ادخلت على أجهزة التوجيه . وقد اصبح تعبير « القنابل دقيقة التوجيه » شائعا لوصف عدد متزايد من انواع القنابل ، والصواريخ وقذائف المدفعية التي زادت نسبة الاحتمالات في الاصابة بواسطة قذيفة واحدة من عشرة الى مئة ضعف عما كانت عليه في القذائف العادية . وقد وصفت هذه القذائف الجديدة بالذكية .

ويبين الجدول التالي ان زيادة الدقة هذه هي نتيجة لعدة تطورات تكنولوجية خفضت نسبة الخطأ المحتمل الى عشرين مترا وأقل .

جدول يبين دقة القنابل دقيقة التوجيه ١٩٧٥ — ١٩٨٥

التكنولوجيا المستخدمة للتوجيه	دقة الاصابة (بالأمتار)
- بواسطة اشعة لايزر	١٠
- أجهزة الكترونية	١٠
- اشعة دون الحمراء	١٠
- بواسطة الرادار	٥٠
- مسح راداري للمنطقة	٥٠
- أجهزة قياس المسافات	٥٠
- قائس مسافات بموجات ميكروية	٢٠
- بواسطة الاقمار الصناعية	١٠

- ملاحظة :

هذه المعلومات ماخوذة من منشورات وزارة الدفاع الامريكية ومما لاشك فيه ان دقة الاصابة وخاصة دقة تقدير المسافات مرتبط ببعد الهدف ولكن الجدول اعلاه لم يتعرض له .

وقد عمد العديد من الكتاب الى اعطاء تعاريف عملياتية لهـذه الذخائر الدقيقة التوجيه استنادا الى امكانيتها اصابة الهدف بدقة خمسين بالمئة وما فوق . ورغـم ان لهذا الوصف سيئاته فانه يدل على مدى الاهمية التـي اكتسبتها حتى اصبح هناك املا كبيرا بالوصول الى اصابة محتمة لكل قذيفة.

ومع ذلك نجد ان هذه الذخائر كانت موجودة منذ عشريـن عاما مثـلا الصواريخ سطح ـ جو الدقيقة الموجودة في القوى البحرية الاميركية والموجهـة بواسطةالرادار«تيريه TERRIE » والصواريخسام٢ الروسيةالموجهةبواسطة الاشعة تحت الحمراء والتي وضعت قيد الاستخدام منذ مطلـع الخمسينات وهناك أيضا الصاروخ الفرنسـي « س س ١٠ SSIO » المضـاد للدبابات والموجهة سلكيا والصاروخ جو جو الاميركي نوع فالكون FALCON الموجـه بالاشعة دون الحمراء والمستخـدم منذ عام ١٩٥٥ . ولكن اهم التطـورات الحديثة كانت في تطوير اجهزة التوجيه في مجال الصواريخ جو ـ ارض حيـث تتزايد صعوبة كشف وتحديد واصابة الهدف .

اما في مجال الاهداف الجوية والسطحية (بر ـ بحر) فقد ركزتالجهود نحو تحسين دقة الاصابة للاسلحة بعيدة المدى وكذلك الاسلحة الخفيفة ويبين الجدول التالي ان الصواريخ المتطورة قد عم استخدامها في العديد من الدول وبعضها جاري متابعة تطويرها . ويمكن تقسيم تقنية التوجيه الى ثلاثةانواع: الملاحقة ، وتحديد الهدف بدقة ، وبواسطة مساعدة. سنوضحها بعد الجدول.

ان الذخائر دقيقة التوجيه التي تطلق على اهداف بهذه الطريقة هيالتي تستخدم عادة ضد اهداف ثابتة او متحركة بالاعتماد على انعكاس اشعة لايزر على الهدف او بواسطة الاشعة دون الحمراء التي توجه القذيفة نحو الحرارة الناجمة عن الهدف وكذلك بواسطـة الكشف انراداري السلبي او الايجابي وسوف تستفيد في المستقبل من الاجهزة العاملة بواسطة الموجات المكروية . وعلى الرغم من ان هذا الاسلوب (الملاحقة) كان قصرا على الصواريخ فـان العديد من القذائف اصبح قادرا على تحقيق نتائج ممتازة في هذا المجال وذلك بعد وضع وسائط التوجيه في المرحلة الاخيرة من مسار القذيفة ، قيد التطبيق.

جدول يوضح مدى تطور الصواريخ الحديثة ومراحله في عام ١٩٧٥

الدولة	سطح - سطح عابر القارات	طواف بعيد المدى	جو - أرض	ضد السفن	أرض - جو	م/د خفيف	جو - جو	ضد الغواصات
اميركا	ج	ج	م	م	م	م	م	م
روسيا	ج	م	م	م	م	م	م	م
فرنسا			م	م	م	م	م	م
بريطانيا			م	ج	م	م	م	
المانيا الغربية			ج	ج	م	م	ج	
اسرائيل			ج	م			م	
ايطاليا				م	م	م	ج	
السويد				م	ج	م		
اوستراليا								م
اليابان				ج	ج	م	م	
النرويج					م			
كندا				م				
جنوب افريقيا							م	

م = تم تطويره ج = جاري تطويره

ففي الولايات المتحدة الاميركية مثلا جاري تطوير قذائف المدفعية من عيار ١٥٥ ملم وثماني انشات هاوتزر لتصبح قادرة على اصابة الهدف بدقة بواسطة اضاءة الهدف باشعة اللايزر التي يستخدمها المراقب الامامي وقد بلغت الدقة في التجارب المنفذة حتى الآن بين قدم واحد الى ٣ اقدام . وكذلك جرى اختبار قذائف هاون موجهة باشعة اللايزر من قبل المانيا الغربية . وجاري حاليا تطوير المدفعية البحرية والمدفعية المضادة للطائرات المحلقة على ارتفاع منخفض بالاستفادة من وسائل التوجيه بالاشعة دون الحمراء واشعة اللايزر.
أما الرؤوس الحربية المزودة بجهاز تدقيق التوجيه في المرحلة الاخيرة من مسارها فقد طورت اساسا لتستخدم في الصواريخ العابرة التكتيكية وهي قادرة

على التوجه نحو الهدف تلقائيا بعد تخلصها من الشحنة الدافعة على مسـافة اكثر من ميل واحد .

- تدقيق التوجيه :

ويتم ذلك بالاستفادة من الاجهزة الالكترونية التي تسمح بتصحيح اخطاء التوجيه الاولي والانحرافات الجارية اثناء سير القذيفة ومن ثم توجه القنبلـة نحو الهدف بدقة . وهذا النوع من الاجهزة - التوجيه بعيد المدى - يسمـح حاليا بالتصحيح في منتصف الحركة ولكن تعاون هذه الاجهزة مع تلك العاملـة في المرحلة الاخيرة من المسار يقود الى اصابة دقيقة مماثلة للذخائر دقيقـة التوجيه الميدانية . ويستفيد النموذج الجديد من صواريخ لانس الاميركية من المعلومات المعطاة له من اجهزة محمولة على الطائرات تعمل كنقاط علام الكترونية لتصحيح أي انحراف في محركه وتوجهه نحو منطقة الهدف .

وان اهم تطوير في هذا المجال سوف يكـون عبر الاستفادة مـن الاقمار الصناعية لتصحيح مسار الصواريخ . وان وجود ٢٤ قمرا صناعيا اميركيا على مدارات ثابتة يسمح بتوجيه الصواريخ بدقة تعادل عشرين قدما في كافـة الاتجاهات .

- التوجيه بواسطة مساعدة :

تستخدم هذه الطريقة عادة لتوجيه الصواريخ بعيدة المدى ضد اهداف معينة من الصعب تحديدها بدقة بواسطة الاجهزة الثابتة . لذلـك يجهـز الصاروخ بوسائط تخزين المعلومات المعطاة له عبر الرادارات او الاشعة تحت الحمراء او الموجات الميكروية ومن ثم يحللها ويجري التصحيحات اللازمة على مساره وتقدر دقة الاصابة آنئذ بثلاثين مترا اقل للصواريخ عابرة القارات وقد اجريت بعض التجارب على جهاز تصحيح المسار يعمل بواسطة جهاز تلفزيوني مركب على صاروخ بيرشنغ . وينتظر ان تنجز كافة هذه التجارب وتوضـع هذه الاجهزة قيد الاستخدام الفعلي في منتصف الثمانينات .

ـ التوجيه والسيطرة عن بعد :

ان الوسائط الموجهة عن بعد موجودة قيد الاستخدام منذ سنوات عدة ولكن السنوات الاخيرة شاهدت تطورا ملحوظا اذ جهزت بلوحات الكترونية مبرمجة مما سمح لها بتنفيذ عدة مهام معقدة . وقد استخدمت الطائرات الصغيرة الموجهة عن بعد من قبل اسرائيل بمهام استطلاعية في الشرق الاوسط كما استخدمتها الولايات المتحدة الاميركية اثناء حرب الهند الصينية وقد دلت النتائج التي حققتها انها تشكل الوسيلة المثلى في مجال تحديد الاهداف او القصف وايضا في مجال الحرب الالكترونية . كما ان النوع الذي يمكن استعادته يمكن ان يستخدم بفعالية في عمليات التشويش على الرادارات المعادية او العمليات الخداعية ونظرا لقلة ثمن الانواع غير الموجهة فمن الممكن تغطية اجواء الدفاع بها .

وبالامكان استخدام هذه الطائرات الموجهة والمخصصة للقصف بعد تحميلها بذخائر دقيقة التوجيه ضد أهداف متعددة الانواع . ومن اوضح نماذجها الحالية الطائرة الموجهة الاميركية نوع « فايربي FIeEBEE » الموجهة بواسطة كاميرا تلفزيونية مركبة في مقدمتها والتي اطلقت بنجاح صاروخا نوع مامزيك على دبابات متحركة . وهناك حاليا انواع اخرى من هذه الوسائط جاري تطويرها في الولايات المتحدة الاميركية معدة للعمل على مسافات بعيدة وارتفاعات عالية مثل طائرة الاستطلاع الموجهة « كومباس كوب COMPASSCOPE . هي قادرة على التحليق مدة ثلاثين ساعة وفق خط سير مبرمج مسبقا وبالتالي قد تصبح الوسيلة الاولى للاستطلاع والمراقبة من ارتفاع شاهق وللتوجيه الالكتروني خلال الثمانينات .

ومن امتع النماذج التي تجري دراستها حاليا هو الطائرة الموجهة الصغيرة جدا ، وهي عبارة عن طائرة استطلاع صغيرة ذات مروحة معدة للعمل فوق ساحة المعركة . وزنها لايزيد عن خمسة واربعون ليبرة ويمكن اطلاقها من الجو ويوجهها الطيار نفسه بهدف كشف وتحديد الاهداف المراد قصفها ، كما يمكن اطلاقها من قبل الوحدات البرية بمهام استطلاعية او لتحديد الاهداف للصواريخ او المدفعية الموجهة باشعة اللايزر .

ـ الذخائر المطورة :

رغم احتجابها خلف البريق الذي أحاط بالتطورات التكنولوجية في مجال دقة الاصابة والتوجيه عن بعد ، فان تطورات هامة قد ادخلت على الذخائر التقليدية مما سمح بزيادة قدرتها التدميرية مع الاقلال من الآثار التخريبية الجانبية . فقد حسنت الرؤوس الحربية وكذلك أجهزة الدفع ونظام التفجير. وأصبح بالامكان اختيار نوع الذخيرة المناسبة للهدف المراد تدميره مع الوثوق بتحقيق ذلك . مثلا ضد أهداف النقطة كمقرات القيادة او الجسور وحتى دبابة منفردة تستخدم ذخائر ثاقبة متفجرة او ثاقبة للدرع . كما توفرتذخائر متسارعة الاندفاع في مرحلتها الاخيرة لخرق جدار من الاسمنت بسماكة عدة أقدام مثل الملاجىء المبنية بالاسمنت المسلح . ولتدمير الطرق والمهابط الجوية تستخدم قنابل خاصة تخترق الارض الصلبة لعمق عدة أقدام ومن ثم تنفجر لتحدث حفرة عميقة تعرقل استخدام الطريق او المهبط .

اما ضد الاهداف التي تحتاج الى تغطية اوسع مساحة بالنيران فهناك القنابل المتفجرة بواسطة نوع من السوائل الذي ينفجر في الهواء وينجم عنه موجة تدميرية أكبر من انفجار المتفجرات التقليدية مثل ت.ن.ت . ويوجد منها نوع يشكل ضغطا هائلا مع شظايا واخيرا هناك القنابل الحارقة الجديدة التي يمكن استخدامها ضد خزانات النفط .

وبغية الحصول على تغطية افضل لهدف كبير المساحة يمكن استخدام القنابل العنقودية وقد دلت الدراسات ان هذا النوع من القنابل رغم قلةالدقة بالاصابة فهو اقل تأثير جانبي من القصف المدفعي . والنوع الثاني من القنابل العنقودية هي الخزانات التي تستوعب حتى ثمانين لغما صغيرا ويمكن القاؤها من الطائرة او قصفها بالمدفعية لتشكل حقلا للالغام يزرع بسرعة على الاتجاهات الخطرة .

وقد طور الاميركيون والالمان الغربيون نوعا جديدا من الالغام يمكن تفجيرها عن بعد :

مثل النوع المسمى « غاتور GATOR » وهو نوعان مضاد للاشخاص أو مضاد للدبابات في حين ان « غراس هوبر GRASSHOPPER معد للعمل ضد عربات النقل والامداد وهو يخفي نفسه فور وصوله الى الارض ويبرز منه فقط الرأس الحربي عند اقتراب عربة منه او في نصف قطر عمله .

ـ كشف الاهداف وتحديد موقعها :

لاشك ان كشف الهدف وتحديد مكانه عملية هامة جدا بل اساسية لتامين دقة الاصابة وهذه العملية قد ادخلت في برامج العديد من الذخائر دقيقة التوجيه . فالصواريخ المضادة للاشعاعات تكشف بسرعة الاهداف المشعة في حين تتجه القذائف العاملة بالاشعة دون الحمراء نحو منابع الحرارة. أما بالنسبة للاسلحة البسيطة مثل الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات او الصواريخ المحمولة المضادة للطائرات فان الرامي يكشف هدفه بالنظر . ان هذه المراقبة بالنظر يمكن أيضا الاستفادة منها لصالح الصواريخ او المدفعية وذلك لمسافات أبعد بتجهيز الراصد الامامي بجهاز كشف لايزري محمول . في حين تقدم الطائرات الخفيفة الموجهة المعلومات اللازمة عن الاهداف القريبة او البعيدة . اما تلك المعدة للعمل لزمن طويل فيمكنها الانذار عن خطر جوي او صاروخي قادم وكذلك يمكنها توجيه الصواريخ التكتيكية .

وباستطاعة طائرة الانذار المبكر والسيطرة الاميركية « اواكس AWACS ان تستطلع راداريا حتى مدى ٢٠٠ ميل بما في ذلك كشف الطائرات المعادية العاملة على ارتفاع منخفض . اما على المسافات الاقرب فيمكن للرادار ان يكشف أي تجمع معاد يستعد للهجوم كما يحدد موقع أي هدف متحرك ارضي . وقد استخدمت البحرية الاميركية رادارا من نوع « ايجيز AEGIS » قادر على كشف أي هدف جوي طائرة او صاروخ واذا ماربط بواسطة الحاسب الالكتروني بشبكة من الاسلحة للرمي الآلي ، فانه قادر على توجيه الرمايات نحو عدة أهداف بحرية وجوية بدقة وفعالية .

لم تستثمر التكنولوجيا على نطاق واسع في ساحة المعركة نفسها ومع ذلك حدث تطور هام في مجال كشف وتحديد الاهداف امام الحد الامامي. فالحواجز

الالكترونية المؤلفة من اوتاد تغرس في الارض امام الحد الامامي . ان هذهالاوتاد تتحسس بالاصوات والمعادن والحركة واهتزازات الارض وحتى بالروائحفتنقل معلوماتها الى رادار يتوجه آليا نحو الهدف ويوجه معه عددا من نيرانالاسلحة الآلية نحو الهدف . ويمكن لهذا النظام ان يعمل بكفاءة نهارا وليلا وفي كافـة الظروف الجوية بعد تزويده باجهزة خاصة تعمل بالاشعـة تحت الحمراء او سـواها .

ـ القيادة والسيطرة والاتصال :

شمل التطور التكنولوجي نواح عدة في مجال جمع المعلومات ونقلها بسرعة الى قائد مسرح العمليات لتكون صورة واضحة للموقف وبالتالي تسمح لـه باتخاذ القرار المناسب . وحاليا أصبح بامكان قائد وحدة صغيرة ان يجمع كافة المعلومات المتوفرة وان ينقلها بسرعة الى رؤسائه بعد ان نجحت التكنولوجيـا بتصغير حجم الاجهزة المستخدمة .

وقد بذلت الجهود للسماح لقائد المسرح باتخاذ قراراته بسرعة استنادا الى آخر المعلومات عن الموقف الفعلي للعدو في الوقت الحقيقي . وقد اصبحت هذه الامكانية سهلة بواسطة التطورات التي ادخلت على الحواسبالالكترونية القادرة على تحليل المعلومات المختلفة الواردة عن العدو . وسوف يتم في اطار برامج حلف شمالي الاطلسي ربط كافة عناصر القوى الجوية التكتيكية بشبكة واحدة تقدم للقائد معلومات سريعة عن القوات الصديقة والمعادية وعن الاسلحة المستخدمة والاهداف الواجب ضربها . وجاري حاليا انشاء نظام كهذا فياوروبا الوسطى يقضي بايجاد قيادة دفاع جوي مركزية تشرف وتقود كافة وسـائط الدفاع الجوي . ان الواسطة الاساسية المعتمدة هنا هي طائرات « الاواكس » التي تتولى القيادة والاشراف في المناطق الضعيفة نسبيا من حيث التغطيـة الجوية او في المناطق التي فقدت فيها وسائط الاتصال والاشراف .

أما بالنسبة للقوات البرية فان نظام القيادة والاشراف العامل بمساعدة الحواسب الالكترونية يسمح للقادة الميدانيين بالحصول بسهولة وسرعة على كافة المعلومات التي يحتاجونها عن تحركاتالعدو وعن الطيران والمدفعيةالمتوفرة

وكذلك عن الاحوال الجوية وموقف وحدات الامداد . ولدى القوى البحرية تسهيلات مماثلة .

وتبذل الولايات المتحدة الاميركية جهودا جبارة الآن لرفع مستوى القدرة على القيادة والسيطرة والاتصال على المستوى العام كله . وهذا يعني تطوير الحواسب الالكترونية ونشر معدات قيادة متقدمة محمولة جوا وتحسين وسائل الاتصال ومن ثم قدرة عالية على الاتصال المتبادل بين مختلف صنوف الاسلحة.

وقد ركز اهتمام كبير لتمكين المستويات الدنيا من نقل المعلومات آنيا وعلى اقنية متبدلة تهربا من التشويش ومستخدمة اجهزة صغيرة رخيصة الثمن .

ـ الحرب الالكترونية :

كانت المحاولات الهادفة الى السيطرة على مجال انتشار الموجات اهم مظاهر الصراع العسكري في هذا القرن . ومع ذلك لم تشهد الحرب الالكترونية اهتماما كبيرا الا في السنوات العشر الاخيرة وتمثلت في مهام ثلاث :

الاستطلاع الالكتروني ، والتدابير الالكترونية المعاكسة ، والتدابير الالكترونية معاكسة المعاكسة .

خلال عملية غزو تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ اخفيت جميع تحركات قوات حلف وارسو البرية والجوية بسد كثيف من التشويش على كافة الاجهزة وكافة الترددات . في حين لجأت الولايات المتحدة الاميركية اثناء حرب فيتنام الى مزيج من التشويش المنفرد اي على ترددات الرادارات حصرا وبعض تدابير التمويه الالكتروني بواسطة الطائرات لعرقلة عمل رادارات الدفاع الجوي الفيتنامية . ولكن حرب الشرق الاوسط عام ١٩٧٣ هي التي ابرزت الدور الهام جدا والحاسم للحرب الالكترونية في الحروب الحديثة . فقد استخدم الجانبان شبكات اتصال واسعة وكذلك وسائل التشويش الالكتروني على الطرف الآخر .موجها نحو راداراتالدفاع الجوي التي كانت تردداتها معروفة او التي يتم اكتشافها اي تشويش موجه بالاضافة الى تشويش شامل موجه

لارباك شبكة الاتصال داخل وبين الوحدات المدرعة . وقد استخدمت اسرائيل بحرا وجوا وسائل الكترونية لخداع رادارات العدو .

ان هذا الاستخدام الواسع لوسائط الحرب الالكترونية في حرب الشرق الاوسط عام ١٩٧٣ قد دفع كل من الولايات المتحدة الاميركية والاتحادالسوفياتي الى الاهتمام بها وادخال تحسينات هامة على وسائطها . وقد اصبحت كافة الصواريخ المضادة للطائرات السوفياتية قادرة على تبديل ترددات راداراتها مما يزيد من صعوبة التشويش الموجه وهذا ماقاد الطرف المقابل الى تطوير أجهزة الحواسب الالكترونية المعدة لتشغيل أجهزة التشويش . ونظرا لان عملية التشويش ومعاكس التشويش تتطلبان منابع قدرة قوية فقد استخدمت هوائيات موجهة الكترونيا للتقليل من الطاقة المهدورة .

وقد تم حاليا تزويد الطائرات والسفن بتجهيزات حديثة خاصة بالحرب الالكترونية وان كانت هذه معدة خصيصا من حيث التصميم للعمل على السفن والطائرات . فالبحرية الاميركية حاليا تستخدم طائرة نوع A - 6E للتشويش الثابت في حين تستخدم القوى الجوية الطائرة EF - 111 A وهي نموذج معدل الطائرة F 111 ذات الاجنحة المتحركة للتشويش على اجهزة الدفاع الجوي المعادية ومن ثم التوغل والضرب في عمق العدو .

* * *

ب ـ هل نحن على أبواب عصر جديد للحرب ؟

ان هذه التطورات التكنولوجية الحديثة والمتعددة الانواع والغايات قد دفعت بعدد ، متزايد يوما بعد يوم ، من المراقبين الى القول بان هناك في الافق ملامح عصر جديد للحروب . الواقع انه لو امعنا النظر والتفكير بالموضوع لوجدنا ان المرحلة الحالية لاتسمح بالقبول كليا بافكار هذه المدرسة الجديدة . رغم ان الدراسات الحديثة قد اوضحت ، نظريا على الاقل ، قدرة التكنولوجيا على ترجيح كفة الدفاع على الهجوم من حيث القدرة والكفاءة . وسوف نسعى في الفقرات التالية الى عرض الآراء التي تدعم هذه الفكرة .

يعتقد العديد من الباحثين ان اهم مزايا الاسلحة الحديثة هي القدرة التدميرية الكبيرة التي وفرتها لوحدة عسكرية صغيرة . اذ بفضل التكنولوجيا الحديثة أصبح بامكان وحدة ما تشكيل خطر على العدو المتمركز في موقع محصن او المتقدم بدبابات متطورة وطائرات حديثة وسفن حربية وذلك بفضل الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات وللطائرات وبنفس الوقت تدعم القدرة الدفاعية للوحدة الصغيرة بالاستفادة من الارض والاسلحة الجديدة .

وبفضل الاسلحة الجديدة يمكن اعتبار كل هدف كشف موقعه مدمرا لذلك قيل ان من الواجب اعطاء اهتمام خاص للتمويه والاختفاء وعدم التحرك . وفي هذه الحالة يكون المستفيد الاول هو المدافع لانه تبعا لمهمته يلعب دورا سلبيا بالنسبة لدور المهاجم الذي يقوم بدور ايجابي . فالمهاجم مضطر لتنفيذ مهامه الى التحرك أحيانا في أرض مكشوفة مما يزيد من امكانيات المدافع في تحديد هدفه وتدميره بواسطة الذخائر دقيقة التوجيه .

وتلوح انعكاسات تكتيكية نتيجة لهذه الملاحظات وقد يكون أهمها ، باعتقاد عدد من الباحثين ، هو تحول كل من قوات الدفاع والهجوم الى العمل بوحدات

صغيرة مستقلة متعاونة فيما بينها بالنيران . ويتشكل الدفاع من عدد كبير من هذه الوحدات الصغيرة المجهزة باسلحة حديثة ذات قدرة تدميرية كبيرة بهدف الاستفادة الى اقصى حد ممكن من ثنايا الارض للاختفاء .

اما بالنسبة للمهاجم فانه نتيجة للخطر المحتمل تعرضه اليه سوف يسعى الى نشر قواته بشكل واسع وبالتالي فان الحشد التقليدي للقوى الرئيسية على محور معين يصبح اكثر صعوبة ولو تم فعلا يكون معرضا لنيران غزيرة ومحكمة . قد تؤدي الى وقوع خسائر كبيرة في صنوفه وربما افشال الهجوم. وبنفس الوقت يستفيد المدافع من معرفته للارض فيستغل المساتر الطبيعية منها او يقيم مواقع اخرى ملائمة للحماية ولاستخدام سلاحه بفعالية لذلك مال عدد من الباحثين الى القول ان الاسلحة الحديثة دعمت العمليات الدفاعية .

وقد اقترح احد الباحثين تطبيق مفهوم الدفاع الشطرنجي حيث تتوزع القوات على عدد من النقاط الحصينة المنتشرة بالجبهة والعمق يشغلها عدد قليل نسبيا من الرجال بسلاح فردي مضاد للدبابات وللطائرات حديث وكل نقطة محمية بوسائط انذار الكترونية تنذر عن كل تقدم مدرع معاد .

وتنبأ كتاب آخرون بتطورات مماثلة للقوى البحرية ، ونادوا بالاستعاضة عن سفن السطح الضخمة كحاملات الطائرات المعرضة للقصف بسهولة بواسطة الذخائر دقيقة التوجيه ، بسفن سطح صغيرة مسلحة بهذه الذخائر وسريعة الحركة والمناورة وبذلك يمكن امتلاك قدرة نارية كبيرة بنشر عدة سفن صغيرة مجهزة بالاسلحة الحديثة . كما ان عمليات الانزال البحري اصبحت خطرة اذ تتعرض وسائط الانزال الى نيران اسلحة الدفاع الحديثة والحوامات المضادة.

ويبدو ان انعكاسات توفر هذه الاسلحة الحديثة تعبويا سيكون مفيدا جدا للدفاع الغربي خاصة في وسط اوروبا حيث مازالت مشكلة موازاة قوات حلف وارسو التقليدية قائمة ، خاصة وان حلف وارسو متفوق عدديا بالمشاة والمدفعية واهم من ذلك بالدبابات . واصبح بامكان قوات حلف شمالي الاطلسي المزودة بوسائل كشف وتحديد الاهداف وضربها بالذخائر دقيقة التوجيه ان تدمر عددا كبيرا من الدبابات خلال فترة زمنية قصيرة .

ويعتبر المراقبون ان توفر امكانية ايقاف وافشال هجوم مدرع في وسط اوروبا اهم انجاز حققته الاسلحة المتطورة الحديثة . هذا بالاضافة الى انجازات اخرى فالقدرة التدميرية ودقة الاصابة التي اصبحت متوفرة في الاسلحة الحديثة قادرة على التصدي لاي هجوم جوي او بحري وهنا مناسب تماما الدفاع الساحلي مثل شواطىء البلطيق وللدفاع الجوي عن شمالي النرويج حيث الدفاع هناك ضعيف بشكل عام . اما في الجنوب فان الذخائر دقيقة التوجيه تعتبر الواسطة المثالية للاستخدام في المناطق الصعبة مثل شبه جزيرة الاناضول.

ومن جهة اخرى فان دقة الاصابة تقلل من الاضرار الجانبية في الحروب التقليدية . ولهذا يعتقد البعض ان العديد من سكان المناطق الاوروبية الوسطى سوف يبدلون رايهم في موضوع الاستعداد للحرب مما يسمح ولاول مرة لقيادة حلف شمالي الاطلسي بتطبيق فكرة الدفاع العميق .

وان توفر اسلحة حديثة خفيفة شديدة التأثير دقيقة الاصابة سهلة الاستخدام والصيانة سوف تجعل من الاسهل ايجاد حل للتساؤل القديم حول مدى فائدة قوات الدفاع المحلي ، اذ اصبح بالامكان تشكيل احتياطات ضخمة دونما حاجة الى تدريب طويل وبقدرات نارية ممتازة ، وهذا مايسمح باستغلال القوات العاملة في مناطق قتالية اخرى .

واخيرا ان زهد ثمن بعض هذه الاسلحة الحديثة مثل صاروخ تاو المضاد للدبابات والموجه ٣٠٠٠ دولار والصاروخ الموجه المضد للطائرات مثل «ستينغر STINGER » حوالي ١٠ آلاف دولار ، يسمح بزيادة عدد الاسلحة وتشكيل دفاع كثيف بنفقات اقل مما هي حاليا لدى حلف شمالي الاطلسي .

لاشك ان دخول الاسلحة الحديثة الى الجيوش سيكون له انعكاساته على عدد من الدول الاخرى عسكريا . اذ اصبح بامكان الدول الضعيفة بعد تزويد جيوشها بهذه الاسلحة ان تصمد لاي عدوان خارجي من جار قوي . وهذا مهم جدا لبعض الدول ذات الوضع الخاص مثل يوغسلافيا والسويد والباكستان واليابان التي عليها ان تتعايش مع جيران اقوى منها عسكريا .

اما بالنسبة لدولة مثل اسرائيل فان التكنولوجيا الحديثة تسمح لها بمواجهة الدول المعادية لها والمتفوقة عليها عدديا .

وان الامكانيات العسكرية التي توفرها هذه الاسلحة الحديثة قدفعت الدول الى استثمار نتائجها السياسية والاستراتيجية . وربما كان اهم مثال لذلك هو تطور وتحسن دفاع حلف شمالي الاطلسي في وسط اوروبا . اذ من الواضح انه لو توفرت لحلف شمالي الاطلسي قدرة دفاعية مضمونة تصل اعتماده على التهديد باستخدام القنابل النووية أو استخدامها لصد اي هجوم عليه من قبل قوات حلف وارسو . وان مزايا هذا الوضع تكمن في الاقلال من النتائج التدميرية الجانبية ، ويصبح الاوروبيون اكثر ثقة بان بالامكان الدفاع عن بلادهم دونما التعرض الى الاخطار الناجمة عن استخدام السلاح النووي ، وبالتالي يصبح بامكان الغرب ان ينظر بايجابية الى موضوع الحد من تواجد الاسلحة النووية في أوروبا وتبني استراتيجية الرد النووي لا البدء باستخدامه. بل وحتى السعي نحو اتفاقية ايجاد منطقة خالية من السلاح النووي في وسط اوروبا.

كما ان تزايد قدرة الاسلحة التقليدية سوف تقلل الضغط الاميركي الناجم عن سياسة الردع النووي والتي جعلت من اوروبا ساحة محتملة لحرب نووية. اما بالنسبة للدول الاضعف فان الدفاع المتين يجعلها اكثر استقرارا بعد ان توفرت لديها وسائل الردع الكافية . اما في الشرق الاوسط وجنوب آسيا وشبه جزيرة كوريا فان التهديد بالحرب سوف يقل وتبرز الى السطح احتمالات التسويات السلمية لجميع المشاكل القائمة .

وأخيرا هناك اعتقاد بان بعض الدول بعد حصولها على أسلحة حديثة تؤمن لها دفاعا متينا سوف تصرف النظر عن سعيها للحصول على اسلحة نووية .

هذه لمحة عامة عن بعض انعكاسات توفر الاسلحة الحديثة ولا شك ان كلا منها بحاجة الى دراسة أكثر عمقا وشمولا ، ولكن المهم ان نعترف بأن نتائج تأثير توفر هذه الاسلحة على النواحي السياسية مرتبط الى حد كبير بمدى مايمكن ان تحققه هذه الاسلحة في ساحة العمليات . هل تحقق هذه الاسلحة النتائج المرجوة منها فعلا ؟ واذا تم ذلك هل تكون وسيلة تخدم فعلا الصالح العام ؟ هذا ماسنحاول ايضاحه في الفقرة التالية .

جـ ـ انجازات تكتيك وتنظيم

ـ مشاكل عملياتية :

على الرغم من كون منظومات الاسلحة الحديثة التي ادخلت في تسليح قوات دول عدة تتمتع بقدرة الاصابة من القنبلة الاولى وقدرة القتل بطلقة واحدة ، فان فعاليتها تعتمد على حسن اداء النظام بكامله منذ عملية كشف وتحديد الهدف وحتى تدميره . ويوجد عمليا بعض النواحي الضعيفة في سلسلة الاعمال هذه وقد ذكر أحد الباحثين عام ١٩٦٧ ان القدرة التدميرية للسلاح غالبا ماتعرقلها صعوبة ايجاد الهدف وتحديد مسافته بدقة . وقد تكون هذه الثغرة قد تزايدت مع توفر القذائف الدقيقة التوجيه المتحركة . فمن المعروف ان قذائف المدفعية الموجهة او الصواريخ جو ـ ارض المضادة للدبابات قادرة على تدمير الدبابات على مسافة تزيد عن خمسة أميال وذلك بعد اضاءة الهدف بشعاع لايزر ، ولكن حتى الآن ليس واضحا كيف يمكن تحديد الهدف بدقة خلال الاشتباكات الحامية . وقد علق بعض المحللين بقولهم انه في المستقبل سوف تقوم معظم عناصر وحدات الحد الامامي بوظيفة راصد امامي للاسلحة الموجودة في الخلف . ولكن صعوبة تحديد الهدف تتزايد خلال المعارك المتحركة والمناورات المتعددة مما يجعل شبه استحالة الاستفادة من الذخائر دقيقة التوجيه بشكل كامل . كما ان على الرصاد الاماميين ان يعملوا في ظروف جوية سيئة أحيانا وتحت قصف معاد شديد مما يصعب حرية تحديد الهدف بدقة. ومن جهة أخرى فان أجهزة اللايزر لاتعمل ليلا او في ظروف الرؤية السيئة بالاضافة الى ان العناصر العاملة على أجهزة اللايزر سهلة الكشف وبالتالي التدمير . اما صعوبة تحديد الهدف بحرا فهي كبيرة جدا .

ويطرح نظام السيطرة والقيادة مشكلة اخرى . فالاتجاه حاليا كما ورد أعلاه هو ايجاد وسائط اتصال مضمونة قادرة على نقل المعلومات بسرعة من مختلف الجهات وتحليلها واصدار القرار بالوقت الملائم .

هذا ممتاز من الناحية النظرية اذ يسمح للقائد بتوجيه نيران الدعم نحو الهدف الاهم او توجيه احتياطاته نحو العدو الرئيسي ولكن من الناحيةالعملية ينبغي على مقرات القيادة والسيطرة ان تحمي نفسها من التدمير اولا ومن التشويش خاصة وان طائرة « اواكس » مثلا يرصدها العدو تعتبر هدفا هاما له وسيسعى الى اسقاطها . ولا شك انه عندما تكون هناك مركزية في القيادة والسيطرة فان العدو سيبذل كافة جهوده لتدمير المقر الرئيسي او عدة مقرات صغيرة ليشل كافة الاتصالات .

والأسوا من ذلك هو ان نجد مقرات القيادة والسيطرة وقد غمرت بالمعلومات الغثة والثمينة تفوق امكانية استيعابها ، خاصة وان توفر الاسلحة الحديثة على كافة المستويات يزيد من اعتماد المقاتلين على المعلومات الواردة حول الاهداف وافضليتها من مقر القيادة لاستخدام اسلحتهم بفعالية . مثلا جاري حاليا تطوير جيل جديد من الصواريخ ، المضادة للدبابات ، بعيدة المدى مثل الصاروخ الاميركي نوع « هيل فاير HELLFIRE » وعند وضعه قيد الاستخدام سوف تبرز مشكلة توجيه عدة صواريخ بآن واحد ضد أهداف عدة وبتنسيق تام .

وربما كانت الصعوبات التي تعترض أنظمة القيادة والسيطرة أكثر وضوحا في المشروع الذي دعي ادارة الاشراف على المجال الجوي في اواسط اوروبا حيث تمتلىء السماء في حالة الحرب بانواع متعددة من حوامات حلف شمالي الاطلسي وبطائرات الدعم المباشر وطائرات القصف البعيد والطائرات المقاتلة بالاضافة الى الطائرات الصغيرة الموجهة . وان تنسيق عمليات هذه الانواع كلها مع الاحتفاظ بدفاع جوي قادر على التصدي لطائرات العدو أمر مشكوك به عمليا .

وقد بدا ذلك واضحا ابان حرب تشرين عام ١٩٧٣ حيث نجحت مصر بوضع شبكة من الصواريخ المضادة للطائرات على مختلف الارتفاعات المنخفضة والمتوسطة الارتفاع والعالية انما على حساب تقييد عمل الطيران .

والسيئة الاهم من ضعف بعض النواحي في نظام السيطرة والقيادة او في وسائط كشف وتحديد الهدف ، هي القيود المفروضة فنيا على معظم الاسلحة المتطورة الحديثة من حيث الدقة والتوجيه عن بعد . اذ برغم النتائج الممتازة

التي حققتها خلال التجارب فان الجيل الحالي للذخائر دقيقة التوجيه يشكو من عدد من النواقص العمليانية . فقد طورت أجهزه الكشف العاملة بالاشعة تحت الحمراء والموجات المكرويه بشكل يسمح بالاستفادة منها ليلا وفي ظروف الرؤية السيئة ولكن معظم الوسائط الاخرى المستخدمه للقذائف دقيقةالتوجيه لاتعمل بشكل جيد الا في ساعات النهار والطقس الجيد .

وقد لاتكون هذه عقبة عند استخدامها في الشرق الاوسط مثلا حيث الشروط الجوية حسنه بشكل عام ولكنها عقبه كبرى في اوروبا الوسطى مثلا حيث الظلام والطقس السيء يعادل ثمانين بالمئة من فترة الشتاء .

وابعد من ذلك فان الدخائر دقيقة التوجيه لاستطيع العمل بفعالية في المدن والمناطق الصناعية بسبب وجود عدد كبير من المصانع التيتعمل بمختلف أنواع الطاقه مما يؤثر على دقة التوجيه .

وتشكل التدابير المضادة عقبة أخرى تجاه حسن الاستفادة من الذخائر دقيقة التوجيه ، وبالرغم من أن هذا السلاح لم يلق الاهتمام الكافي الا مؤخرا فان العديد من الاجهزة المشوشة قيد الاستخدام الفعلي . ونحن لاندعي ان عملية التشويش قادرة على ابطال فعالية الاسلحه الجديدة تمما خاصة وانها غالية الثمن ومعرضة هي نفسها للتشويش المضاد . ومع ذلك هناك عقبات في هذا المجال اذ يمكن بوسائل بسيطة التشويش علىتوجيه الصواريخ او الطائرات الموجهة لانها تستخدم موجات عريضة مبدئيا بغية الاستفادة منها لنقل الصور . ولن تكون أسلحتنا بأمان من التشويش حتى تتوفر امكانيـة تزويد الذخائر الدقيقة التوجيه نفسها بواسطة معاكس التشويش ذاتيا . وحتى ذلك الوقت يمكن للعدو التقليل الى حد كبير من فعالية الاسلحة الحديثة وبوسائط بسيطة، فالدخان مثلا يعيق عمل اي صاروخ موجه سلكيا يدويا او نصف آلي وكذلك التوجيه بالاشعة دون الحمراء ، كما يمكن تغيير مسار الصواريخ المضادة للطائرات العاملة بالاشعة تحت الحمراء باطلاق كتل حرارية تجذبها نحوها او بتغطية مخرج اللهب في الطائرات او تعديل تصميم الدبابات بشكل يجعلها قادرة على مقاومة الحشوة الجوفاء .

ـ الهجوم والدفاع :

رغم وجود عدة نواح عملياتية تحتاج الى ايضاح فانه يبدو ان بالامكان استخلاص نتائج مبدئية من وضع الاسلحة المتطورة الحديثة قيد الاستخدام الفعلي في عدد من القوات المسلحة .

نستنتج ووبشكل عام ان التكنولوجيا الحديثة قد وضعت الطائرات الحديثة والدبابات والسفن في موقف حرج وجعلتها اكثر عرضة للتدميرخاصة عند استخدامها بكثافة . مما يغرينا بالقول بان الدفاع سوف يتغلب على الهجوم . ولكن بغية معرفة مدى تاثير ذلك على دفاع اوروبا الغربية او على ميزان القوى في الشرق الاوسط وحتى على مدى القدرات العسكرية للدول الصغرى لابد اولا التفريق بين المفاهيم السياسية والعسكرية لكل من الدفاع والهجوم .

يمكن اعتبار اسرائيل مثلا في موقف الدفاع سياسيا ولكنها تبنت استراتيجية هجومية عسكريا تمثلت بوضوح عام ١٩٦٧ بالقصف الجوي العميق وتوغل ارتال الدبابات الى مسافات بعيدة في ارض خصومها ، وكذلك في المرحلة الاخيرة من حرب عام ١٩٧٣ . لذلك مالم تعدل اسرائيل جذريا استراتيجيتها العسكرية الهجومية فان المنطق الحالي استنادا الى الامكانيات التكنولوجية الحالية سوف تعمل لصالح خصومها .

ولكن هذا استنتاج متسرع اذ انه من الواجب تقسيم مفاهيم الدفاع والهجوم الى استراتيجي (مسرح العمليات) وتكتيكي (عملي) من حيث الامكانيات .

وبغض النظر عن ماهية التوجه السياسي لحلف شمالي الاطلسي،دفاعي ام هجومي (وبيدو أنه مزيج من الاثنين) فان هذا الحلف قد تبنى استراتيجية دفاعية عسكريا هدفها الاساسي هو التصدي لاي هجوم تقوم به قوات حلف وارسو . كما أنه من الواضح ان حجم وانتشار وعقيدة قوات حلف وارسو تعكس انطباعا باستعدادها لعمليات هجومية كثيفة وسريعة في المسرح الاوروبي

ولذلك نعتقد بان التكنولوجيا الحديثة وتطبيقاتها العسكرية العملية سوف تزيد قدرة حلف شمالي الاطلسي على الدفاع والتصدي لاي هجوم مدرع لقوات حلف وارسو بل سوف تنقل التفوق الى الجانب الغربي .

واذا أخذنا بعين الاعتبار التكتيك والانتشار والتنظيم لدى قوات حلف شمالي الاطلسي فاننا نجد ان هذا الاعتقاد له مبرر قوي يدعمه . اذ بالرغم من العقيدة الدفاعية لهذا الحلف على مستوى المسرح العملياتي فان خططه تتضمن دفاعا متحركا ديناميكيا ينص على تنفيذ هجمات مضادة على مستوى اللواء والفرقة المدرعة بالاضافة الى غارات جوية في العمق البعيد للاراضي المعادية .

وكذلك خطط لعمليات انزال بحري وضربات بحرية وجوية انطلاقا من حاملات الطائرات . ويلاحظ العديد من المراقبين ان قوات حلف شمالي الاطلسي منظمة ومسلحة بشكل يلائم العمليات التعرضية الهجومية . وبنفس الوقت نجد ان قوات حلف وارسو ليست كلها معدة لتنفيذ هجوم صاعق ، خاصة تلك العائدة لدول اوروبا الشرقية . حتى العقيدة القتالية السوفياتية التي تعطي اهمية كبرى للعمليات الهجومية يعترف بالحاجة لاتباع تكتيك دفاعي على المستوى المحلي .

وفي موقف كهذا يصعب اعطاء تقدير صحيح تماما لمدى تأثير التكنولوجيا في الساحة الاوروبية او سواها اذ في الوقت الذي أصبح احتلال منطقة ما عملية صعبة فانه ما ان يتم احتلالها حتى يصبح أيضا من الصعب استردادها .

وهنا لابد من لفت النظر الى ان هذه الاسلحة الجديدة فعالة فعلا ضد هجوم مدرع كثيف اذ يمكن تمزيقه بواسطة الذخائر دقيقة التوجه المضادة للدبابات ولكن النقاط المحصنة المجهزة بالاسلحة المضادة للدبابات ستجد صعوبة في الدفاع ضد وحدات المشاة والمدفعية وقد اظهرت التكتيكات الاسرائيلية في الايام الاخيرة من حرب عام ١٩٧٣ في الشرق الاوسط ان نيران المدفعية ووحدات المشاة التي سبقت تقدم الدبابات هي وسيلة جيدة للقضاء او شل عمل الوحدات المضادة للدبابات وقد تفهم الروس هذا الدرس تماما . وان الترتيب الدفاعي

المعد للتصدي لهجوم صاعق مدرع لايتلاءم مع متطلبات الدفاع ضد هجوم صاروخي او ضد مدفعية تتحرك ببطء او هجوم المشاة لذلك يجب أن يدرس التكتيك الدفاعي ليناسب اي هجوم محتمل .

وقد يستفيد المهاجم من الاسلحة الحديثة ذات الذخائر دقيقة التوجيه في عملية دفاعية محليا ليشن هجوما شاملا على مستوى مسرح العمليات . ونظرا لان الخرق المدرع الكثيف قد أصبح اقل فعالية بسبب توفر الاسلحة الدقيقة الحديثة لدى المدافع فقد يلجأ المهاجم الى الاستغناء عن هذا الاسلوب لصالح اغارات مفاجئة لحرمان خصمه من الوقت اللازم لتنظيم دفاعه في العمق. مثلا قد تقوم الوحدات المسلحة بالاسلحة الحديثة بالاستيلاء على منطقة ما وتشكيل موقع دفاعي على عجل بنفس الوقت الذي تكون فيه الاسلحة بعيدة المدى والدقيقة التوجيه تقصف مقرات القيادة والسيطرة والمستودعات والقواعد الجوية . وهكذا يكون المهاجم قد استغل الاسلحة الحديثة دفاعيا لهدف هجومي عام .

وقد يتساءل البعض عما اذا كانت عقيدة وتسليح قوات حلف وارسو مثلا تسمحان بتنفيذ مثل هذه العمليات . على كل علينا الاعتراف بان تزايد احتمال اصابة الدبابات والطائرات لاينعكس بالضرورة سلبيا على القوات المهاجمة اذ هناك احتمال كبير بنجاح هجوم يتم بتنسيق تقدم سريع للقوات المجهزة بالاسلحة الحديثة مع ضربة صاروخية كثيفة تسبق الهجوم وذلك بصورة خاصة في وسط اوروبا . وتزداد نسبة احتمال نجاح الهجوم في المناطق الدفاعية التي مازالت تعتمد على الدبابات كسلاح رئيسي لايقاف أي هجوم مدرع .

اما لو نفذت قوات حلف وارسو عمليات عسكرية مفاجئة على الاجنحة فان الاخطار التي سنواجهها أقل في حين تكون النتائج السياسية لمثل هذه العمليات هامة جدا . ولو نجحت في الاستيلاء على بعض المناطق ونظمت فيها دفاعا ناجحا لانعكس ذلك حتما على الموقف العسكري في عدة مناطق أخرى مثل الصراع الصيني السوفياتي او الخلاف الهندي الباكستاني حول كشمير وطبعا على الموقف في الشرق الاوسط .

نستنتج من هذا كله ان الآراء التي قيمت قدرات الاسلحة المتطورة تكنولوجيا جد مبسطة وغير متعمقة . لاشك ان التكنولوجيا تفرض قيودها وقدراتها على الهجوم والدفاع والصراع بينهما ولكن حتى الآن لايمكننا اصدار حكم نهائي لصالح هذا او ذاك من انواع القتال . فالهجوم غير الملائم لظروف الحالية سوف يصد حتما من قبل قوات الدفاع والعكس صحيح ان الدفاع غير المزود بالاسلحة الحديثة لن يتمكن من التصدي لاي هجوم بنجاح . أما السعي الى وصف الاسلحة الجديدة بانها اساسيا دفاعية فان هذا لن يساعدنا في شيء ومن الواضح انه لايمكن الحكم على الاسلحة الحديثة عسكريا الا في مجالات محددة . لذلك سنتعرض في الفقرة التالية الى موقف كل من حلف وارسو وحلف شمالي الاطلسي .

ـ التكنولوجيا وتوازن القوى في اوروبا :

خلال بحثنا لفكرة مدى تاثير الاسلحة الحديثة على العلاقة بين الدفاع والهجوم افترضنا في الفقرات السابقة ان هذه الاسلحة متوفرة لدى الطرفين بشكل متواز تقريبا . ولكن الواقع اننا في معاداتنا لموقف حلفي وارسو وشمالي الاطلسي قد لاينطبق هذا الافتراض النظري على الموقف العملي .

عندما طرحت مسألة توزيع الاسلحة الحديثة على قوات حلف شمالي الاطلسي اكد العديد من المراقبين بشدة على فعالية التكنولوجيا الغربية وعلى الضعف الظاهر للجانب السوفياتي في هذا المجال وخرجوا بنتيجة مفادها أن قوات حلف وارسو لن تحصل على أعتدة مماثلة للتي ستجهز بها قوات حلف شمالي الاطلسي قبل عشر سنوات على الاقل . ويبدو ان هذا صحيح في عدة مجالات من البحوث والتطوير .

وباختصار لم تصل معلومات عن ان الاتحاد السوفياتي قد تبنى اسلحة تعمل بالاجهزة الكهربائية ـ البصرية او الموجهة باشعة اللايزر ويقال ان الولايات المتحدة الاميركية تتمتع بمزايا التفوق الكبير في مجال الصواريخ جو ـ ارض الموجهة. ولكن ومع ذلك نجد ان السوفيات قد طوروا عائلة جديدة من الصواريخ جو ـ جو الموجهة بالاشعة دون الحمراء وان نوع جديد متطور من الصاروخ

الموجه بالرادار قد حل محل النوع « AA - 6 آكريـد ACRID » وقد سلحت به فعلا طائرات الملاقاة التابعة لحلف وارسو . كما تردد ان الصاروخ الجديد جو ـ ارض الموجه لاسلكيا نوع AS - 6 كيري KERRY يبلـغ مداه حوالي ٨٠٠ كيلو متر وهو حاليا قيد الصنع وسوف تسلح به الطائرات القاذفـة نوع « باكفاير BACKFIRE » بالاضافة الى انه جرى فعلا توزيع أجهزة خاصة بتحديد الاهداف بواسطة الموجات اللاسلكية مماثلة لاجهزة « لوران LORAN في اوروبا الشرقية . ومن المهم ان نذكر ان السوفيات منذ ان وضعوا الطائرة المقاتله المعدة خصيصا للهجمات الارضية من نوع سوخوي ١٩ آ قد اعلنوا عن انهم سوف يعطون أهمية كبرى للابحاث المتعلقة بالصواريخ جو ـ ارض دقيقة التوجيه وتطويرها خلال العقد اللاحق من الزمن .

وان النتائج التي تمخضت عنها حرب تشرين عام ١٩٧٣ اظهرت ان هذا التخلف السوفياتي في مجال الاسلحة المضادة للدبابات ضئيل جدا اذا ماقيس بالتخلف في مجال الصواريخ جو ـ ارض ، وتبين ان السوفيات في مجال الدفاع الجوي قد نشروا عددا اكبر من أنظمة الدفـاع مما لدى الغرب . ومنذ تلك الحرب جهزت القوات السوفياتية بنظامين جديدين في هذا المجال النظـام سـام ٨ وسام ٩ ويقال ان النوع الاول منهما يتمتع بقدرة توجيه كهربائيـة ضوئيـة .

كما ان المشاة السوفياتية مجهزة بالاضافة الى الانواع الثلاث القديمة من الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات بمجموعة من الوسائط المساعدة على كشف وتحديد الاهداف بما في ذلك مكثف الصور واجهزة اشعة دون الحمراء .

والتطور المتقدم للسوفيات في مجال الصواريخ المضادة للسفن معروفـة تماما . فبالرغم من ان الصواريخ السوفياتية من هذا النوع الموجودة حاليا هي اقل دقة من الصاروخ « اكسوسيت EXOCET » المتوفر لدى القوات الغربية خاصة منه الانواع المخصصة للرمي ماوراء الافق ، فان هناك جيل جديد مـن الصواريخ البحرية نوع « س س ١٢ SSN12 » الطواف والنـوع الثاني « س س ١٣ SSN13 » قد جرى تطوير نظام التوجيه فيه واصبح مداه أبعد

من الصواريخ الغربية المماثلة . أما في الفضاء ففي الوقت الذي لانملك أدلة كافية تثبت امتلاك الاتحاد السوفياتي لنظام تحديد الاهداف فان لديهم أنظمة عدة متطورة في مجال المراقبة والاتصالات وذلك منذ عام ١٩٧٥ بما في ذلك الاقمار المخصصة للاستطلاع البحري .

وبصورة عامة اذن لايمكن التقدير بدقة مدى التفاوت التكنولوجي بين الشرق والغرب ، ولكن المؤكد أنه متى قرر السوفيات نشر انظمة القتال الجديدة فانهم سيفعلون ذلك بفعالية أكبر من الغرب بفضل كونها موحدة في حلف وارسو ولا شك انها ستكون أكثر عددا بسبب القدرة الانتاجية الاكبر بصورة عامة . وهذا صحيح تماما خاصة في مجال الذخائر دقيقة التوجيه لان لدى الاتحاد السوفياتي تفوقا في عدد الوسائل الناقلة لهذه الذخائر (طائرات تكتيكية وصواريخ سطح ـ سطح ومدفعية وقاذفات صواريخ) .

ماهي الانعكاسات المحتملة فيما لو نشرت قوات حلف وارسو انظمة حديثة مطورة بأعداد مماثلة او أكبر مما يملك حلف شمالي الاطلسي ؟ .

ان التوجه الدفاعي لحلف شمالي الاطلسي ونوعية الاسلحة المتطورة الحديثة يفترضان بأنه اذ جهزت قوات هذا الحلف بعدد كاف من الاسلحة المضادة للدبابات والمضادة للطائرات فان انعكاس أنظمة الاسلحة الجديدة لحلف وارسو لن تبدل الواقع الراهن . وسيكون تأثيرها قليلا على ميزان القوى العام . هذا الرأي مبني على اساس التفريق بين الاسلحة الهجومية والدفاعية فيما يتعلق باستراتيجية استخدامها . ولكن وكما أوضحنا اعلاه فان تداخل القوى في المعارك البرية أعقد من ذلك بكثير ؛ ففي عمليات القوات مختلفة الصنوف تكون المناورة والتدمير عناصر قائمة سواء للدفاع او الهجوم وبالتالي لايمكن الجزم من يكون المستفيد الاول من هذه الذخائر دقيقة التوجيه، المدافع ام المهاجم ، اذ أنها صالحة بالتعاون مع الوسائط التكنولوجية المرتبطة بها ، لخدمة الاغراض الهجومية والدفاعية ، لذلك نعتقد ان حلف وارسو سيكون هو المستفيد الاول منها نظرا لامتلاكه أعدادا أكبر ولتعقيد ظروف المعركة خاصة بعد تحقيق خرق عميق .

عند دراسة وتحليل النتائج المتوقع تحقيقها من قبل السوفيات لابد من الاعتماد على عوامل أخرى مثل طبيعة القوات المقاتلة في كل من حلف وارسو وحلف شمالي الاطلسي وكذلك طبيعة الاهداف وتوزعها لدى كل طرف . وان القول بان حلف شمالي الاطلسي يعتمد على اسلحة اقل عددا ولكنها اكثر فعالية (ثمن باهظ وقوات اقل) في حين يعتمد حلف وارسو على عدد اكبر ونوعية ادنى (ثمن منخفض ، يتطلب عدد اكبر من الرجال) سينعكس ذلك لغير صالح حلف شمالي الاطلسي ، اذ ان هذا الوضع يزيد من اعتماد قوات حلف الاطلسي على قواعد التموين الشديدة التعرض .

ونجد الوضع نفسه سائدا في مسرح العمليات البحرية حيث يركز المعسكر الغربي على قطع بحرية حربية افضل نوعية ولكن باعداد متناقصة في حين يسعى السوفيات الى امتلاك اعداد اكبر وان كانت بنوعية ادنى نوعا ما. وهذا مايجعل في النهاية حلف وارسو اقوى موقفا حيث تكون اسلحته دقيقة التوجيه موزعة بشكل اكثر انتشارا في حين تكون اسلحة حلف الاطلسي اكثر تجمعا مما يعرضها لعدد اكبر من الرمايات خاصة وانها اقل عددا . أي باختصار يجد حلف الاطلسي امامه اهدافا كثيرة العدد ولا يتوفر لديه سوى عدد محدود نسبيا من الاسلحة في حين يواجه حلف وارسو اهدافا اقل ويملك أسلحة اكثر عددا .

ـ التكيف مع الموقف المعادي :

ذكرنا اعلاه ان تزويد القوات التابعة للحلفين بالاسلحة المطورة الجديدة سيكون لصالح حلف وارسو فيما لو اعتمدنا تنظيم وانتشار القوات الحالي لدى الطرفين . بالاضافة الى انه لو نجح حلف وارسو بامتلاك اسلحة مماثلة لحلف الاطلسي فانه ليس فقط سيقضي على كافة مزاياها لدى هذا الاخير بل ايضا سيطرح مشاكل جديدة لم نتهيأ لها بعد .

هل نتوقع فعلا ان يمتلك السوفيات وعلى نطاق واسع انواعا جديدة متطورة من الاسلحة ؟ . بالرغم من المرونة العملياتية التي تتمتع بها القوات السوفياتية فمن الواضح ان تنظيم وتدريب هذه القوات موجه لخوض حرب

قصيرة الامد : هجوم مدرع سريع ومتواصل يهدف الى اكتساح مجمل المنطقة الوسطى من اوروبا . كما ان امكانيات الاسلحة الحديثة المطورة ، على تكبيد القوات المهاجمة خسائر كبيرة وخلال زمن قصير ، تبدو ملائمة لمواجهة مثل هذا الخطر . ولكن مع تركيز قوات حلف وارسو على تحقيق تقدم سريع من المتوقع ان يزج القادة اعدادا اكبر من العربات القتالية في المعركة . وهنا يعتقد بعض الكتاب انه على المدى الطويل يمكن للاسلحة والذخائر دقيقة التوجيه ان تحرم المهاجم من استخدام اعداد كبرى من دباباته وطائراته وبالتالي تبطء ايقاع الهجوم في حين ان على المهاجم اذا مارغب بتدمير هذه الاسلحة ان يستخدم كميات هائلة من رمايات الابطال والتدمير وفي النهاية ستتحول المعركة الى حرب استنزاف تلعب خلالها وحدات المشاة الدور الاساسي . وبالتالي سوف يضطر المهاجم الى الاقلال من عدد قواته المدرعة والاعتماد اساسا على المشاة ونيران المدفعية مما يبطيء وتيرة هجومه .

يصبح الموضوع الهام هنا ، هل تلجأ قوات حلف وارسو الى اتخاذ الاجراءات المناسبة للتصدي لاسلحة حلف شمالي الاطلسي المطورة الحديثة وخاصة منها الاسلحة المضادة للدبابات . هناك شبه اجماع بالآراء القائلة بأن العقيدة السوفياتية مشبعة بفكرة التقدم السريع وبالتالي فان قوات حلف وارسو لن تعدل في نظرتها تجاه الدور المسند للدبابات في القوات البريةالمختلطة. ولكن بالرغم من قناعتنا بتمسك العقيدة السوفياتية باستراتيجية التقدم السريع بالدبابات فاننا نلاحظ دلائل تشير الى قابلية قوات حلف وارسوللتلاؤم مع الوضع الجديد .

ففي الستينات تحولت القوات المدرعة السوفياتية من التشكيلاتالمدرعة الكثيفة الى تشكيلات اوسع انتشارا لمواجهة اخطار القصف النووي . كما اننا لاحظنا في الاعوام الاخيرة تحولا عن كتل الدبابات نحو استغلال لنيران المدفعية والمشاة الميكانيكية . فقد انتشرت انواع جديدة من المدفعية ذاتية الحركةوآلاف من العربات المدرعة في الفرق الميكانيكية من انواع ب م د و ب م ب .

وهذه التعديلات تدل بوضوح على تفهم عميق للاخطار التي تشكلها الاسلحة الموجهة الحديثة المضادة للدبابات .

وفي حين اننا لانعتقد بان الذخائر دقيقة التوجيه والتي تم تزويد قوات حلف شمالي الاطلسي بها سوف تبدل العقائد القتالية السوفياتية فيما يتعلق بمبادىء الهجوم السريع والمستمر ، يبدو لنا واضحا ان العكس هو الصحيح اي سوف تصر على الاستمرار بتطبيقها مع اتخاذ الاجراءات الكفيلة بالحد من اضرار الاسلحة الجديدة التي سلح بها الغرب قواته . ولهذا الغرض هناك عدة اساليب ممكنة ويبدو ان القادة السوفيات يدرسون بعضها منها مثلا استخدام الاسلحة النووية بالتعاون مع المدفعية التقليدية للقضاء على وسائط الدفاع المضاد للدبابات وكذلك اللجوء الى اغارات مفاجئة بهدف افساح المجال لقوات حلف وارسو لاستخدام اسلحتها المطورة الى اقصى مدى ممكن من الفعالية ، ولخدمة عقيدتها القتالية .

ليس غايتي هنا ابراز الاساليب التي يمكن للسوفيات التغلب بها على اسلحة الغرب الحديثة التي تم نشرها مؤخرا ولكني اود فقط ان اشير الى ان الاحتمالات المفتوحة امام السوفيات قد تجر الى تبدلات هامة في طبيعة الصراع المحتمل في اوروبا .

فعلى المدى القصير يبدو ان الخيار السوفياتي مقيد بعقيدة التمسك بفكرة الحرب القصيرة الامد ويواجه صعوبات بيروقراطية في تبديل تنظيم وحجم قوات حلف وارسو . ولكن على المدى الطويل فان حلف وارسو يملك قوات في الجبهة وقواعد تموين ودعم اداري كافية لخوض حرب طويلة الامد . فاذا ماتحول حلف وارسو الى استراتيجية تقبل بتحرك ابطأ مع تدمير وسائط الغرب المضادة للدبابات وللطائرات فان انعكاسات هذه الاستراتيجية ستكون عميقة جدا على الجانب الغربي . لناخذ كمثال التدمير الذي سيلحق بالسكان الموجودين داخل او خارج مسرح العمليات ، صحيح ان الاسلحة الحديثة تقلل من الاصابات والاضرار الجانبية ولكن قوات حلف وارسو تعتمد على هجوم صاعق بالمشاة والمدفعية بهدف تدمير شبكة الاسلحة المضادة على الجبهة وفي

العمق مما سيؤدي الى أضرار جانبية كبيرة . وسوف يرتفع حجم الاضرار لو اعتمدنا على الميليشيات للدفاع عن المدن والقرى كما اقترح البعض .

وهكذا تبدو التكنولوجيا الحديثة ملائمة جدا لمتطلبات حلف شمالي الاطلسي الحالية ، ولكن متى تأقلمت قوات حلف وارسو مع وجودها فاننا سنجدها مفيدة فقط على الجبهة الشمالية من السهول الالمانية في حين سوف تعرض للخطر باقي المناطق الدفاعية الاخرى .

ـ الافضليات بين الثمن والمهمة :

ان الاغراء الذي يثيره سعر الشراء المنخفض نسبيا والذي يقدر بالنسبة الحديثة ولكن تبقى أمامنا مشكلة اكثر تعقيدا وهي كيف يمكن استخدام هذه الوسائط التكنولوجية الحديثة بشكل يزيد من فعاليات التنظيم والملاكات الحالية لقوات حلف شمالي الاطلسي ؟. فكما اوضحنا اعلاه هناك صراع بين التكنولوجيا الحديثة وبين ادوار ومهام القوات حاليا . واهم ناحية تعترضنا هي الكلفة المادية . فالميزانيات التي يمكن للدول تخصيصها لاقتناء الوسائط التكنولوجية الحديثة محكومة بالجهود المبذولة للمحافظة على القدرات القتالية الفعلية القائمة حاليا بغض النظر عما اذا كانت مازالت ضرورية مع توفر الوسائط الحديثة .

ان أولئك الذين ينادون بفكرة كون التكنولوجيا الحديثة قادرة على زيادة القدرة الدفاعية لحلف شمالي الاطلسي وللدول الصغيرة يعتمدون على ان أسعارها المنخفضة نسبيا تسمح باقتناء اعداد كبيرة منها . ولكن هناك طرق عديدة لتقدير النتائج الاقتصادية لهذه الاسلحة الجديدة اذ لكل منها مشكلته الخاصة .

ـ القيمة الشرائية :

ان الاغراء الذي يثيره سعر الشراء المنخفض نسبيا والذي يقدر بالنسبة للصاروخ تاو المضاد للدبابات بحوالي عشرة آلاف دولار او ثمن الصاروخ المضاد للطائرات المحمول على الكتف ، يتجاهل قيمة جهاز القذف نفسه والبالغة اكثر

من عشرين الف دولار للقاذف نوع تاو . ومع ذلك فان الاهم من هذه الاسلحة هي القيمة الشرائية الباهظة للاسلحة والذخائر والصواريخ دقيقة التوجيه وكذلك الطائرات بدون طيار . فالصاروخ الجوال نوع « هاربون » يبلغ ثمنه ستمائة الف دولار اما الطائرة الموجهة نوع « فايربي » فيزيد ثمنها عن المليون دولار ، ثم هناك قيمة قواعد الاطلاق التي تنطلق منها الصواريخ . صحيح ان معظم الاسلحة الميدانية قابلة للحمل ولكن في سعينا لاكتسابه مرونة في الحركة ووقاية من نيران العدو حملناها على عربات مدرعةوهكذا نجد ان سعر الصاروخ البريطاني « رابعيه RAPIER » بما في ذلك الصاروخ نفسه والحامل يعادل مليون وربع دولار ، واخيرا لابد عند حساب الكلفة ان نأخذ بعين الاعتبار (في حالة الصواريخ جو ــ ارض) سعر القواعد والحوامات والطائرات الخ .

ثم هناك ناحية كثيرا مانهملها عند حسابنا حجم الميزانية المطلوبة ، وهي قيمة الاجهزة والوسائط المساعدة على تحديد الاهداف وأجهزة القيادةوالسيطرة وهي أعتدة حيوية جدا لزيادة فعالية الاسلحة الحديثة . وان اي تطوير في انظمة القيادة والسيطرة الموجودة حاليا يتطلب تكاليف كبيرة ايضا . مثلا ان الاسطول المقترح المؤلف من ٣٢ طائرة « ايواكس AWACS » لتأمين السيطرة على المعارك الجوية في اوروبا تبلغ تكاليفه بلياري دولار وان امتلاك اربعة وعشرون قمرا صناعيا لتحديد مواقع الاهداف سيكلفنا مايزيد عن المليار دولار .

ومع ذلك لايمكن الاكتفاء بهذا الاسلوب من الحساب لتقدير الثمن الواجب دفعه بل لابد من مقارنته مع مايمكن ان نوفره لو استخدمنا الوسائط الحديثة . مثلا قيل ان صاروخا جوالا بمدى ستمائة ميل ومجهز بنظامتوجيه دقيق يشكل وسيلة اقتصادية اذا ماقورن بتكاليف طائرة قتال مكلفة بمهمة قصف في عمق ترتيب العدو خاصة اذا كان عليها مهمة التحليق فوق مناطق مدافع عنها بقوة عند ذلك لابد من ان ترافقها طائرات حماية وطائرات توجيه الكترونية مع وسائط الحرب الالكترونية . وحتى في المناطق القتالية العادية اظهرت التقديرات ان تكاليف مهمة تنفذها طائرة متطورة حديثة تفوق من ضعفين حتى عشرة اضعاف تكاليف طائرة موجهة بدون طيار .

ان هذه المقارنة بين التكاليف واضحة تماما ومعبرة ولكن علينا الا ننسى ان الغاية من ، معظم الوسائل التكنولوجية الحديثة ، التي نتحدث عنها ، ليست الحلول محل الوسائط القتالية الحالية بل تدعيم فعاليات هذه الوسائط. فالصواريخ الجوالة والطائرات الموجهة قادرة على الحلول محل الطائرات المقاتلة ولكن من المرجح انها ستعمل معها طيلة السنوات العشر القادمة . والصورة نفسها نشاهدها في مجال الاسلحة الميدانية حيث السعي نحو زيادة الفعالية القتالية بامتلاك مزيج من انواع مختلفة، ففي حرب تشرين عام ١٩٧٣ لم تستخدم القوات العربية منظومات الصواريخ المضادة للطائرات والمتحركة بدلا من المدافع المضادة للطائرات بل استكملا لشبكة الدفاع الجوي . ويبقى الوضع نفسه في مجال الاسلحة المضادة للدبابات حيث استخدمت المدافع المضادة للدبابات ضد الاهداف القريبة والصواريخ ضد الاهداف الموجودة على مسافة أكثر من الف متر .

ـ نفقات الصيانة :

لاشك بان كلفة الابحاث وتطوير وانتاج الاسلحة والاعتدة الحديثة اذا ماقيست بالمدى الزمني الذي تبقى صالحة فيه هي أقل من مثيلاتها بالنسبة للاسلحة الحالية . وهذا صحيح تماما فيما يتعلق بالاعتدة العالية التقنية لانها تتطلب عناصر فنية عالية المستوى العمل عليها وصيانتها وبالتالي اطالة عمرها. ولكن بنفس الوقت ان هذه العناصر نفسها تشكل عبئا كبيرا على الدول الغربية خاصة حيث نجد ان كلفة تحضير العنصر الفني في تزايد مستمر وبسرعة . ولا بد والحالة هذه من التفكير باعتدة مبسطة يمكن خدمتها بواسطة عناصر غير فنية ، كما يفضل الاكثار من الاستفادة من حقول الرمي المصغرة للتقليل من نفقات التدريب والاقتصاد بالذخيرة .

ولنا في الصاروخ « لانس » مثالا جيدا اذ انه يحتاج لنصف عدد الرجال الذين كانوا يخدمون الصاروخ الذي سبقه .

ـ الاصلاح التنظيمي :

من ناحية اخرى ان هذا الميل العام الملموس ، نحو اقتناء انظمة حديثة

متطورة يخلق بحد ذاته مشكلة كبرى. فبعض الدول كالولايات المتحدةالاميركية والمانيا الغربية وبريطانيا تملك القدرة التقنية لمثل هذا العمل ، في حين ان دولا اخرى مثل تركيا تفتقر للقاعدة التكنولوجية الكافية وان كانت لاتواجه مشكلة نفقات عالية لتحضير السدنة مثل حلفائها . ثم ان امتلاك مثل هذه الاعتدة من قبل دولة اكثر تخلفا مثل ايران مثلا ليس ضروريا مطلقا .

من هذا كله نستنتج انه لابد من اعادة النظر في شكل الاسلحة نفسها حسب الحاجة : كانواع تناسب دولةتتمتع بوفرةالقدرة البشرية ولكنالمستوى التكنولوجي فيها متوسط مثل اسلحة خفيفة الوزن بسيطة نسبيا وفعالة كالصوارايخ المحمولة المضادة للطائرات وللدبابات (وقد نوقش موضوعها مع فكرة تشكيل ميليشيات محلية اوروبية وحتى للقوات الاحتياطية) . ومع ذلك فان هذه الاسلحة نفسها ليست مضمونة الفعالية اذ لايمكنها التفريق بينالعدو والصديق كما ان هناك خطر سرقتها واستخدامهامن قبل المجموعاتالارهابية. لذلك فان شكل السلاحوحجمه يجبان يتناسب والدولة المستفيدة واوضاعها الخاصة ومتطلباتها القومية .

ثم ومع اخذ هذه النواحي بعين الاعتبار نتساءل هل ترغب القوات المسلحة بالقيام بالاصلاحات الاقتصادية والتنظيمية اللازمة والمساعدة على الاستفادة والى اقصى حد من الاسلحة والاعتدة التكنولوجية الحديثة ؟ . هذا لاننا كما اوضحنا سابقا ان القوات البرية والجوية والبحرية التابعة لحلف شمالي الاطلسي رغم تبنيها استراتيجية دفاعية على مستوى المسرح العملياتي فانها تتبع تنظيمات وتكتيكات هجومية . وكما ذكر العديد من الباحثين امثال « ستيفان كانبي «Stevencanpy و « روبرت كومر Ropert Koner ان قوات حلف شمالي الاطلسي غير منظمة بشكل يتلاءم مع اسلوب الانتشار واللامركزية في القتال ، المناسب لاستخدام الوسائل التكنولوجية الحديثة ولطبيعة التهديد الذي تشكله قوات حلف وارسو الموجودة حاليا . ويمكن للدول الاعضاء في الحلف ان يشاركوا الدول الاخرى المستفيدة من التكنولوجيا الحديثة لمعالجة هذه المشكلة ويستفيدوا من خبراتها . مثلا ان الفرقةالاميركية

التي تملك وحدات كبيرة للدعم وكثافة قليلة نسبيا من الاسلحة المضادة للدبابات ومن المدفعية داخل كل وحدة ، يمكن ان تكون نموذجا جيدا للاقتداء به . وربما كان تنظيم القوى الجوية التكتيكية الاميركية نموذجا افضل ، اذ يعتمد على الطائرات الرابضة في القواعد المتقدمة للتعامل مع العدو المهاجم لابطاء تقدمه بالاضافة الى قصف القواعد الجوية في عمق الاراضي المعادية . اما ان نعطي لهذا الاسلوب الافضلية الاولى في الدفاع فذلك يعتمد بالدرجة الاولى على الموقف العام نظرا لارتباطه بطول مدة الحرب في اوروبا وامكانيات حلف شمالي الاطلسي في المحافظة على التفوق الجوي دون التعرض الى تدابير معادية مضادة مكثفة .

وتكمن النقطة الهامة هنا في ان مبالغ مالية ضخمة وجهود جبارة تبذل حاليا في سبيل استثمار الامكانيات التكنولوجية الحديثة في سبيل المحافظة على فعالية القصف الجوي العميق . في حين يجب ان تؤدي الوسائط الحديثة التي زادت من فعالية الاعتدة والاسلحة على الارض وفي الجو (الصواريخ أرض جو والطائرات المقاتلة مثل ف ١٦) الى الاقلال من قيمة الخرق الجوي العميق وحتى في حالة استمرارية الحاجة لها فان الصواريخ الطوافة والطائرات الموجهة يمكنها ان تنفذها . وينطبق الوضع نفسه على مهام الدعم الجوي المباشر اذ ان الجيل الجديد من الاسلحة الدقيقة التوجيه قادر على السماح للقوات بالاستغناء عن بعض الحوامات الباهظة الثمن والطائرات ذات الاجنحة الثابتة. بل من المرجح ان نستغني تماما عن الدعم الجوي المباشر في حالات عدة اذا توفرت مدفعية دقيقة التوجيه .

وينطبق هذا الوضع ايضا على حاملات الطائرات الاميركية التي رغم ضخامة حجمها ورفعة امكانياتها التكنولوجية ليست سوى قاعدة بحرية تنطلق منها الطائرات لتنفيذ مهامها ضد اهداف أرضية . فاذا ماتقلصت هذه المهام نتيجة الصعوبات التي قد تعترض عمليات التوغل الجوي العميق او عندما تكلف الصواريخ بتنفيذ هذه المهام بدلا عن الطائرات ، يمكن للقوى البحرية ان تتحول الى قطع حربية بحرية اصغر واقل ثمنا وبالتالي اكثر عددا .

لابد اذن من اعادة النظر في أفضليات المهام ونوعية الأسلحة والاعتدة المناسبة لكل منها خوفا من هدر الجهود والنفقات على زيادة قدرات الانظمة القتالية القائمة . فاذا كانت الطائرات قد اصبحت معرضة لاخطار وسائط الدفاع الجوي أكثر من السابق فان الجواب الصحيح لن يكون بتزويد هذه الطائرات بوسائل القضاء على اسلحة الدفاع الجوي مما يرفع ثمن الطائرة القاذفة المقاتلة حوالي خمسة عشر مليون دولار ولا باستخدام طائرات خاصة مجهزة بوسائل الحرب الالكترونية مثل « اي اف ١١١ آ EF 111 A بل بامتلاك مزيج من الاسلحة على أرض المعركة وفوقها لتأمين سيطرة جوية محلية وصواريخ بعيدة المدى لقصف الاهداف في عمق العدو .

ونظرا لان بعض الاسلحة والاعتدة القتالية الحديثة قد تؤثر على دور ومهام القوات فانها ليس فقط لن تستخدم بشكل صحيح بل قد لاتستخدم مطلقا .

وقد ذكر كل من « غراهام اليسون GRAHAMALLISON » و « فريد FRED MORRISON بأن القوى الجوية الاميركية قد قاومت ولسنين طويلة عملية تزويد الطائرات بالصواريخ دقيقة التوجيه لاعتقادها بان ذلك سوف يؤدي الى اقلال عدد الطائرات وتخفيض الميزانية . كما ان بعض التطورات التكنولوجية قد تهمل ليس فقط لانها تهدد دور القوات ومهامها بل لاحتمال عرقلتها بعض الافكار الجديدة المزمع تطبيقها .

اما فيما يتعلق بقوات حلف شمالي الاطلسي فهناك موضوع آخر مرتبط بشكل وثيق بمسألة التكاليف ونوعية المهام وهو توحيد الاسلحة والاعتدة . فقد ذكرنا في القسم الاول ان الدول الاعضاء في حلف شمالي الاطلسي يقومون حاليا بتطوير ثمانية عشر نوعا من الاسلحة المضادة الدبابات . والانواع المختلفة هذه تعكس عمليا اختلاف وجهات النظر فيما يتعلق بالهدف المرجو تحقيقه ونجد أن بعضها معد للاستخدام في شروط مختلفة عن الآخر ومن قواعد اطلاق متنوعة . على كل حال يبدو واضحا ان هذا الوضع يؤدي الى تبذير كبير في الجهود وبالتالي زيادة في النفقات سوف ينعكس على سعر السلاح نفسه ويؤدي

بالتالي الى وضع حدود على عدد الاسلحة التي يمكن لحلف شمالي الاطلسي اقتناؤها خلال السنوات القادمة. وعلى سبيل المثال فقط نعرف جميعا ان لدى حلف شمالي الاطلسي حاليا مائة وخمس انواع من الصواريخ في الخدمة او قيد الانتاج مقابل خمسة وعشرون نوعا لدى حلف وارسو .

وهناك اجماع لدى الباحثين بأنه لاستغلال التطورات التكنولوجية الحديثة بشكل فعال يعتمد على مدى فعالية مراكز القيادة والسيطرة ، وفي ظروف لامركزية القيادة تصبح هذه المشكلة معقدة خاصة عند وجود عدة انواع من الاسلحة معدة لتنفيذ مهام مماثلة .

ان وضع أجيال جديدة من الاسلحة الحديثة في الخدمة في القوات المسلحة لكل دولة منفردة وفي حلف شمالي الاطلسي بشكل جماعي يتطلب اجراء تبدلات في الهيكل العام للدفاع وفي اسلوب تنظيم وتنفيذ العملية الدفاعية ، ويمكن الاستفادة في هذا المجال من اقتراحات عديدة تقدم بها الكثير من الباحثين . اذ انه مما لاشك فيه ان التكنولوجيا الحديثة قد وفرت امكانيات هائلة لابد من الاستفادة منها بأفضل السبل .

كما أنه من الضروري ايلاء اهمية خاصة لموضوع توحيد الاعتدة والاسلحة وكان هناك اقتراح بتشكيل مجموعة عمل أوروبية لوضع خطة موحدة للبحث والانتاج الحربي توفر الكثير من النفقات وتعطي مردودا عمليا افضل . ويبدو ان هذا الاقتراح يفترض وجود اتفاق تكنولوجي وعقائدي بين أعضاء حلف شمالي الاطلسي ويتوقع ان يلاقي ذلك اهتماما عالميا واسعا بالاضافة الى ان زيادة مجالات التوحيد في الاسلحة لتشمل مختلف الانواع سوف يزيد من القدرات العامة للحلف وتسمح له بالاستفادة من المساعدات التكنولوجيةالحديثة بشكل افضل .

د ـ الافاق السياسية والاستراتيجية

تسود حاليا قناعة بأن توحيد الجهود التكنولوجية والاقتصادية والتنظيمية تشكل عاملا هاما لكل دولة على حدة ولحلف شمالي الاطلسي ككل لامتلاك كافة مقومات الدفاع المتين ، وان العقبة الوحيدة التي تعترض التنفيذ هي عدم توفر الارادة السياسية . ولكن اصحاب هذه القناعة يتجاهلون العوامل السياسية والاستراتيجية الاخرى المحيطة بهذا الموضوع وسوف نتعرض لها تفصيلا .

ـ سياسة حلف شمالي الاطلسي واستراتيجيته النووية :

مما لاشك فيه ان بعض الاوروبيين سوف يثابرون على تطوير وانتاج انواع عديدة من الاسلحة الحديثة ومن ثم ادخالها في الخدمة الفعلية والضرر الذي يقدمونه هو شكوكهم بأن الولايات المتحدة الاميركية تحاول الاستفادة من الوسائل التكنولوجية الحديثة للاقلال من قواتها في اوروبا اي استغلال المقاتلين الاوروبيين في الوقت الذي تكتفي اميركا بالوسائط فقط ، في اية حرب مقبلة . ومما زاد في دعم هذه الشكوك الدعوات المتكررة الى الاستفادة من الاسلحة المتطورة الحديثة للتقليل من عدد الجنود واعادة تنظيم القوات على هذا الاساس .

الواقع ان معظم الاسلحة والاعتدة الحديثة قد تم تطويرها وانتاجها في الولايات المتحدة الاميركية وانها دخلت الخدمة الفعلية في القوات المسلحة الاميركية وهذا يؤدي فعلا الى عدم التوازن القائم حاليا بين الولايات المتحدة الاميركية وحلفائها الاوربيين في مجال نفقات الابحاث والتطوير . مع العلم ان هذا الفارق آخذ بالتضاؤل ففي حين كان مجموع نفقات بريطانيا وفرنسة والمانيا الغربية في التطوير والابحاث الحربية لايتجاوز عشرة بالمئة من نفقات اميركا في الفترة

مابين عامي ١٩٥٥ – ١٩٦٥ فانه وصل الى ٢٧ بالمئة في الفترة بين عامي ١٩٧٠ – ١٩٧٤ كما انه يجب الا يغرب عن البال بأن الصواريخ المضادة للدبابات والصواريخ المضادة للطائرات المحلقة على ارتفاع منخفض والصواريخ المضادة للسفن واجهزة كشف وتحديد الاهداف وسواها مطورة ومنتجة من قبل الاوروبيين .

ومع ذلك فانه مالم يعمل الاوربيون على توثيق التعاون في مجال البحث والتطوير وما لم ينجحوا في اقناع الاميركيين بشراء بعض انتاجهم فان الثغرات التي تنخر حلف شمالي الاطلسي سوف تزداد اتساعا كلما تزايد التقدم في الابحاث التكنولوجية . ويمكن منذ الآن توقع أمرين . اولا ان سرعة زج الاعتدة التكنولوجية الاميركية الحديثة في المسرح الاوروبي قد تؤول بانها تهدف الى خلق الظروف المناسبة لسحب القوى البشرية الاميركية « وفتنمة » اوروبا . أي الاستعواض بالاسلحة الحديثة عن التواجد البشري . ثانيا ان الاحتكار الاميركي للتكنولوجيا الحديثة قد يعتبر محاولة لزيادة حاجة الاوربيين للاعتماد على الولايات المتحدة مما يترك الدول الاوربية كرهينة لقرارات اعتباطية مثل الخطر الذي فرضه الكونغرس الاميركي عام ١٩٧٥ على تزويد تركيا بالسلاح وبالتالي يمنح الولايات المتحدة سلطة توجيه التصرفات الاوربية .

ان هذه المشاعر تجاه التصرفات الاميركية موجودة فعلا في اذهان الاوروبيين وخاصة في فرنسة ، ولكن علينا رغم ذلك الا نبالغ بها . ففي عام ١٩٧٥ أبدت الولايات المتحدة الاميركية تفهما أعمق للموضوع واتخذت الاجراءات لاقتناء اعتدة اوربية الصنع مثل الصواريخ دولاند ٢ ، ومدافع مضادة للطائرات وزوارق الدورية وربما بعض الدبابات الحديثة ، مما يدل على انها راغبة بفتح الطريق بالاتجاهين بالاضافة الى ان قرار احلال لوائين جديدين محل العناصر البشرية التي سحبت من الاركانات والوحدات الادارية في المانيا الغربية ، يؤكد ان فكرة الفتنمة غير واردة . ويبقى مع ذلك العنصر الاهم هو استمرار الاوربيين بتبادل التنسيق والتعاون فيما بينهم وكذلك مع قوات حلف شمالي الاطلسي وخاصة في مجال الدراسات والبحوث وانتاج الاسلحة الحديثة لانهم بذلك يقضون نهائيا على فكرة تسلط اميركية على سوق الاسلحة .

وهناك ناحية اخرى هامة متعلقة بالموضوع نفسه وهي الاتجاه الاميركي نحو تحسين وتطوير الاسلحة التقليدية على اساس ان ذلك خطوة هامة لتجنب خطر الاستخدام للاسلحة النووية . اذ ان امكانية التصدي لخطر الهجوم المدرع بوسائط تقليدية رخيصة نسبيا تعتبر فكرة مغرية خاصة وان استخدامها يقلل كثيرا من الاضرار الجانبية . وقد ادى الخليط بين امكانية تقديم قدرة نارية اكبر مع اضرار جانبية اقل الى التفكير بالدفاع المنسق بالعمق في المناطق الوسطى وتبدو هذه الفكرة معقولة بل مقبولة من قبل سكان تلك المناطق . على كل حال ونظرا لان القسم الثالث من هذا البحث قد تعرض للنتائج المحتملة من استخدام هذه الاسلحة الحديثة على المدى الطويل ولم يوضح تماما آثارها على الحرب التقليدية لابد من مناقشة عوامل عدة قبل البث بالموضوع ، منها معدل استهلاك الذخيرة ، القدرة الحركية ، كشف وتحديد الاهداف في ساحة القتال وقوتها والنتائج المتوقعة من استخدام الاساليب المعاكسة .

وهناك ناحية واحدة واضحة هي أنه اذا ثبت ان هذه الاسلحة الجديدة تدعم فعلا التدابير الدفاعية بالطرق التقليدية فان العديد من الاوربيين سوف يرحبون بمثل هذه الاستراتيجية التي تسعى الى تخفيف الاضرار عنهم وعن ممتلكاتهم .

وهكذا أصبحت مسالة زيادة القدرة الدفاعية لحلف شمالي الاطلسي هي المحور الرئيسي لكافة مناقشات وابحاث الحلف مع التركيز على ماهو العتاد الذي سوف يلعب دور الردع وما هي المخاطر التي قد تنجم عن فشل الردع وكيف يتم تصعيد الموقف ومن يسيطر على هذا التصعيد . وتبدو هذه الامور اكثر وضوحا عند ربط موضوع دخول الاسلحة الحديثة في الخدمة الفعلية بموضوع دفع العتبة النووية . وان التركيز على تدعيم القوى التقليدية لحلف شمالي الاطلسي الدفاعية وبنفس الوقت الاقلال من الاعتماد على السلاح النووي كسلاح ردع ودفاع ، يبدو في نظر اوروبا استمرارا لجهود « ماكنمارا MCNAMARA » الهادفة الى تخفيف احتمالات المجازفة بخوض حرب نووية وتجنيب اميركا ذلك عبر خوض حرب تقليدية في اوروبا ، وان توفر الاسلحة

والذخائر الدقيقة التوجيه في اوربا يوفر للولايات المتحدة الاميركية فرصة جيدة للتقليل من تواجدها البشري على ساحة المعركة الاوربية .

وقد يكون من الاوضح ان نقارن موضوع المجازفة الناجحة عن الاعتماد فقط على الاسلحة التقليدية في أوربا مع الجهود المبذولة لرفع القدرة التقليدية الدفاعية وذلك عبر المواقف المتعددة تجاه السلاح النووي لمسرح العمليات.

هناك اقتراح يقول أنه بإمكان حلف شمالي الاطلسي اذا ماعزز قواته التقليدية ان يقلل من حجم الذخائر النووية المخصصة لمسرح العمليات ولكن هذا الاقتراح يجب ان يناقش على أساس وجود وجهتي نظر مختلفتين حول استخدام هذه الاسلحة ، على جانبي الاطلسي . وان الجهود المبذولة للربط بين تعزيز الدفاع التقليدي وبين الاقلال من الاسلحة النووية تفترض ان ذلك سوف يقلل من خطر التصعيد النووي بعد ان ترتفع حدة المعارك التقليدية على نطاق واسع .

في حين ان العديد من الاوربيين يعتقدون ان الخوف من التصعيد النووي هذا هو الذي يضمن والى حد ما عدم نشوب الحرب مطلقا . أي انهم بعكس الاميركيين يتمنون استمرارية وجود مثل هذا الاحتمال (الضرب النووي) لانه هو الذي سيردع الطرفين عن البدء بالحرب ، وان دفع العتبة النووية قد يؤدي الى دفع طرف ما الى خوض الحرب التقليدية دون رادع فعال اذ يكون واثقا بأنه لايجازف بمواجهة أي تصعيد نووي .

قد يكون هذا النقاش مجرد جدل اكاديمي ومع ذلك لابد من ان تنص الاستراتيجية الدفاعية لحلف شمالي الاطلسي على أنه رغم عدم وجود نوايا لدى الحلف باللجوء الى السلاح النووي في المرحلة الاولى من الحرب فان قيادته مفوضة بتقدير متى واين وكيف تستخدم هذا السلاح حسب الموقف . واذا ماقرر حلف وارسو استخدام السلاح النووي فور بدء الحرب تشترك كافة دول حلف الاطلسي في مسؤولية تحمل النتائج . ومنذ مدة طويلة كانت مسألة النوايا السوفياتية باستخدام السلاح النووي في اوربا موضوع نقاش مستمر في اوساط الدول الغربية ومع ذلك علينا الاقرار بان النوايا السوفياتية ستكون

والى حد ما مرتبطة بمبادىء العقيدة النووية الاطلسية واسلوب توزيع الاسلحة النووية العربية . فاذا ما فقد الردع النووي الغربي مصداقيته ، ربما اعتبر السوفيات ذلك دعوة لهم للبدء بالضرب النووي لانهم سوف يفقدون ميزة تفوقهم التقليدي بدخول الاسلحة والاعتدة التكنولوجية الحديثة لترفع من المقدرة الدفاعية التقليدية للغرب . وبالعكس فان هناك احتمال كبير لان يشن حلف وارسو هجوما تقليديا عندما يشعر ان حلف شمالي الاطلسي عاجز عن التصدي له بنفس النوعية من القوات ، لارتباطه باستراتيجية الرد النووي المتشابكة .

ان هذا الموضوع ليس جديد بلا شك فقد تعرض له بالتفصيل السيد « آلان اينتهوفن ALAINENTHOVEN واه ، وخرج بنتيجة بان على حلف شمالي الاطلسي عدم الربط بين تطوير القدرات الدفاعية ووجود او عدم وجود السلاح النووي . فالتطوير لايعني حكما التخلص من السلاح النووي اذ ان هذا مرتبط ايضا بالموقف النووي لحلف وارسو ولا بد من امتلاك قوة ردع كافية للتصدي للعدو النووي . ربما كان من الافضل أن يتم التطوير مع استمرارية وجود السلاح النووي انما بكميات أقل ، اي ان الاستغناء عن القوة النوويه لن يكون فوريا حتما ، مع القناعة بان الاسلحة الحديثة تعطي للقيادة خيارات أكبر للتصعيد وعلى المستويات الادنى .

هناك مدرسة فكرية تقول بان حل هذه المشكلة يكمن بالتخلي عن مسالة العتبة النووية والتركيز على استثمار التكنولوجيا الحديثة في مجالي الاسلحة التقليديةوالنوويةوبالتالي تطوير قوة وفعالية النوعين مما يزيد في عدد الخيارات المفتوحة امام قيادة حلف شمالي الاطلسي للتصدي لاي عدوان تشنه قوات حلف وارسو . لاشك ان توفر اسلحة حديثة تقليدية مطورة تخفف من ضرورات اللجوء الى السلاح النووي وهذا هام جدا ، ومع ذلك هناك خيارات اخرى منها تزويد الذخائر دقيقة التوجيه برؤوس نووية ضعيفة القدرة واستخدامها في ساحة القتال بمهمة منع تقدم العدو او ابطاء تحركه .

الواقع انه لابد من التفريق بين السلاح التقليدي والنووي التكتيكي او مسرح العمليات والنووي الاستراتيجي ، وذلك بشكل واضح اذ يبدو ان هذا

المفهوم غير واضح في ذهن الكثيرين . مثلا يمكن للاسلحة النووية الضعيفةالقدرة ان تنفذ بعض المهام التي كانت حتى الآن ملقاة على عاتق الاسلحة التقليدية في حين يمكن للصواريخ ان تنفذ مهام كانت حتى الآن حصرا على الاسلحة النووية رغم كون هذه الصواريخ برؤوس تقليدية انما مطورة ، هذه الامكانيات التي اصبحت متوفرة حاليا مغرية للاستثمار وقد لانستطيع في المستقبل وضع حدود فارقة لكل نوع من الاسلحة ، وان موضوع دمج الدفاع الاوربي بالردع الاميركي اصبح هاما .

فاذا ماتوفرت لقوات حلف شمالي الاطلسي امكانية الرد والتصدي لاي تهديد عسكري بوسائط نووية وغير نووية وقدرة ايصال الرد حتى عمق الاتحاد السوفياتي ، فان ذلك سيضع صعوبات امام المخططين السوفيات وبنفس الوقت يطمئن الاوربيين بان المساندة الاميركية مضمونة . اذ ان الوضع الحالي يفترض وجود دفاع اوربي تقليدي ثم ردع نووي بمبادهة وقرار اميركي ويعتبر الاوربيون ذلك خدمة للمصالح الاميركية اساسا . ويفضل الاوربيون وجود قوة ردع نووية دائمة مع قناعة لدى الخصم بامكانية استخدامها فورا .

ولو امعنا التدقيق بالموضوع لوجدنا انه يثير عدة مشاكل ، فهو رغم مظهره بأنه يغطي كافة الثغرات فانه عمليا لايحلها جذريا . منها تضارب مصالح كل دولة من دول حلف شمالي الاطلسي مع سواها . صحيح ان هذا الحل قد ضمن المخرج العسكري لعقدة استخدام سلاح تقليدي او نووي فيما يتعلق بالهدف المضروب نفسه ولكن هناك عوامل سياسية ونفسية قوية لها تأثيرها وأهميتها. في الوقت الذي سادت فيه استراتيجية التوازن النووي وعندما كانت قواعد الصواريخ العابرة للقارات مكشوفة للقصف النووي فان خطر التصعيد النووي الشامل كان مرتبطا باستخدام السلاح النووي على الساحة الاوربية والترسانة النووية الاستراتيجية الاميركية . آنذاك كانت هناك اهمية رئيسية للردع النووي لانه سيكون شاملا . ويعتقد بعض الاوربيين ان الاعتماد الواسع على الاسلحة التقليدية سوف يؤدي الى صراع مدمر طويل الامد ، ولكن تبني فكرة استخدام قنابل نووية ضعيفة القدرة قد تكون نتائجها اسوأ اذ قد تقود الى صراع نووي محدود على الساحة الاوربية حيث تكون اوربا ضحية على مذبحه .

على كل حال يبدو ان هنــاك قبول للمبدا المتــوسط الذي عبر عنــه باستراتيجية الرد المرن ، وان كان الاميركيون مصرون على ربط موضوع اختيار الاهداف بسياسة الردع النووي الاستراتيجي الهادف لحماية اوربا وان البت بهذا الموضوع لم ينته بعد .

من المناسب هنا ان نلقي نظرة على اثر التكنولوجيا الحديثة في موضوع العتبة النووية . ففي السابق كانت مسألةقصف الاهداف الاستراتيجيةمرتبطة بتوفر السلاح النووي ومعظمه تحت اشراف الولايات المتحدة الاميركية . اما الآن بعد توفر الصواريخ بعيدة المدى ، والجوالة التي يمكن توجيهها بدقة نحو اهدافها حاملة رؤوسا حربية تقليدية فقد اصبح بالامكان قصف اهداف في عمق البلاد الاوربية الشرقية بل حتى في عمق الاتحاد السوفياتي وبالتالي يمكن لحلف شمالي الاطلسي عبور العتبة الجغرافية دونما المجازفة بخطر تلقي رد نووي . وهكذا يمكن تجنب شبح حرب محدودة (نووية او غير نووية) في اوربا باسلوب قد تقبله كافة أطراف حلف الاطلسي .

ومرة اخرى ، ان امكانية خوض عمليات حربية تقليدية علــى المستــوى الاستراتيجي قد تثير مسألة من هي الجهة التي ستكلف بالاشراف على عملية التصعيد . وقد ورد سابقا ان الاعتدة التكنولوجية الحديثة قد تجعل الدول الضعيفة في حلف شمالي الاطلسي أكثر اعتمادا على الدول الموردة للســلاح . ولكن قدرة الولايات المتحدة الاميركية بالسيطرة على عملية التصعيد قد تتدنى عندما يصبح بامكان دول الحلف الاخرى شن ضربات انتقامية داخل اراضــي اوربا الشرقية وحتى الاتحاد السوفياتي وذلك بذخائر تقليدية دقيقة التوجيه. خاصة وان عددا من دول الحلف قد اصبحت مالكة لعدد غير قليل من الوسائط القادرة على تجاوز العتبة الجغرافية والعسكرية في اية حرب نووية او غــير نووية . وفي هذه الحالة سوف تدفع الولايات المتحدة الاميركية ثمن رفعها للعتبة النووية تقليصا من دورها بكلى المستويات الادنى .

ولهذه الناحية مشكلتها الخاصة . هل يمكن للاتحاد السوفياتي او هل يرغب بالتفريق بين ضربة نووية واخرى غير نووية اصابت أراضيه ؟ وهل تؤدي

الاسلحة التكنولوجية الحديثة الى زيادة خطر التصعيد ؟ واخيرا هل تؤول الجهود الاميركية الهادفة الى الحد من امتلاك الاوربيين لوسائط استراتيجية تقليدية بانها خطوة في سبيل فك الارتباط بين الدولتين العملاقتين ؟

ـ الاشراف على التسلح في الشرق والغرب :

ان هذه الاسئلة التي أوردناها اعلاه قد نثير بعض المتاعب للمؤسسات المكلفة بعملية الاشراف والحد من التسلح.من المعروف وبشكل عام ان اتفاقيات الحد من التسلح الاستراتيجي والتخفيض المتبادل بالقوات المسلحة قد تعثرت بسبب عدم الاتفاق على مفهوم موحد لبعض انواع من الاعتدة من حيث قدراتها. وبعد توفر الاسلحة الجديدة المتطورة زادت الهوة بين الطرفين واكبر مثال على ذلك الجمود الذي أصاب المباحثات بسبب دور الصواريخ الاميركية الجوالة . اذ ان هذه الصواريخ بعد تزويدها بالاعتدة اللازمة التوجيه الدقيق والرؤوس الملائمة قادرة على ضرب اهداف في عمق الاتحاد السوفياتي وبدقة زائدة . واذا ما دخلت هذه الصواريخ الخدمة الفعلية فانها ستكون سببا في فشل اتفاقيات سولت اذ ان من اهداف الاتفاقية القاء الضوء على طبيعة وحجم وقدرات العدو الآن وفي المستقبل . ولو تم الاتفاق على الحد من امكانيات هذه الصواريخ فان ذلك سوف يخرجها من ترسانة الوسائط الاستراتيجية ويحد من استخدامها تكتيكيا .

كما ان هناك صعوبة تعترض ادخال هذه الصواريخ ضد اتفاقية الحد من التسلح اذ انها صالحة للاستخدام من قبل الطائرات والفواصات وبالتالي لايمكن عمليا الاشراف على تحديدها . وهكذا يصعب جدا تصنيف هذه الصواريخ بشكل واضح هل هي استراتيجية ام تكتيكية . واذا كان بامكاننا حتى الآن التفريق بين المهام الاستراتيجية والتكتيكية فان الاسلحة الحديثة والوسائل التكنولوجية قد خلطت الامور ولم يعد بامكان احد البث بالامر نهائيا .

لذلك من المهم جدا دراسة موضوع الحد من الاسلحة وخاصة موضوع شمولها للصواريخ الطوافة التي قد يتم نشرها في أوربا لمهام تكتيكية واستراتيجية. ثم كيف يمكن ادخالها في صفقة مشتركة اوربية اميركية ومدى تأثير ذلك على

الاطار السياسي لحلف شمالي الاطلسي ؟ على المستوى التكتيكي لايختلف الصاروخ الطواف الذي تنتجه الولايات المتحدة الاميركية حاليا عن الصاروخ المداري المستخدم في القوات المسلحة التابعة لحلف شمالي الاطلسي من حيث ذاتية الحركة او مداه الذي يتجاوز الخمسمائة ميل . ولكن نظرا لما يتمتع به الصاروخ الطواف من امكانية المناورة باستخدامه اي امكانية توجيهه نحو اهداف موزعة على الساحة الاوربية دونما التقيد بموقع وجوده ثم بسبب قدرته على نقل شحنة ذرية الى عمق الاتحاد السوفياتي فان القيادة السوفياتية سوف تسعى بكافة الوسائل للحد من انتشاره في اوربا . فاذا مانجحت بشموله بنود اتفاقية الحد من الاسلحة الاستراتيجية فان اوربا لن تستطيع بعد ذلك استخدامه حتى على المستوى التكتيكي اذ يمكن للاتحاد السوفياتي ان يدعي ان هذا الاستخدام ليس سوى مرحلة على طريق الاستخدام الاستراتيجي . اما اذا ادى التباين بالآراء حوله الى تركه خارج المحادثات التمهيدية الجارية فان ذلك سيجعله مع الطائرات المتطورة الهدف الاساسي للجهود السوفياتية خلال الاتفاق النهائي على الحد من الانتشار الاستراتيجي في المعاهدات اللاحقة .

وحتى لو نجح الغرب بابعاد الصاروخ الطواف عن جدول المحادثات فان ذلك سينعكس على الحلف لو تبنى الاتحاد السوفياتي موقفا منه مماثلا للموقف الاميركي تجاه الصواريخ عابرة القارات بعد عام ١٩٧٢ عندما اعتبر ان نشرها من قبل الاوربيين يناقض بنود اتفاقية الحد من الاسلحة الاستراتيجية.

وقد يشكل عدد الوسائط التكنولوجية الحديثة التي سوف تنشر في الساحة الاوربية مشكلة اخرى على سير محادثات الحد من التسلح اذ انه بشكل عام يعتبر كل عتاد جديد متطور موضع شك حول احتمالات استخدامه اذ يقلل من الفاصل بين الاستخدام التكتيكي والاستراتيجي .

ربما كان من الافضل ان تنصب الجهود في المستقبل ليس على عدد الاسلحة وانواعها من حيث التحديد بل على اساس تبادل المعلومات وايضاح النوايا خاصة وان كل تطوير مقبل سوف يؤدي الى مزيد من سوء التفاهم وبث الشكوك لدى كل طرف . فاذا حصرت المفاوضات بين اوربا والمسرح الاوربي واذا اظهر الاتحاد السوفياتي حسن نية ربما كان من الافضل السير

في هذا الاتجاه الجديد ، اما على المدى الطويل فان تبادل المعلومات حول اعادة التنظيم والتسليح يزيل كل التباس حول امكانيات الاسلحة التكتيكية والاستراتيجية اذ اصبح من الصعب جدا تصور محادثات متعددة الاطراف على مستوى المناطق دون تبادل صريح بالمعلومات . ونستنتج من ذلك كله ان للتكنولوجيا الحديثة اثرين هامين على كل مفاوضات شرقية غربية في المستقبل. اولا ان استقلالية اوروبا في انتاج واستثمار الاسلحة الحديثة سوف يضع العراقيل امام المفاوضات الثنائية الاميركية ــ السوفياتية فيما يتعلق بالحد من الاسلحة الاستراتيجية . ثانيا ان الطبيعة الجغرافية للعلاقة بين الشرق والغرب على الساحة الاوربية اصبحت الآن متداخلة بشكل وثيق . واذا ما الاوروبي دون الاخلال ببنود اتفاقية سولت ٢ في حين ان نشر الاسلحة الحديثة من قبل دول حلف شمالي الاطلسي قد يدفع الاتحاد السوفياتي الى الاعتراض بداعي انها يمكن ان تحول الى اسلحة استراتيجية وبالتالي تناقض الاتفاقية.

وعلينا الاعتراف بان الجهود المبذولة للحد من التسلح في اطار العلاقة الاستراتيجية الاميركية السوفياتية من جهة وفي اطار توازن القوى بين الشرق والغرب على الساحة الاوربية اصبحت الآن متداخلة بشكل وثيق . واذا ما استمرت الجهود كما هي حاليا اي معتمدة على عدد الطائرات والصواريخ فمن الافضل دمج المحادثات كلها في اطار واحد والسير بها في جو من التفاهم الواضح بين الكتلتين .

ــ انتقال السلاح وعلاقته باستقرار الوضع المحلي :

كانت كافة الجهود المبذولة لتحسين وتطوير الاسلحة والاعتدة الحديثة موجهة لصالح مسرح العمليات الاوربي ومع ذلك اثبتت سنوات مابعد الحرب ان لهذه الاسلحة الحديثة انعكاسات هامة على الاوضاع العسكرية والسياسية في مناطق اخرى . ومع ذلك لم تلق هذه الانعكاسات على دول العالم الثالث (عدا الشرق الاوسط) اي اهتمام جدي . ولا بد بالتالي ان نتعمق في بحثها وعدم الاكتفاء بالعموميات . فقد سادت قناعات مفادها اولا ان الاسلحة الحديثة المطورة تزيد من القدرات الدفاعية للدول الضعيفة وتؤدي بالتالي الى استقرار الاوضاع في دول الشرق الاوسط وجنوبي افريقيا وجنوب شرقي آسيا .

ثانيا ان اعتماد الدول الضعيفة على الدول الموردة للسلاح تجعل هذه الاخيرة اكثر قدرة على التأثير عليها والسيطرة على الازمات التي قد تنجم بين الدول الصغرى .

ثالثا ان نوعية الاسلحة والاعتدة المطورة الجديدة سوف تقضي على الشهوات التي تدفع بعض الدول لامتلاك أسلحة نووية .

ولكن نظرا للتباين الجغرافي السياسي بين مختلف مناطق العالم لابد من دراسة هذه القناعات بعناية أكبر من دراسة انعكاساتها على الساحةالاوربية. اذ ان المحيط الذي سوف تستخدم فيه هذه الاسلحة المطورة وكفاءة المستثمر من حيث الصيانة الفنية يختلفان من منطقة الى اخرى . واذا ما اخذنا هذه النواحي بعين الاعتبار امكن ايضاح النواحي الثلاث وانعكاساتها .

أولا في حالة بيع الاسلحة الحديثة بصورة متوازنة تصبح دول المنطقة الواحدة متساوية من حيث القدرات الدفاعية تقريبا . ولكن هذا الاحتمال يبدو غير واقعي اذ ان الدول الاكثر غنى ومقدرة تقنية ستكون الاسرعبامتلاك مثل هذه الاسلحة واوضح مثال على ذلك ايران التي حصلت على طائرات حديثة من الولايات المتحدة الاميركية قبل اوربا . وفي الوقت نفسه سعى جيرانها الذينيملكون واردات النفط الى الحذو حذوها وبسرعةومع ذلكلاشك بأن ايران قد حققت لنفسها موقعا عسكريا متفوقا في منطقة الخليج .

أما في حالة بيع السلاح بصورة غير متوازنة فان ذلك ينفي امكانية تحقيق الاستقرار بواسطة الاسلحة الحديثة . ويبدو ان مفهوم الاستقرار في ذهن البعض يعني قدرة الدول الضعيفة على الدفاع بقوة ضد اي عدوان يشنه جيرانها الاقوياء . في حين ان مفهوم القوى المحلية للاستقرار مثل ايران وجنوبي افريقيا والبرازيل والهند يعني امتلاك قدرات عسكرية كافية للسيطرة على الاحداث في منطقة معينة تعتبرها هامة وليس فقط الدفاع عن نفسها .

وفي حالة ايران نفسها هناك شك بان تتمكن الدول المصدرة للسلاح من السيطرة او التأثير عليها بهدف الاقلال من احتمالات الحرب . ولهذه الناحية بالذات مظاهر عدة فقد قيل مثلا بان الولايات المتحدة الاميركية قد تمكنت من

منع كوريا الجنوبية من شن ضربة وقائية ضد كوريا الشمالية بعدم تزويدها بقوى جوية تكتيكية حديثة كافية. كما قيل انها تمكنت ايضا من الضغط على السياسيين الاسرائيليين عبر تقييد وتحرير عملية بيع السلاح لها على كل حال حتى لو صح ذلك فان العكس صحيح ايضا فان شدة اعتماد الدولة المصدرة للسلاح على زبائنها لتحقيق بعض اهدافها (مثل ايران وحمايتها لحرية مرور النفط عن الخليج) يجعلها هي ايضا في موقف المحتاج للزبون .

ويرجح ان العامل الاهم في موضوع بيع وشراء السلاح المطور الحديث هو بروز اعداد متزايدة من الزبائن وبنفس الوقت تعدد الدول المصدرة لمثل هذه الاسلحة وبالتالي فقدان امكانية السيطرة والاشراف على العملية ككل .

ولهذا الوضع تاثيرين مبدئيا اولهما انه يسمح للشاري بحريـة الخيار ويسمح للدول الغنية اما ان تعمل كوسيط في عملية انتقال الاساحة المطـورة وذلك اما بتقديم المال اللازم لدولة ما او بشراء السلاح وتسليمه الى دولـة اخـرى .

فعلى مستوى السوق الشرائية كانت ايران مثالا فاضحا اذ في سبيـل توسعها العسكري اشترت الف وخمسمائة دبابة واربعمائة طائرة مقاتلة . في حين بامكان العربية السعودية ان تؤثر على احداث الشرق الاوسط بتزويد دول المواجهة بكميات كبيرة من الاعتدة المماثلة .

اما باكستان فهي نوع آخر من العميل الوسيط اذ تقدم وحدات خدمات فنية وطيارين لدول الخليج مما يسمح لها باستخدام طائرات مطـورة ، ربما ذلك مقابل الاستفادة من بعض هذه الطائرات في اية حرب مقبلة . وهناك طرق متعددة اخرى تجعل من عملية تصدير السلاح الى الشرق الاوسط في اطار استراتيجية تدعيم دفاع كل دولة وضمان استقرارها ، عملية فاشلة .

لاشك ان الدول المصدرة للسلاح تتحمل بعض المسؤولية في هذا الموقف الحالي ، ليس فقط بسبب بيعها طائرات وعربات مدرعـة مطورة بدلا مـن الاعتدة الاخرى ولكن لانها لم تاخذ بعين الاعتبار الموقف المحلي اثناء مناقشتها لخطط المساعدات العسكرية . وان ميل الدول العظمى للظهور كنموذج للدول

الصغرى لايشمل فقط بيع طائرات نفاثة اسرع من الصوت لاستخدامها في العروض الجوية ايام الاعياد الوطنية ولكنها ايضا تؤثر على التدريب وتجهيز القوات المسلحة بالاعتدة العسكرية . لذلك نجد ان الدول العظمى مصرة على تصدير عقائدها بالتوازي مع تصدير عتادها الحربي وقد تكون هـذه الاعتدة عمليا غير مناسبة للموقف العسكري المحلي . ونظرا لان دول حلف شـمالي الاطلسي ومعها الولايات المتحدة الاميركية فشلت حتى الآن بتبني عقيدة قتالية ملائمة للاسلحة الحديثة التي تنتجها هي نفسها فمن الطبيعـي ان تتعرض الدول المستوردة لهذه الاسلحة الى مشاكل مماثلة على الاقل .

وان الاتجاه نحو استخدام غير ملائم للاسلحة الحديثة ظهر خاصة في الفترة التي تلت حرب فيتنام عندما انغمست الولايات المتحدة الاميركية فـي المشاكل الاوربية ، مما جعلها تغفل تقويم احتياجات دول العالم الثالث بشكل صحيح فيما يتعلق بالاسلحة .

وهناك ناحية مرتبطة بشكل وثيق مع مسالة نشر الاعتدة التكنولوجيـة الحديثة في العالم الثالث بشكل غير مدروس ولا متوازن ، وهي امكانيةالسيطرة على الازمات .

فحتى لو استخدمت هذه الاعتدة الجديدة في سبيل تعزيز دفـاع الدول الضعيفة فانها تخلق موقفا متناقضا . ففي الوقت الذي تصبح فيه هـذه الدول الصغيرة قادرة على ردع جيرانها والدفاع عن أراضيها . لكن هذه الدول الصغرى نفسها بعد ان تكون قد امتلكت أعتدة حديثة تصبح قادرة ايضا على تشويش الموقف والقيام بنشاطات في بعض المناطق الاستراتيجية ، وقد لاتكون في مصلحة الدول المودة للسلاح واحيانا تعجز هذه الاخيرة عن حماية مصالحها ذاتها في تلك المنطقة . ويظهر ذلك بوضوح في الدول البحرية خاصة التي قد تلجأ الى ذرع الالغام البحرية المضادة للغواصات ونصب الصواريـخ المضادة للسفن لاغلاق بعض المرات البحرية الاستراتيجية . ومن الواضح ان الدول الصغرى بعد امتلاكها لاعتدة متطورة تكنولوجيا وسفن صواريخ او غواصـات تصبح قادرة علي عرقلة التحركات البحرية في بعض المناطق مثل البحر الابيض

المتوسط وبحر الشمال وبحر اليابان وستكون انعكاسات ذلك سلبية وبشكل جدي .

وهناك بعد آخر للمسألة نفسها وهو امكانية استقلال هذه الاسلحة الحديثة من قبل بعض المجموعات الوطنية ، فالحركات الوطنية او الانفصالية اذا ماتسلحت بمثل هذه الاسلحة وخاصة المضادة للدبابات والمضادة للطائرات فانها تصبح قادرة على التصدي لاية عملية هجومية حكومية فتجد الدول الضعيفة نفسها عاجزة عن منع استخدام أراضيها كقواعد انطلاق لرجال العصابات التي تهاجم الدول المجاورة . ومن جهة اخرى هناك بعض الدول التي تفتقر الى امكانية شن هجوم مسلح تقليدي بالقوى النظامية فتلجأ الى تسليح رجال العصابات الموالية لها بهذه الاسلحة الحديثة بهدف القيام بعمليات تخريب في مناطق أعدائها .

لاشك ان انعكاسات تصدير الاسلحة الحديثة على العلاقات بين الدول العظمى والدول الصغيرة او الضعيفة ، غير قابلة للتقويم بشكل دقيق وموثوق. والعوامل التي وردت أعلاه تفترض توفر حرية التحرك للدول الصغرى ولكن اعتمادها على الوسائط التكنولوجية المستوردة يقود من جهة أخرى الى نفوذ سياسي اكبر للدول الكبرى المصدرة . وهذا صحيح تماما في الصراعات المسلحة الحالية اذ بسبب ازدياد معدل استهلاك الذخيرة في الحروب الحديثة تجد الدول الصغرى نفسها مجبرة على الاعتماد على الدول الكبرى لتعويضها عن الخسائر وبسرعة . فاذا مارفضت الدول المصدرة اصلا تلبية الطلب عندها ستجد الدولة الصغرى صعوبة كبرى في الحصول على ماتحتاجه اذ برغم وجود سوق واسعة للسلاح فانه من الصعب أثناء القتال التعاقد على اسلحة جديدة .

بل حتى لو توقف القتال فان هناك مستلزمات التدريب والصيانة وربما اعادة التنظيم التي تتناسب والاعتدة الجديدة .

وقد يتدنى النفوذ السياسي للدول المصدرة على المدى الطويل عندما يصبح لدى الدول الصغرى المستوردة للسلاح امكانية تصنيع بعض الاعتدة

محليا . وهذا هو الدافع الاول لاسرائيل في محاولاتها تحقيق الاكتفاء الذاتي في تصنيع السلاح تلك السياسة التي حققت تطوير وانتاج صواريخ تكتيكية مضادة للسفن واخرى سطح سطح والطائرة « كفير » الاسرع من الصوت وقيل انها تصنع الرؤوس الحربية للصواريخ الاميركية نوع « لانس » . لاشك ان اسرائيل بما تملكه من قاعدة صناعية ومراكز ابحاث ودراسات تحتل الموقع الاول بين الدول القادرة على تحقيق الاكتفاء الذاتي في التسلح . كما ان الهند قد بدت متعاظمة في مجال التطوير والتصنيع المحلي لبعض الاعتدة الحربية . ثم ان الجهود التي تبذلها بعض الدول الاخرى الادنى قدرة تقنية ، للمساهمة ماديا في بعض الصناعات الدولية سوف تؤدي الى الاسراع في تحقيق قدرات محلية ففي عام ١٩٧٥ أعلنت كل من ايران وباكستان وتركيا عن برامج مشتركة لتطوير وانتاج بعض أنواع السلاح وفي شهر شباط من عام ١٩٧٦ اتفقت (مبدئيا على الاقل) كل من مصر والمملكة العربية السعودية ودولة قطر واتحاد الامارات العربية على التعاون في سبيل اقامة صناعات حربية .

ونعاني حاليا من ظاهرة انتشار التكنولوجيا النوويه . فهل يؤدي امتلاك الدول الصغرى لجيل جديد من الاسلحة والاعتده التكنولوجية الى زيادة الميل نحو امتلاك السلاح النووي ام العكس ؟ يعتقد البعض ان شعور الدول الضعيفة بالاطمئنان بعد امتلاكها للاعتدة والاسلحة المتطورة الجديدة يجعلها تعزف عن التفكير بامتلاك السلاح النووي . فقد قيل ان المساعدات العسكرية الاميركية لاسرائيل بشكل كبير جعلها قادرة على التصدي لاي تهديد قد تتعرض اليه مما قلل من اندفاعها نحو السلاح النووي . وتردد القول نفسه فيما يتعلق بكوريا الجنوبية . ولكن لايمكن تعميم هذين المثالين اذ علينا الاخذ بعين الاعتبار العوامل الاخرى التي قد تدفع بعض الدول لامتلاك السلاح النووي . ان اسرائيل تواجه خطرا عسكريا واضحا وفوريا لذلك اتجهت سياستها نحو امتلاك الاسلحة الكافية للتصدي له . في حين ان بعض الدول الاخرى قد تسعى للحصول على السلاح النووي (أو على الاقل اظهار قدرتها النووية) بهدف تدعيم موقفها الوطني او لاسباب سياسية داخلية ويبدو ان هذه هي العوامل الكامنة وراء القرار الذي اتخذته « الهند » عام ١٩٧٤ ، ففي مثل هذه الحالات لن يكون

لإمتلاك او عدم امتلاك أسلحة متطورة حديثة اي تأثير . حتى في الموقف الاسرائيلي قد لايكون لامتلاكها هذا الحجم من الاسلحة والاعتدة الحربية المتطورة اي أثر على قرارها باستمرار سعيها للحصول على السلاح النووي اذ ان هذا السلاح ليس فقط قدرة حربية بل هو ايضا واسطة للتهديد بتصعيد الحرب بشكل قد يدفع الدول العظمى الى استخدام أسلحتها النووية ايضاء واذا ماكانت الدول العظمى على اطلاع بامتلاك اسرائيل للقدرة النووية فان هذه الاخيرة تصبح هي نفسها المالكة لامكانية التأثير عليهما ابان الازمات خوفا من ان تجرهما الى مايرغبان به .

هناك حالة خاصة حيث تشعر الولايات المتحدة الاميركية برغبة في تزويد بعض حلفائها بكميات من الاسلحة الحديثة المطورة كوسيلة لتجنب التدخل الاميركي النووي ، كما هو الوضع في اوربا مثلاً حيث ارتبط تخفيض السلاح النووي التكتيكي وتخفيض القوات الاميركية بتسلح قوات حلف شمالي الاطلسي بالاسلحة الحديثة .

ولكن مثل هذه السياسة قد تدفع الدول الاوربية لاعادة النظر في خيارها النووي كما تغري بعض الدول الاوربية غير النووية بالسعي لامتلاك هذا السلاح .

اما في شرقي آسيا فان الموقف مختلف نوعا ما . اذ في اللحظة التي ينظر فيها للاسلحة الحديثة المطورة كوسيلة لتجنب استخدام السلاح النووي من قبل الولايات المتحدة الاميركية فان جنوب كوريا سوف تتجه نحو انتاجه وقد صرح الرئيس « بارك » بقوله :

« اذا مارفعت الولايات المتحدة الاميركية مظلتها النووية فسوف نسعى لتطوير قوتنا النووية الخاصة لحماية انفسنا . والوضع نفسه ينطبق على اليابان وتايوان .

اخيرا علينا الاعتراف بان انتشار بعض الخبرات التكنولوجية الحديثة تغري الدول المتطلعة الى امتلاك السلاح النووي بشراء وسائط نقل هذا السلاح على الاقل . فبالرغم من ان صفقات السلاح الجارية حتى الآن تقتصر

على الاسلحة التقليدية فان هناك على الاقل ثلاثة عشر نوعا مختلفا من الطائرات الحديثة القادرة على حمل القنابل النووية موزعة على اربعة عشر دولة متلهفة لامتلاك السلاح النووي . ومع ذلك ورغم جودة تطورها تبقى للطائرات بعض السيئات اهمها نصف قطر عملها مما يحد من قدراتها على التوغل في عمق أراضي العدو . اما امتلاك قاذفات بعيدة المدى او صواريخ تنطلق من قواعد أرضية او بحرية فانه متعذر في المدى القريب وذلك لاسباب اقتصادية وتقنية فالهند مثلا تتمنى الحصول على صواريخ مدارية لاستخدامها ضد اهداف مكتظة بالسكان كالصين مثلا ، ولكن الصواريخ المطورة الحديثة مثل الصاروخ الطواف والطائرة الموجهة بدون طيار أكثر اغراء وأرخص ثمنا وتعتبر وسيلة جيدة لحمل الشحنات المتفجرة الى اهدافها .

* * *

هـ ـ الخلاصة

لاشك أنه من المفيد ان تكون التكنولوجيا هي القدرة المحركة للعقائد العسكرية ولعمليات التنظيم ، وهناك أساس أكيد لمؤيدي انتشار التكنولوجيا الحديثه : فعلى المستوى التكتيكي ان الاسلحة الحديثة تزيد من فعالية الدفاع ، كما في مجال التنظيم للتكنولوجيا أثرها في اعادة النظر بنوعية المهام وشكل التنظيم المناسب لها ، وفي المجال الاقتصادي تكون الاعتدة الحديثة أرخص ثمنا نسبيا اما على المستوى الاستراتيجي فان التكنولوجيا سوف ترفع العتبة النووية وتقضي على الرغبة بالتصعيد وبالتالي تفتح عصرا جديدا لمحادثات الحد من الاسلحة . ومما لاشك فيه ان للتكنولوجيا تأثير حاسم على سير القتال وعلى القرارات السياسية في المرحلة الراهنة اما تأثير التطورات المقبلة خلال العقد القادم فلن يعتمد فقط على مدى استعداد الحكومات للتجارب بل أيضا على النواحي العملياتية والتنظيمية والسياسية .

واذا ماكانت للدروس المستفادة خلال الاعوام الثلاثين الماضية دلالتها ، فان من المستبعد ايجاد حلول لهذه المشاكل في الوقت القريب . ومن المعروف ان هناك خطرا كبيرا كامنا وراء تصدير اي سلاح جديد مالم يتم مسبقا تقويم آثار ذلك على المدى البعيد ومعرفة نتائج استخدامه . ولكن الخطر مماثل في الميل لاعتبار التطورات التكنولوجية الحديثة كحل موقت لجدل طويل وقبل اتخاذ أي قرار علينا ان نناقش عوامل عدة وأخذها بعين الاعتبار .

ولا بد للتأكد من صلاحية السلاح الجديد لتحقيق الاهداف التي صمم من أجلها ، من تجربته في ظروف عملياتية مختلفة . فالذخائر دقيقة التوجيه المتوفرة حاليا عاجزة عن تنفيذ مهامها في ظروف غير ملائمة أما تلك التي ستأتي

بعدها فستكون باهظة الكلفة . كما ان السيطرة على عدد كبير من الطائرات الموجهة بدون طيار تخلق مصاعب جمة في مجال القيادة والاشراف بالاضافة الى ان الصواريخ البعيدة المدى المزودة برؤوس تقليدية لم تثبت بعد ان النتائج التي تحققها توازي قيمتها المادية . ولا تزال مسألة كشف وتحديد الاهداف في شروط غير ملائمة بدون حل ، واذا كانت الدبابات والطائرات وسفن للسطح تبدو على المدى القصير شديدة التعرض فان التطورات التكنولوجية على المدى الطويل في مجال التدابير المضادة كفيلة بالقضاء على المزايا التي تتمتع بها الاسلحة المضادة الموجهة . وحتى لو نجحنا في التغلب على المعوقات الجديدة سوف نصطدم بالنفقات المخصصة والقيود التي تفرضها مما يجعلنا في موقف حرج من حيث الخيار بين الانواع المختلفة من الاعتدة التكنولوجية المتنافسة. فمثلا في مجال الذخائر دقيقة التوجيه علينا ان نختار بين الاعلى ثمنا والاكثر دقة وبين الاقل ثمنا ودقة . ولسوف تزداد هذه المشكلة تعقيدا في المستقبل اذ ستكون المقارنة العددية اكبر مما هي حاليا .

ـ مسائل تعبوية :

هل يمكن لوحدات صغيرة مبعثرة من المشاة المجهزة باسلحة مضادة للدبابات الصمود تجاه عمليات عسكرية تخوضها قوة مختلفة الصنوف ؟ هل يمكن الحصول على السيطرة الجوية فوق ساحة المعركة بواسطة صواريخ مضادة للطائرات ميدانية وطائرات مقاتلة اقل تطورا ؟ هل يمكن لجيل جديد من الصواريخ الحلول محل الطائرات في تنفيذ عدد من المهام ؟ المهم هنا للاجابة على هذه التساؤلات ليس فقط معرفة مدى جودة التنفيذ وقدرات العدو في مجال التدابير المضادة بل ايضا قدرة العدو على التكيف مع الوضع الجديد الناجم عن تواجد هذه الاسلحة الحديثة . ففي الوقت الذي يكون فيه التأقلم مع الوضع الجديد مكسب غير مباشر فانه قد يشكل بنفس الوقت تهديدا جديدا غير متوقع ، فاننا بمحاولاتنا افشال استراتيجية الحرب القصيرة الامد او جعلها غير ممكنة بفضل امتلاكنا لاسلحة حديثة مطورة ، تكون في سبيل زيادة احتمال مواجهة الخطر النووي .

هناك تساؤلات خاصة لابد من ايضاحها لدى استخدام اسلحة تقليدية استراتيجية جديدة : اننا بجعل الدول قادرة على تنفيذ ضربات انتقامية غير نووية بواسطة الصواريخ الطوافة والطائرات الموجهة بدون طيار نكون قد خففنا من ميلهما لامتلاك السلاح النووي بلا شك ، ولكن اذا كان استخدامها لايتوافق مع قدرات تقليدية أخرى فانه قد يثير مخاطر تصعيد العمليات .

ـ الفضليات المهام :

اذا شئنا فعلا للاسلحة الحديثة ان تحقق النتائج المرجوة لابد من اتخاذ الاجراءات المناسبة لتعديل المهام الموضوعة حاليا واعادة النظر في اسلوب صيانة واستخدام هذه الاسلحة . أما الى أي مدى سوف يتم تعديل المهام فهذا عائد لجدية المؤسسات البيروقراطية في الاستفادة من التكنولوجيا الحديثة لاستثمار النواحي والقدرات العملياتية والتكتيكية التي ورد ذكرها اعلاه .

أما لو استخدمت هذه الاسلحة دون تعديل المهام المسندة حاليا وبالشكل المناسب فان النتائج التي ستحققها لاتوازي ثمنها . وعلى الجهود المبذولة في سبيل اعادة تنظيم القوات وتعديل المهام ان تتغلب على العقلية البيروقراطية التي تفضل المحافظة على المهام القائمة وكذلك الاسلحة الموجودة والحظر هنا أن المزايا الكبيرة للاسلحة الجديدة سوف تهمل وبنفس الوقت سيجد المقاتلون صعوبات جمة في استخدامها في ظروف غير ملائمة لها ولمهام غير مناسبة لامكاناتها .

ـ النتائج السياسية :

ان مفتاح التعرف على انعكاسات الاسلحة الحديثة على العلاقات السياسية يكمن في ملاحظة ان الخلافات والصراعات تنبع من تنافر المصالح واختلاف المطامح لا من وجود او عدم وجود الاسلحة . ففي اوربا تدعم الاسلحة الحديثة القدرة الدفاعية لدول حلف شمالي الاطلسي وتجعلها قادرة على التصدي للتهديد السوفياتي التقليدي . ولكن هذا الوضع الجديد المرغوب من جهة قد يؤدي الى أزمة في استراتيجية حلف شمالي الاطلسي اذا رافقه اتجاه اميركي حقيقي او مفترض لفك الارتباط النووي . فالتكنولوجيا الحديثة بحد ذاتها

ليسبت جيدا يسد الثغرة الكائنة في مبادىء الحلف بين طبيعة الردع والدفاع.

ونظرا لاختلاف المواقف والآراء حول خطر التصعيد النووي فان سد هذه الثغرة يبدو مستحيلا في الوقت الحاضر ومع ذلك على حلف شمالي الاطلسي أثناء مناقشاته القادمة للاسلحة الحديثة واستخدامها ان يتذكر بان حل المشاكل السياسية لاتعتمد مطلقا على التطور التكنولوجي .

وينطبق الوضع نفسه على المناطق الاخرى . فالتطور التكنولوجي قد يزيد من حدة الخيار السياسي لا اخمادها . ويبدو ان هذا أوضح شكلا في العلاقة بين الدولتين العظميتين طالما ان التكنولوجيا قد تهدد قدراتها في السيطرة على الاحداث سواء في مواجهة كل منها للآخر او في مجال دوائر نفوذها في باقي مناطق العالم . ففي عصر مابعد الحرب ساعدت التكنولوجيا العسكرية الإتجاهات السياسية والاقتصادية نحو نظام عالمي ثنائي الاقطاب ولكن طبيعة الاعتدة الحربية الحديثة تبدو وكأنها تدعم التوجه من جديد نحو نظام متعدد الاقطاب .

ففي الوقت الذي تستمر فيه القوى العسكرية للدول العظمى بالتعاظم فان امكانية امتلاك الاعتدة الحربية المطورة الحديثة من قبل الدول الصغرى والمتوسطة القوة قد تقلل من امكانيات الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفياتي على المحافظة على قوة نفوذهما السابق اي عمليا اضعاف قدراتهما العسكرية .

ففي الدول الغربية يبدو ان امتلاك الاوروبيين لجيل جديد من الصواريخ بعيدة المدى سوف يقلل من الاشراف الاميركي على عملية التصعيد وينسف الاستقطاب الثنائي الشرقي – غربي لمحادثات الحد من الاسلحة الاستراتيجية. وفي الوقت الذي يصعب جدا ان نشاهد اتجاهات مماثلة في الشرق فان التكنولوجيا الحديثة قد تجعل من سياسة الحياد وعدم الانحياز الخيار المعقول للدول الاوروبية . ثم ان الانتشار الواسع للتكنولوجيا العسكرية القديمة والحديثة مع زيادته للقدرات الدفاعية للدول ضد اي عدوان من جيرانها ، فانه يزيد من متاعب الدول العظمى عند اضطرارها لنقل قواتها الى مسافات بعيدة

ومن جهة اخرى يسهل بروز قوى محلية او تشكيل مراكز قوى لها وزنها العسكري .

ـ الاشراف على التسلح :

ان محاولة تفهم مدى تأثير الاسلحة الجديدة على الجهود المبذولة للاشراف على التسلح تعتبر نوع من مرض الشيزوفرينا . ففي الوقت الذي يعتبر فيه الصاروخ الطواف سببا معوقا لمحادثات الحد من الاسلحة الاستراتيجية فانه لو دخل ترسانة حلف شمالي الاطلسي يزيد من قوة الحلف العسكرية . وحتى في حالة استخدامه استراتيجيا من على متن القاذفات فان المراقبين اعتبروا الصاروخ الطواف فعالا واقل كلفة من القاذفات الحالية المكلفة بالتوغل داخل الاجواء المعادية وقصف الاهداف العميقة . وهكذا فان اعنف المدافعين من موضوع الاشراف على التسلح يعترفون بان التكنولوجيا الحديثة تقدم حلولا مغرية لاهداف الحد من التسلح التقليدي وهي تعزيز قوة الردع ، التقليل الى ادنى حد من الاضرار الجانبية في حالة فشل الردع،واخيرا الاقتصاد بالنفقات. ولكن اقتصار البحث على بعض النواحي الخاصة بالتكنولوجيا وما توفره للمحادثات الجارية حاليا فيه تجني على الواقع .

ولا يدرس النتائج بعمق كاف . ان الخيارات المطروحة لانتقاء الاهداف للاسلحة النووية وغير النووية سوف تخلق هوة جديدة على المشتركين بمحادثات سولت من الصعب تغطيتها او تجاوزها الى اتفاق اصطناعي يعتمد على التحديد الجغرافي . ونظرا للفراغ القائم حاليا بين المفاوضين والمشاكل التي يواجهونها بسبب التطور التكنولوجي الحديث فانه من المستبعد ان يتوصلوا الى تصنيف الاسلحة الجديدة بشكل دقيق فيما يتعلق بالمدى والامكانيات والمزايا التكنولوجية وبالتالي يستحيل الاتفاق على تحديد عددها . فاذا كان الوضع هكذا فانه من المرجح ان نعيش قريبا مرحلة وفاة مؤسسات الاشراف على التسلح . واذا رغبنا فعلا في العمل بفعالية ضد الانتشار الافقي والعامودي للاسلحة الحديثة علينا ان نتجنب خلال الثمانينات موضوع الاشراف على اعداد الصواريخ والطائرات والتحول نحو التفاهم المتبادل حول انتشار واستخدام الاسلحة الحديثة .

الصواريخ دقيقة التوجيه

جيمس ديغبي
JAMES DIGBY

منذ ان بدأ الانسان برمي اشياء متنوعة على عدوه وقذائفه اما طائشة او غير فعالة . وفي السنوات الاخيرة حدث تطور هام اذ أصبحت الاسلحة الحديثة قادرة على تحقيق اصابات شبه مؤكدة في كل طلقة وبتأثير فعال غالبا. ورغم ان معظم نظريات هذه الاسلحة ليست جديدة فان المخططين العسكريين أقروا بامكانية انتاجها بصورة اقتصادية وعملياتية فقط بعد ان استخدمت القذائف الموجهة باشعة لايزر في الحرب الفيتنامية . ومن ثم جرى التخلي عن اسم « القنبلة الذكية » ليحل محله رسميا اصطلاح « الذخائر دقيقة التوجيه » الاوسع شمولية . عادة يطلق هذا الاصطلاح على القنابل والصواريخ الموجهة في المرحلة الاخيرة من خط سيرها ويشمل هذا عددا من الاسلحة المضادة للدبابات والصواريخ المضادة للطائرات . وقد تركزت كافة الاهتمامات نحو هذه الاسلحة بعد ان استخدمتها القوات المسلحة العربية بشكل واسع خلال حرب تشرين عام ١٩٧٣ .

سأتعرض في القسم الاول من هذا البحث وبشكل واف لميكانيكية هذه الاسلحة بهدف اعطاء القارىء فكرة عن كيفية عملها وبنفس الوقت سأذكر بعض الاوصاف المختصرة لاهم الاسلحة غير النووية المستخدمة في المعارك البرية . ولا شك انني سأقتصر فقط على بعض التطورات بالذخائر دقيقة التوجيه اذ من المعروف ان مسيرة التطور تقدم لنا سنويا عددا كبيرا من الذخائر الجديدة بعد انتهائها من مرحلة التجارب العملياتية . اما القسم الثاني من البحث فسوف يركز على عدد من النتائج الهامة والمجهولة حتى الآن ،

التي قد تنجم عن استخدام هذه الاسلحة الجديدة ومناقشة مدى تأثيراتها المحتملة على موقف القوات وعلى سير الاعمال القتالية .

مثلا ماهو تأثيرها على فعالية الدبابات الحديثة المطورة وعلى الطائرة القاذفة المقاتلة وعلى حاملات الطائرات الضخمة ؟ .ماهي انعكاسات استخدامها على تنظيم القوات البرية وعلى العقائد التكتيكية ؟ ربما احتاجت القوات البرية الى تبني نوع من التشكيل المؤلف من عدد كبير من الوحدات العالية القدرة الحركية والقوية التسليح ، كما قد نجد من المناسب نقل اوزان اقل من الذخائر الى ساحة المعركة . ثم ماهي الانعكاسات السياسية ؟ واذا لم نعد بحاجة الى السدود النارية والقصف المساحي فان ذلك سوف يقلل من الاضرار الجانبية بين صفوف المدنيين والمرافق الاقتصادية وقد يقود ذلك الى رفع العتبة النووية . وهذه النواحي هامة جدا وتحتاج لدراسة فورية ، وهناك احتمال كبير في ان يكون الموقف الناجم مفيد جدا لحلف شمالي الاطلسي وللاستراتيجية الاميركية .

ونشاهد حاليا بداية انعكاسات العديد من هذه النقاط كما ان الجهود الهادفة الى مجابهة الذخائر دقيقة التوجيه في سبيلها الى التطبيق العملي . على كل حال نرجو من القارىء ان يعتبر مايقراه هنا عبارة عن محاولة ايضاح للموقف . فحتى المحللين العسكريين يشعرون بان الضباب مازال يكتنف بعض الدروس المستفادة من استخدام بعض التكنولوجيا الحديثة سواء في الغارات الجوية على فيتنام عام ١٩٧٢ او في حرب الشرق الاوسط في تشرين عام١٩٧٣، ولا يمكن اتخاذ قرار حاسم بشانها والاستفادة منها في عمليات تطوير الذخائر الجديدة .

اخيرا ان هذا البحث لايهدف مطلقا الى التعمق في دراسة الاتجاهات التكنولوجية او التدابير المعاكسة لها ولا معاكس التدابير المعاكسة .

أ ـ بعض انواع الذخائر دقيقة التوجيه

في هذا القسم وصف لعدد من الذخائر الموجهة بدقة ، وفي انواع مختلفة، يهدف الى اعطاء القارىء فكرة عما نحن بصدده .

ويمكن ان نطلق على هذه الذخائر تجاوزا التعريف التالي : هي ذخائر من انواع مختلفة تبلغ دقة اصابتها على المدى الاقصى لاهداف مثل دبابة او سفينة أو جهاز رادار أو جسد او طائرة ، اكثر من خمسين بالمئة .

استبعد عدد من الدارسين الصواريخ ارض ـ جو من هذا المجال وذلك لانها دقيقة فعلا ولكن منذ زمن طويل اما الجديد فيها فكونها دقيقة ورخيصة الثمن نسبيا بالاضافة الى سهولة استخدامها . لاحظ صفة « نسبيا » . اذ ان العديد من الأسلحة الجديدة مطورة جدا وهي رخيصة الثمن بالنسبة للصواريخ الموجهة السابقة او نسبة للقدرة التدميرية اذا ماقورنت بالاسلحة الاخرى المستخدمة لنفس الغرض . على اية حال فانها ليست باهظة الثمن لدرجة تمنع من التخزين .

الاشارة الاولى بأن حدث جديد قد وقع انطلقت من النتائج التي حققتها القنابل الموجهة باشعة اللايزر ـ والتي استخدمت في فيتنام عام ١٩٧٢ .

يطلق شعاع رفيع من اللايزر من جهاز خاص مركب على الطائرة يدعى « الموجه » ، نحو الهدف فينعكس هذا الشعاع من الهدف نحو جهاز لاقط صغير مثبت على راس القنبلة من نوع مك ٨٢ بقوة ٥٠٠ ليبرة او مك٨٤وقدرتها ٢٠٠٠ ليبرة فتتوجه القنبلة مباشرة الى الهدف المضاء وبدقة كبيرة . في السابق كان هذا الشعاع يطلق من طائرة اخرى محلقة فوق المنطقة لهذه الغاية ثم حمل هذا الجهاز الموجه على الطائرة القاذفة نفسها من نوع ف٤ . وامكن بالتالي

تدمير جسر مثلا بطلقة او طلقتين في حين كان في السابق يحتاج الى اكثر من عشرات الطلقات . وقد اظهرت الصور الجوية التي التقطتها القوى الجوية الاميركية ان دقة الاصابة فاقت التوقعات المنتظرة لعام ١٩٦٨ اذ بلغت حوالي ٨٠٪ .

وقد شاهد الصاروخ ساغر م/د ٣ السوفياتي الموجه سلكيا استخداما مكثفا في تشرين الاول عام ١٩٧٣ خلال حرب الشرق الاوسط . وهو غالب مايحمل بمجموعات من تسعة الى ثمانية تحت حماية مظلة فولاذية على عربة مدرعة نوع ب ر د م ٢ ، وهو يزن احد عشر كيلو غراما براس حربي يزن ٢ر٧ كغ ويحتاج لمدة خمسة وعشرون ثانية لبلوغ مداه الاقصى ثلاثة آلاف متر ، وهي مسافة كافية لاعطاء الرامي فترة زمنية للاختفاء قبل رد العدو على نيرانه . أما الصواريخ المماثلة في حلف شمالي الاطلسي فهي من نوع«تاو» الاميركي ونوع «هوت» الفرنسي الالماني وكلاهما مزود بجهاز توجيه نصف آلي اي يقتصر عمل الرامي على التسديد نحو الهدف ولا يحتاج الى توجيه الصاروخ اثناء تحليقه حتى الهدف .

أما الصاروخ البريطاني نوع « سوينغ فاير SWINGFRE » فهو وان كان اقل اتوماتيكية فان بالامكان وضع وحدة التوجيه على مسافة حتى مائة متر من قاعدة الاطلاق . والانواع الثلاث هذه قابلة للحمل بالحوامات .

لنتفحص بشكل اكثر تفصيلا كيف يعمل احد هذه الصواريخ المضادة للدبابات مثلا الصاروخ « تاو ب ح م ٧١ » . يبلغ قطر هذا الصاروخ خمسة عشر سنتيمترا ووزنه ٦ر٢٣ كغ بما في ذلك غلافه الواقي الذي يستخدم كانبوب اطلاق . والغلاف ملحوم في المصنع وبالتالي يمكن استخدام الصاروخ بدون حاجة الى اي تحقق لاحق . ان القاذف الصاروخي نوع تاو مركب على قاعدة ثلاثية الارجل يمكن استخدامها مستقلة عن العربة او وهذا اكثر حدوثا من على قاعدة معدنية مثبتة على عربة نقل الاشخاص المدرعة نوع م ١١٣ .

يسدد الرامي على الهدف عبر منظار تليسكوبي قوي التكبير (١٣)مرة، واذا ماوجد أمامه عدة أهداف فانه يختار الهدف الموجود امام حقل الرؤية

طيلة تحليق الصاروخ . وعندما يضغط زر الاطلاق يحرض محرك الصاروخ وقوة الارتداد فيه اقل بكثير من المدفع عيار ١٠٦ عديم الارتداد الذي حل التاو محله . وما ان يبدأ الصاروخ بالتحليق نحو الهدف حتى يبدأ سلك الضبط المربوط بالقاعدة بالامتداد انطلاقا من بكرتين كل منها بطول ١٨ سنتيمترا ومركبة في مؤخرة الصاروخ . ثم بواسطة منبع للاشعة دون الحمراء مثبت في مؤخرة الصاروخ يرتبط الصاروخ بمصدر آخر يعمل بنفس الاشعة وموجود على قاعدة الاطلاق فتتحرك اجنحة التوجيه في الصاروخ لتثبته على خط النظر تقريبا بين القاعدة والهدف وذلك استنادا الى حساب الزوايا بين القاعدة والصاروخ والقاعدة والهدف . في تلك الاثناء تصلى الشحنة المتفجرة ذات الحشوة الجوفاء البالغ وزنها ٣ر٦ كغ التي تنفجر فور اصطدامها بالهدف.

واثناء التدريب أمكن للصاروخ تاو ان تشتبك مع ثلاثة اهداف ضمن زاوية حتى ٩٠ درجة في زمن اقل من ستين ثانية ولكن بعض الضباط يشكون بامكانية تحقيق ذلك في الظروف القتالية . ويبلغ مدى الصاروخ « تاو » المنتج عام ١٩٧٤ ثلاثة آلاف متر يقطعها خلال خمسة عشر ثانية . في حين تم تطوير نوع آخر منه وصل مداه الاقصى الى ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسون مترا . اما ثمن الصاروخ نفسه حاليا فيبلغ ثلاثة آلاف دولار في حين يبلغ ثمن قاعدة الاطلاق والتوجيه التي تستخدمها عناصر المشاة عشرون الف دولار .

اما الصاروخ مافريك MAVERIKAGM-65A وهو معد للتعامل مع الدبابات انطلاقا من الطائرات والذي طورته وانتجته ورشات القوى الجوية الاميركية فانه يوجه بواسطة آلة تصوير تلفزيونية مثبتة في الراس التي تغذي دارات الملاحقة الموجودة داخل الصاروخ بواسطة نبضات فيديو . وتحرض هذه النبضات دارات التوجيه . ويمكن للطائرة من نوع ف٤ و آ ٧ و آ ١٠ حمل ستة صواريخ منه . وما على الطيار الا المناورة لجعل الهدف ضمن خط نظره ومتى تم ذلك ينفتح القفل المثبت لآلية التوجيه آليا ويتوجه الصاروخ نحو الهدف . ومتى وقع الهدف ضمن دائرة التسديد الخاصة بالصاروخ فان هذا الاخير لن يفقده بعد ذلك .

ثم بعد اطلاق الصاروخ الذي قد يجري من مسافة اميال عدة يمكن للطائرة ان تغادر المكان او تبدأ بتنفيذ مهمة اخرى . والصاروخ « مافريك » ذو

قطر يبلغ ٣٠ سم ويحمل شحنة متفجرة ثقيلة نسبيا حوالي ٢١٠ كغ . وقد دخل الخدمة منذ عام ١٩٧٤ وكان ثمنه آنذاك عشرة آلاف دولار . وجاري حاليا تطوير انواع اخرى منه موجهة بالاشعة دون الحمراء واخرى موجهة باشعة لايزر .

تعرفت القوات المسلحة الاميركية لاول مرة على الصاروخ السوفياتي المضاد للطائرات نوع « غريل سام ٧ GRAILSA 7 ابان الحرب الفيتنامية . وهو صاروخ فردي يحمله جندي المشاة ويطلقه من الكتف . وهو مجهز بآلية توجيه تعمل بالاشعة دون الحمراء ويبلغ وزن حشوته المتفجرة ١١٠٠ غرام . وقد افادت التقارير الواردة من حرب الشرق الاوسط في تشرين الاول عام ١٩٧٣ انه استخدم بصليات من عدة صواريخ على كل طائرة اسرائيلية ، واعطب انابيب النفث في عدة طائرات نوع آ ٤ ز A 4 ولكن قدرته التدميرية لم تكن كبيرة . على كل حال فان القوات المصرية التي استخدمت هذا الصاروخ قد اثبتت قدراته العملياتية . والصاروخ سام ٧ مماثل للصاروخ الاميركي « ريد آي REDEYE الذي تم تبديله بآخر اكثر تطورا والمسمى « ستينجر STINGER » . ولدى البريطانيين صاروخ خفيف مماثل يدعى « بلوبايب BLOWPIPE » موجه بالنظر .

وقد طورت شركة جنرال ديناميك صاروخا مضادا للاشعاعات نوع آ ج ن ٧٨ AGN 78 تستخدمه القوى البحرية والجوية الاميركية ضد رادارات توجيه الصواريخ والاهداف المشعة الاخرى . وجهاز التفتيش عن الهدف فيه مماثل للموجود في الصاروخ « شرايك SRIKE » الذي استخدم بكثرة في حرب فيتنام ضد رادارات توجيه الصواريخ المضادة للطائرات . ويتم توجيه الصاروخ نحو الهدف عبر جهاز التقاط موجود في الطائرة الذي ينقل الى الصاروخ المعطيات الضرورية للاصابة .

وفي الصاروخ نفسه جهاز توجيه يعمل بالاشعاع السلبي يساعد في توجيهه وذلك هام جدا عندما يتوقف الهدف عن العمل اذ يلجأ الصاروخ لما خزنه من معلومات حول الهدف ليتابع سيره نحوه .

والصواريخ المضادة للاشعاعات خلافا للصواريخ التي ذكرناها اعلاه قادرة على العمل بفعالية ليلا وفي الظروف الجوية السيئة وقد اثبتت فعاليتها ضد محطات الرادارات الموجهة للصواريخ سام . ويبدو ان هذا النوع من الصواريخ سيكون له دور كبير في ضرب الاهداف الاخرى الباثة للموجات مثل مقرات القيادة والسيطرة .

ويقدر ان تدخل ترسانة الصواريخ انواع اخرى اكبر حجما بنفس الوقت الذي تتابع فيه اعمال تطوير الصواريخ الحالية .

أولا هناك فرصة كبيرة لانتاج صاروخ طواف يطلق من الجو ويصل الى مدى حتى مائة كيلو متر ويتم توجيهه او تصحيح مساره في منتصف المسافة عبر أجهزة التقاط وارسال خاصة موزعة في بعض المواقع على الارض ثم يدقق ويصحح مساره في العشر كيلو مترات الاخيرة من محركه بواسطة جهاز تطابق مع تضاريس الارض وهذا الجهاز عبارة عن دارات الكترونية تحفظ مايشبه خريطة منطقة الهدف حصلت عليها من طائرات الاستطلاع الجوي الذي يجري عادة من ارتفاعات شاهقة . وهذا النوع من الصواريخ ملائم جدا للتعامل مع اهداف ثابتة كالمستودعات والقواعد الجوية ومن شبه المستحيل التشويش على نظام توجيهه في المرحلة الاخيرة من مساره ، كما يمكن استخدامه ضد مجموعة من الاهداف المتحركة وان كان ذلك يحتاج الى دقة اكثر في التحضير .

ثانيا الواسطة البديلة التي نحقق بها نفس الهدف هي طائرة موجهة عن بعد بنفس الحجم والمدى كالصاروخ يوجهها شخص استنادا لصورة تلفزيونية منقولة له من الطائرة نفسها ، فيرسل بدوره الى الطائرة شارات لاسلكية لتصحيح مسارها .

ويمكن لهذه الطائرة الموجهة (ليس من الحتمي ان تكون مماثلة تماما للطائرة من حيث الحجم والشكل) بالاضافة الى قدرتها على مهاجمة الاهداف الثابتة ان تستخدم ضد اهداف متحركة . ويتمتع نوع « كوندور CONDOR الذي تستخدمه القوات البحرية الاميركية بهذه الميزة ولكن الدقة العالية في اجهزة التوجيه بالاضافة الى تجهيزه بمانعات التشويش جعلت سعره يتجاوز

مبلغ مائتي الف دولار . ولكن هناك نوع آخر قيد التجربــة يدعى « برايير PRAEIRE» اقل قدرة ولكنــه قادر علــى تنفيــذ مثل هــذه المهام وهــو ارخص ثمنا .

وهذه الامثلة كافية للدلالة على ان تعبير قذائف موجهة بدقة يغطي انواعا عديدة من القنابل الموجهة والصواريخ . وتدخل الطائرة الموجهة في هذا المجال اذا كانت معدة لضرب الاهداف وتدعى عادة : الطائرات الموجهة الانتحارية.

* * *

ب ـ الذخائر دقيقة التوجيه في العشرين سنة المقبلة

لننتقل الآن من ماهية الذخائر دقيقة التوجيه الى بعض مزايا امتلاكها. سأسلك سبيل التعميم اولا قبل ان أصل الى المستقبل القريب ثم الى بعض الخصائص المتعلقة بحلف شمالي الاطلسي .

خلال مناقشتنا للذخائر دقيقة التوجيه في اطار العمليات التي ستقع في التسعينات من هذا القرن لن نأخذ بعين الاعتبار القيود التقليدية البروقراطية التي تقيدنا حاليا .

وان المظاهر الاساسية للذخائر دقيقة التوجيه المستقبلية هي : ان دقة الاصابة لن ترتبط بالمدى اي ان الاصابة ستكون حتمية على أية مسافةتصلها القذيفة . والاصابة تعني التدمير بالنسبة للعديد من الاهداف . ومن جهة اخرى سيصبح بالامكان انتاج هذه الذخائر بكميات كبيرة وباسعار تتراوح بين الف وعشرة آلاف دولار تبعا للنوع والحجم والقدرة وأكثر من ذلك سوف يكون بامكان الجندي المتوسط التأهيل استخدامها بفعالية .

ومن هذه النقاط الاساسية ينبع منطقيا اقتراحات عدة . سوفاستعرض سبعا منها بشكل مبسط ، قبل ان نناقش بعض النواحي الاكثر تعقيدا ، وذلك بمقدار ماتكون الفكرة البسيطة قابلة للتطبيق في الحياة العملية .

ـ الاقتراح الاول :

سوف يكون من الخطأ تركيز قدرات عسكرية كبيرة في مكان واحد او على عربة واحدة ، خاصة بعد ان اصبح بالامكان تدميرها بقذيفة واحدة . مثلا سوف يتجنب المقاتل وضع قسم كبير من قدراته على متن طائرة واحدة او سفينة او حاملة طائرات في المتوسط مثلا بل من الافضل له ان يملك عددا اكبر

من العربات المدرعة الخفيفة القليلة الثمن بدلا من عدد قليل من الدبابات المتطورة الباهظة الثمن .

واذا توفر للمهاجم عدد محدود من الذخائر دقيقة التوجيه القادرة على تدمير هدف لكل منها فمن الافضل ان نجبره على توزيع ضرباته علـى أهداف متعددة رخيصة الثمن .

ـ الاقتراح الثاني :

في عصر الذخائر دقيقة التوجيه فان مجرد رؤية الهدف تعني تدميره ؛ لذلك فان حشد الآليات والرجال المعرضين للكشف بسرعة عملية يجب تجنبها ويصبح من الافضل التوزع والاختفاء وسوف تكون الوحدات الصغرى المتمتعة بقدرة حركية عاليـة هي المثلى ، ولاشـك ان هذا الاقتراح ملازم للاقتراح الاول .

ومع ذلك علينا ان ندرس حجم التحشدات التي يمكن حمايتها بالدفاع الايجابي . ونحن نعرف ان التكتيك الهجومي التقليدي يسعى لخلق تفوق كاسح في قطاع ضيق وذلك بحشد القوات تجاهه ، وان تنظيم الدفاع عن مثل هذا الحشد عامل هام من عوامل تقويم نسبة القوى بين الهجوم والدفاع . ولم يؤدي وجود الاسلحة النووية التكتيكية عمليا الى اتخاذ اية اجراءات بهذا الصدد ربما كان ذلك بسبب وجود شك بحتميه استخدامها . في حين لاشـك مطلقا بان الذخائر دقيقة التوجيه سوف تستخدم فور نشوب القتال ولا يمكن بعد الآن لاي مخطط عسكري ان يتجاهل وجودها وقدراتها مالم يتخذ التدابير الوقائية اللازمة .

ـ الاقتراح الثالث :

يمكن للوحدات الصغرى ان تكون قوية جدا عسكريا اذا مازودت بذخائر دقيقة التوجيه او على الاقل بعناصر مختصة قادرة ومكلفة بطلب اطلاق هـذه الذخائر وتوجيهها نحو اهدافها كما بامكانهم توجيه الصواريخ المضادة للطائرات ايضا . في القتال البري فان الحجم الطبيعي لعدد من هذه المجموعات المتحركة هو ثلاثة الى اربعة اشخاص يتحركون سيرا على الاقدام او على عربة رخيصة

الثمن بدلا من امتطاء دبابات باهظة التكاليف . وقد تعرض لهذا الموضوع خلال العامين الماضيين السيد « ت. ف. بورك T.F.BURKE » وبشكل مفصل في محاضرات له في كلية القيادة والاركان الاميركية وسواها .

ولو بحثنا في الموقف الاوروبي وافترضنا ان قوات حلف شمالي الاطلسي كانت البادئة بتبني تنظيما يعتمد على وحدات صغيرة متحركة مستقلة واسعة الانتشار وسريعة الاختفاء . وتوزعت على النسق الدفاعي الاول ، فان ذلك سوف يقلل من تعرضها سواء للذخائر دقيقة التوجيه او للضربة النووية ؛ وسوف يكون لهذا القرار لو اتخذ معنى طالما ان قدرات القوات الحالية على مجابهة خرق تقوم به قوات حلف وارسو أمر مشكوك فيه . لاشك ان هذه الوحدات الصغيرة بحاجة لحماية نفسها من هجوم كثيف تقليدي تنفذه المشاة، لكن مع توفر القدرة الحركية وامكانية طلب الدعم الناري من الذخائر دقيقة التوجيه خاصة تلك المخصصة للقصف المساحي فانها ستكون قادرة على الصمود . ويبدو من هذا الكلام ان هناك اسباب منطقية تدفع الطرفين الى الاتجاه نحو نوع من الوحدات الصغرى (وحيدة التشكيل) للعمل على الحد الامامي ، مما يولد انطباعا بأن راس السهم في المعركة سيكون ضعيفا ومع الزمن يصبح عدد الاهداف الواجب قصفها ضئيلا اذ ان هذه الوحدات الصغرى كل بمفردها لا أهمية لها . (اما موضوع الضغط الذي يمارسه المهاجم للخرق والتوغل عميقا حتى مؤخرات الدفاع ، فستجري مناقشته في مكان لاحق) .

ـ الاقتراح الرابع :

بما ان هذه الوحدات الصغرى سوف تعمل مبدئيا على كشف الاهداف وتوجيه الضربات النارية فانها لن تحتاج الى حمل كافة انواع الذخائر الى الحد الامامي اذ ان بعضها يمكن اطلاقه من قواعد أرضية او من الجو من مسافة عشرات الكيلومترات وراء الحد الامامي . اكثر من ذلك لم تعد هناك حاجة لوزن كبير من الذخائر لتحقيق الغرض نظرا للمزايا التي تتمتع بها الذخائر الجديدة .

ورغم ذلك فان القيمة المادية للذخائر المستخدمة يوميا ستكون كبيرة جدا وسوف نناقش ذلك فيما بعد . وعلينا ان ناخذ بعين الاعتبار التبدلات في

الحاجة العامة ونسبة الاستهلاك قبل ان نتفهم بوضوح مضمون ومعنى حجم وحدات الدعم وشدة تعرض خطوط الامداد .

ـ الاقتراح الخامس :

نظرا لما تتمتع به الدخائر دقيقة التوجيه من دقة الاصابة فان الاضرار الجانبيه بين السكان والمرافق الاقتصادية ستكون أقل بكثير . وفيما يتعلق بحلف شمالي الاطلسي فان لهده الناحيه نتائج هامة على موقف المانيا الغربيه تجاه الاستعدادات لخوض حرب برية على أراضيها . ومما لاشك فيه أنها سوف تكون اقل ايجابية لو أدخلت القنابل النووية المصغرة ذات القدرة الادنى من كيلو طن في اطار الذخائر دقيقة التوجيه .

ـ الاقتراح السادس :

سيطرا على وسائل الدفاع الجوي تطور هام من حيث القدرة التدميرية فالصاروخ السوفياتي سام ٧ الذي أثبت جدارته أثناء العمليات الفعلية هو خطوة اولى نحو أسلحة أقوى وأدق ، خاصه وأن هذا الصاروخ قد أصبح متخلفا من حيث الشحنة المتفجرة او المدى او السرعة حتى بالنسبة للطائرات الحديثة الحالية . ولا شك ان السوفيات قد استفادوا من دروس حرب تشرين عام ١٩٧٣ ومن الطبيعي أنهم ساعون لتلافي النواقص التي لاحظوها في صواريخهم . على كل حال سنجد ان المناطق التي تعمل بها القوات البرية ستكون مغطاة بالاجيال الجديدة للاسلحة المضادة المطورة عن المدفع الرباعي زسو ٢٣ ـ ٤ والصاروخ المتحرك سام ٦ والصاروخ سام ٧ . ولا شك ان أخفها سيكون من ضمن أسلحة الوحدات الصغيرة المتحركة الذي ذكرناها اعلاه .

اما أثقلها فسوف يرافق القوات على مقربة من وسائط الدفاع المضاد للدبابات . اما المحصلة النهائية فسنواجه تحولا في وسائط الدفاع الجوي من المبارزات الجوية بين الطائرات وقصف القواعد الجوية الى الاعتماد على وسائط الدفاع الجوي المتمركزة أرضا .

ومما يساعد هذا النوع من الدفاع هو وضوح الهدف عادة سواء من حيث رؤية الطائرات في الجو او من حيث سهولة انتقال الاشارات اللاسلكية وهذا

ميسهل على الذخائر دقيقة التوجيه عملها . وهناك ناحية اخرى تستحق الاهتمام هي ان تمن الطائرة المقاتلة المتعددة المهام يبلغ عشرة ملايين دولار في حين لايتجاوز السلاح القادر على اسقاطها العشرة آلاف دولار . قد لاتزيد سببه الاصابة عن خمسة بالمئة في منطقة محددة ولكن التحليق فوق عدة مناطق مدافع عنها يكلف تمنا باهظا .

ـ الاقتراح السابع :

اخيرا قد تؤدي مزاياهذه الاسلحةالجديدة الى اعادة نظر جذرية في أدوار ومهام مختلف انواع القوات الاخرى . فلم يعد مهما الآن معرفة ماهو نوع الآليه التي سوف تنقل الذخائر الى المرابض ، اذ ان فعالية هذه الاسلحةمرتبطة بشحنتها المتفجرة وأسلوب توجيهها . وذلك يقتضي منطقيا ان تنظم القوات بالشكل المناسب للهدف المكلفة بمهاجمته .

ففي حالة حلف شمالي الاطلسي مثلا نرى ان التعامل مع سفينة معادية موجودة في البحر الابيض المتوسط هو من مهام القوى البحرية ، أما لو دخلت الذخائر الدقيقة التوجيه ميدان القتال فمن غير الممكن تحديد كيفية التعاملمع الهدف مسبقا فهل يكون بضربة بصاروخ بحر بحر ام جو بحر أم بر-بحر او مزيج من هذه كلها . من الواضح تنظيميا ان وحدة ضاربة غير مرتبطة بأي من صنوف الاسلحة هي الافضل لتنفيذ المهمة . وعلى المدى الطويل سوف تحدد الدراسة أي تنظيم أفضل لوحدات الصدمة وما هي الاسلحة التي سوف تزود بها . كما ان مهاجمة القواعد الجوية قد تنفذ بواسطة الذخائر الدقيقة التوجيه سواء انطلقت من الارض او البحر او من الطائرات ، وربما كان من المناسب أن تخصص ميزانية موحدة للدفاع الجوي وللطائرات المقاتلة وللقواعد الصاروخية المحمولة على السفن .

ـ بعض التعقيدات :

لاشك ان تبني الذخائر الدقيقة التوجيه سوف يؤدي الى تعقيدات عدة، وان استخدامها سوف يؤدي الى انعكاسات اكبر بكثير مما بدا لنا عبر المقترحات السبعة الواردة أعلاه .

وكبداية نقول ان تكنولوجيا التوجيه الدقيق المطورة حاليا تحتاج الى بث موجات عبر الاثير بشكل مساحي طالما ان التوجيه المبسط للرادار ليس دقيقا بما فيه الكفاية . كما ان العديد من الوسائط الحالية لاتعمل ليلا ولا عبر الدخان او الغيوم او العواصف الغبارية . اما الانظمة التي تستخدم اشعة دون الحمراء أو الموجات الطويلة التي قد تستخدم خلال الثمانينات فسوف تكون فعالة ليلا ولكنها متوسطة الفعالية في الدخان والغبار والعواصف ، ومع ذلك فهي باهظة الثمن وعلى الارجح صعبة الصيانة في الميدان . على كل حال فان العديد من الدخائر دقيقة التوجيه يفضل استخدامها نهارا وذلك لسنوات عدة .

ان المشكلة الثانية هي مسألة القيادة والسيطرة . في الحروب السابقة كان القادة الموجودون على مسافة عشرات الاميال وراء خط الجبهة يركزون اهتماماتهم على كامل فرق العدو او في المرحلة الاخيرة على الكتائب . اما بعد دخول الذخائر دقيقة التوجيه الى الخدمة فان كل فرقة تشكل خمسمائةهدف مستقل ومتحرك . وبالتالي هناك اغراء شديد لمواجهة هذا الموقف عبر غرفة عمليات مركزية بواسطة أجهزة الكترونية تجمع المعلومات وتحللها . وخلال السنوات الاخيرة كان هناك اتجاه نحو ايجاد انساق أعلى من القادة لحسن استخدام اقنية الاتصالات المتعددة يساعدهم ضباط اشارة أكفاء . وقد دعا بعض الضباط الكبار الامريكيين الى « ميدان معركة آلي » وحاليا ينادي بعض الكتاب العسكريون السوفيات بما يسمونه « ساحة العمليات السيبرنيتكية ». وان رأيي الخاص هو ان التعامل مع الاسلحة الدقيقة يتطلب عكس هذه الاتجاهات . ففي الوقت الذي يجب فيه الاعتماد جديا على جمع المعلومات الكترونيا خاصة في مجال تخصيص الاسلحة الواجب تكليفها بالمهمة فاني اعتقد أن الحل يكمن في منح سلطة استخدام الاسلحة المتوفرة للقادة الصغار رغم ان الضباط المكلفين بالاشراف على الاسلحة هذه يكونون عادة على مسافة كيلو مترات من الهدف .

ـ ان العقبة الثالثة هي انه بعد ان نكون قد اعتمدنا تشكيل وحدات صغرى سهلة الاخفاء قوية التسلح ذات مرونة حركية كبيرة فاننا ندفع العدو الى تركيز

اهتماماته على قصف المستودعات الباهظة الكلفة الموجودة في المؤخرات . وان مدى عمق القصف يتوقف على مدى السلاح وتوفر امكانية جمع المعلومات عن الهدف . وقد يكون من المفيد التحول فعلا الى هذا النوع من المهام .

وفي المفهوم الاوروبي قد ينعكس هذا التحول سلبيا علـى قوات حلف شمالي الاطلسي لمده بضع سنوات ذلك لان هذا الحلف (وخاصة الاميركيون) قد تبنوا اسلوب الاعتماد على مستودعات ضخمه لتموين القطعات اكثر مـن اعتماد حلف وارسو عليها . ونظرا لان الصواريخ قد اصبحت افضـل واكثر قدرة عمليا فان من الواجب اتخاذ الاجراءات الكفيلة بالاقلال من شدة تعرض القواعد الخلفية حتى تلك الموجودة على عمق مئات الكيلومترات التي سادت القناعة بانها آمنه من اي خطر عدا هجوم جوي جريء . وان أي اجراء يؤمن لقوات حلف شمالي الاطلسي وقايه ضد الذخائر دقيقة التوجيه ، فانه يؤمنها ايضا ضد اخطار القصف النووي مما يجعل اللجوء الى هـذا الاخير ضعيف الاحتمال او على الاقل اقل اغراء .

ان الانعكاس الآخر الناجم عن الاتجاه الجديد نحو قصف الاهداف في العمق هو ظهور مواقف جديدة ضد الافكار المتحجرة . مثلا كان الاهتمام شـديدا بمسألة حماية الاهداف الموجودة في مؤخرات قوات حلف شمالي الاطلسي ولكن حاليا يجب اعطاء افضليات للاهداف والسعي لوقاية كل تجمع للقوات او هدف ثمين الموجود ضمن مدى الصواريخ المتوفرة لدى العدو .

قد يزيد الموقف تعقيدا عند السعي لاتخاذ الاجـراءات المضادة لهـذه الذخائر الدقيقة التوجيه ولا بد من اعطاء هذه الناحية الافضلية الاولى مـن اهتمامنا . لاشك ان الاختفاء والتمويه يحد من اخطار هذه الذخائر الحاليـة مما قد يدفع المهاجم الى اللجوء لرمايات السد الناري او القصف المساحي . لذلك علينا ان نفكر بعمق قبل اتخاذ قرار بتحويل المدن الى نقاط حصينة . ثم ان سدنة الاسلحة الجديدة هي ايضا عرضة للاخطار وسوف يكونون هدفا لاي قصف او هجوم ناري مضاد . ويبدو ان الاسلحة الجديدة اتجهت نحـو زيادة قدرة الحشوة التدميرية التي قد تكون صغيرة من حيث الحجم .

لنعد من جديد الى الاقتراح الاول ، نجد أن هناك مسائل عدة قد تثار حول موضوع الخيار بين عدد كبير من العربات الرخيصة الثمن وبين عدد أقل من العربات المتطورة الباهظة الثمن . ويتساءل البعض هل تتمتع العربات الرخيصة بالمزايا المطلوبة من حيث السرعة ونصف قطر العمل والحمولة ؟ وهل العدد اللازم من الافراد يجعل هذه الكثرة مرفوضة ؟ وهل بامكان عدد قليل تنفيذ مهام التدابير المضادة وبفعالية ؟

وقد يثير اقتراحنا الثاني حول تجنب حشد القوات بعض المشاكل ايضا. اذ ان القوات المبعثرة عاجزة عن تنفيذ عمليات قتالية فعالة . ثم الا يمكن للمهاجم الذي حقق تفوقا كبيرا في قطاع ضيق ان ينفذ مهامه بتركيز نيران اسلحته الدقيقة التوجيه دون ان يحشد قوات فعلية ؟ .

الواقع أنه قبل ان تتحول اقتراحاتي السبعة من مجال المحاولة الى مجال المبادىء العسكرية لابد من اجراء بعض الحسابات المتعلقة بنسبة القوى ولكن ليس بالاسلوب المتبع حتى الآن . فما دمنا قادرين على تدمير دبابة قيمتها نصف مليون دولار بصاروخ مضاد تاو مثلا ثمنه ثلاثة آلاف دولار،علينا ان نحصي كم يلزمنا من الاسلحة المضادة للدبابات على امتداد الجبهة . ثم لابد من اجراء مقارنة بين الصاروخ تاو مع وسيلة اخرى دقيقة التوجيه قد تكون أعلى ثمنا ولكن فعاليتها اكبر بكثير مثلا الطائرة الموجهة التي يبلغ مداها خمسون كيلو متر ! .

وربما كان من المناسب ان نستعيد كلام الجنرال « جيوليو دوهيت GIULIO DUHET ي دعى الى تدمير القاذفات المعادية في الصدر لا على الجناح : كم من المدافع خلال الحرب العالمية الاولى بقيت منتظرة شهرا بعد شهر وحتى سنوات فاتحة أفواهها الى السماء متوقعة هجوما لم يحدث مطلقا. على كل حال عندما نتحدث عن الاسلحة المضادة للدبابات او المضادة للطائرات فان من الواجب عند تحليل الموقف ان نأخذ بعين الاعتبار مدى تأثير الانواع الجديدة من الاسلحة على النوايا والخطط وكذلك على التنسيق المشترك بين مختلف صنوف الاسلحة .

ان هذه الافكار تقودنا طبعا الى مسائل اكثر اهمية حول استراتيجية السوفييت تجاه الغرب وحول قدرات حلف شمالي الاطلسي في الدفاع وردع العدوان .

هل الاشكال الحالية للقوات المسلحة السوفياتية تلائم الهجوم على حلف شمالي الاطلسي ؟ وهل يؤدي التقويم العسكري السوفياتي للموقف الى التحول نحو دبابات أخف وزنا قبل الشعور بالاستعداد الكافي لشن الهجوم ؟ هذه اسئلة هامة جدا او من بين اهم التساؤلات الواجب التفكير بها خلال دراسة العوامل والمؤثرات القريبة المدى وتلك المتعلقة بحلف شمالي الاطلسي وسوف نتعرض لها في الفقرتين التاليتين .

* * *

ج ـ المتطلبات والانعكاسات حتى عام ١٩٨٠

يبدو من المفيد ان نناقش العمليات الحربية خلال التسعينات من هذا القرن اولا بغية اعطاء خط توجيه عام لبحثنا . ولكن تبدلات هامة قد حدثت فعلا وسوف نناقش هنا بعضا من هذه التبدلات التي ستجد لها انعكاسا على الموقف العسكري خلال السنوات الخمس القادمة ، والتي بدات تؤثر حاليا على موقف القوات وعلى القرارات المتخذة .

وفيما يلي بعض التطورات التي أدخلت على الاسلحة والتي ادت الى نتائج هامة على الاعتبارات القائمة :

١ ـ الاسلحة التي رغم صغرها تتمتع بقدرة تدميرية مضادة للدبابات جيدة مثل الصاروخ الروسي ر ب ج ٧ ذلك الصاروخ الصغير غير الموجه الذي حقق به المصريون نتائج جيدة في حرب تشرين عام ١٩٧٣ .

٢ ـ الاسلحة المضادة للطائرات التي يمكن للفرد او بضعة افراد استخدامها فورا بعد كل توقف وهي رخيصة الثمن ومتوفرة باعداد كبيرة . وهذه تشمل عدة انواع من الصواريخ المحمولة كالصاروخ السوفياتي سام ٧ وقد سمحت هذه الصواريخ بالتعاون مع المدافع المضادة للطائرات زسو ـ ٢٣ ـ ٤ للقوات المصرية بالتقدم دون حاجة لتغطية من قبل الطائرات الصديقة .

٣ ـ الحوامات . لقد اظهرت حرب فيتنام مقدرة وكفاءة الحوامات عندما سمح الموقف للدفاع المعادي بذلك فقد امكن نقل قوات الى اماكن صعبة البلوغ دون ان تبقى معزولة كما امكن نقل معدات الى مسافة عشرات الاميال بغض النظر عن طبيعة الارض . والنقطة التي تهمنا هنا هي ان

خفة الاسلحة الحديثة الدقيقة التوجيه وامكانية حمل عدد منها في حوامة واحدة يزيد من القدرة على الاستفادة من الحوامات .

٤ ـ الاسلحة الدقيقة التي يمكن استخدامها ضد اهداف السطح وهي متوفرة بكميات كبيرة وقد زود الاتحاد السوفياتي حلفاءه الغرب بمئات من الصواريخ ساغر كما ان الولايات المتحدة الاميركية قد وضعت ميزانية لانتاج ثلاثين الف صاروخ تاو وستة آلاف صاروخ مامزيك خلال عام ١٩٧٥ فقط .

واهم الانعكاسات الناجمة عن توفر هذه الاساحة هي ـ بغض النظر عن الحرب النووية ـ ان ميزان القوى العسكري بين قوات كبيرة الحجم قد خضع خلال السبعينات لنوع جديد من حروب الاعداد والارقام . مثلا كانت المدمرة التي يبلغ ثمنها مائة مليون دولار والدبابات البالغ ثمن الواحدة منها خمسمائة الف دولار والمقاتلة التي تكلف عشرة ملايين دولار ستواجه اسلحة كثيرة العدد باثمان رخيصة جدا . ومعظم هذه الاسلحة خفيفة لدرجة يمكن نقلها بسهولة وكذلك استخدامها بصورة فورية دونما حاجة لتحضير مسبق. وسوف نشاهد تنافسا بين الكميات المخصصة للميدان منها وبين تصميمها الذي يسمح للافراد المتوسطي المستوى استخدامها .

على اية حال هناك مساعي حاليا لاتخاذ التدابير اللازمة للتصدي لهذا الفيض من الاسلحة وقد اعطيت لهذه المساعي الافضلية الاولى من الاهتمامات. فقد بدأ بانتاج دروع خاصة تقاوم الذخائر ذات الحشوة الجوفاء وبالتالي سوف يحتاج السلاح المضاد للدبابات الى شحنة متفجرة اقوى والقل لخرق الدبابات الحديثة مما سوف يؤدي الى الاقلال من قدرته الحركية . وقد طورت الولايات المتحدة الاميركية فعلا طائرة دعيت « ٢ . ١ A 01 » قادرة على تحمل القذائف المضادة للطائرات من نوع زسو ٢٣ ـ ٤ . وجاري حاليا وبسرعة تطوير مختلف الاعتدة وفي كافة المجالات بشكل يجعلها قادرة على التصدي للاسلحة الحديثة دقيقة التوجيه .

وفي الوقت الذي نجهل فيه من هو الجانب الذي سيتفوق عام ١٩٨٠

او ١٩٨٥ و ١٩٩٠ فانه يمكننا ملاحظة مضمون التدابير المعاكسة ومعاكس المعاكسة وكأنها لعبة جديدة .

وقبل ان نتعرض للموقف الخاص بحلف شمالي الاطلسي دعونا نحاول تبصر انعكاسات هذه الاسلحة الجديدة على مواقف الدول الصغيرة . منذ بضع سنوات خلت كان من المستحيل على الدول الصغرى ان تفكر باقامة شبكة من الرادارات واستخدام بطاريات من نوع وحجم الصواريخ « نايك NIKE للتصدي للقوى الجوية المعادية ، بالاضافة الى ان هذه البطاريات المكشوفة نادرا مايمكنها الصمود تجاه الخرق المدرع المعادي . اما الانواع الجديدة من الاسلحة فهي تتجه عمليا نحو تمكين الدول الصغرى من امتلاك قدرات دفاعية أكبر وامكانيات معقولة للتصدي للعدو الجوي والبري المدرع .

وقد تجد بعض الدول الصغرى نفسها — في اطار هذا الوضع الجديد مضطرة الى ارساء نوع جديد من العلاقات بينها وبين الدول العظمى . في حين ان الدول الاكثر غنى رغم صغرها تكون أكثر حرية بالتعامل والحصول على السلاح من حيث شاءت ، مما سيكون له تأثير على سوق السلاح العالمي . على كل حال ستجد معظم الدول ان من مصلحتها امتلاك اكثر فأكثر من الاسلحة الملائمة للدفاع ضد الدبابات وضد الطائرات وكميات أقل من الاعتدة الهجومية وهذا بدوره سوف يؤدي الى نوع من الاستقرار في معظم انحاء العالم .

— التأثير المباشر للاسلحة المضادة للدبابات على حلف شمالي الاطلسي:

كيف يمكن لحلف شمالي الاطلسي الاستفادة من هذه الاسلحة الحديثة خلال السبعينات ضد حوالي خمسة عشر الف دبابة التي يملكها حلف وارسو على الجبهة الوسطى ؟ .

لاشك ان الجانب السوفياتي يملك دفاعا شرسا مضادا للطائرات سبق التنويه به ، بالاضافة الى كميات كبيرة من ثلاثة انواع من الصواريخ المضادة للدبابات (سواتو ، سنابر ، ساغر) او ربما خلفاء هذه الانواع . ويبدو حتى الآن ان الاتحاد السوفياتي لايملك اي نوع من الصواريخ المضادة للدبابات التي تطلق من الجو .

ومن جهة اخرى نلاحظ تزايد انواع الصواريخ التي تطلق من قواعد ارضية لدى حلف شمالي الاطلسي ، ونعلم ان ستة عشر نوعا سيكون قيد الاستخدام العملياتي خلال السبعينات . ومعظمها موجهة سلكيا وتشمل الصاروخ « تاو » و « هوت » و « سوينغ فاير » بمدى اقصى بين ٣ ـ ٤ كيلومتر ونوعي « دراغون » و « ميلان » للمدى القصير . اما الصواريخ التي تطلق من الجو فمنها الصاروخ « روك آي » الموجه باشعة اللايزر (بقنابل عنقودية) والصاروخ « مامزيك » ثم النموذج الخاص بالاستخدام من الحوامات وهما الصاروخ « تاو » و « سوينغ فاير » .

وقد نوهت سابقا ان قيمة الصاروخ تاو تبلغ حوالي ثلاثة آلاف دولار في حين ان وحدة الصاروخ مامزيك تساوي اقل بقليل من عشرة آلاف دولار. ثم ان تدريب السدنة على استخدام الصاروخ تاو الاتوماتيكي يمكن ان يتم خلال فترة وجيزة وبالتالي لاتعترضنا اية مشكلة في اختيار السدنة .

وطالما ان معظم هذه الصواريخ او الاسلحة دقيقة التوجيه بصورة عامة هي خفيفة وصغيرة الحجم فمن المرجح ان يكون تعدادها بين ايدي القوات كبيرا جدا . كما انه من السهل تعديلها لتصبح صالحة للرمي من الطائرات العمودية مما يسمح بالاستفادة منها في عمليات الدعم والتعزيز وكذلك في المناورة السريعة .

ولا بد بعد توفر كافة هذه المزايا والقدرات القتالية الجديدة من اعادة النظر في افضليات الاستخدام في ساحة القتال . ان اهم عقبة تعترض كافة هذه الانواع هي امكانية اكتشاف وتحديد الاهداف . مع العلم انه ما ان يتم اكتشاف الهدف حتى يصبح بحكم المدمر اذا لم يتحرك بسرعة كبيرة ويختفي عن الانظار . لذلك اتوقع ان نعيش حرب من نوع « لعبة الغماية » على مسافة بين ٢ ـ ٣ كيلومتر او حتى ٤ كيلو مترات ، واذا كان مجرد رؤية الهدف على مسافة ثلاث كيلو مترات تعني تدميره فان من المنطقي ان يتزايد استخدام الدخان والتمويه والتحرك من خلف المساتر بالاضافة الى توقع زيادة كبيرة في استخدام وسائل الرؤية الليلية والمهارة في الاستفادة منها .

ومن هذا كله يتضح ان الجانب الرابح هو الذي يستطيع كشف اهدافه من مسافة ابعد .

ثانيا : اتوقع ان يعطي كل من حلف وارسو وحلف شمالي الاطلسي الافضلية الاولى لمهام تدمير وحدات الدفاع الجوي والاسلحة الدقيقة التوجيه وذلك اما بمهاجمة السدنة او العتاد نفسه ، مستخدما نيران المدفعية بعيدة المدى او بواسطة الاسلحة المناسبة المنقولة جوا او بمحاولة الرمي المباشر على قواعد الاطلاق .

وهذا يقودنا الى تعداد بعض مثالب الجيل الحاضر من الاسلحة الدقيقة التوجيه المضادة للدبابات سواء لدى حلف وارسو او حلف شمالي الاطلسي.

١ ـ ان معظم هذه الاسلحة رغم تصميمها للعمل ليلا وفي الظروف الجوية السيئة وعبر الدخان والغبار فانها تحتاج عمليا الى رؤية جيدة ووضوح اجهزة التسديد .

٢ ـ ان القواعد والسدنة شديدو التعرض عادة لنيران المدفعية .

٣ ـ ان معدل الرمي في معظم انواع هذه الاسلحة الدقيقة التوجيه أدنى من عدد الاهداف المحتمل ظهورها في قطاعاتها وخاصة في المنطقة الوسطى من أوروبا . ثم ان الفترة التي يستغرقها الصاروخ للوصول الى هدفه تسمح لهذا الهدف بالاختفاء طبعا في حال مشاهدته للصاروخ المنطلق.

٤ ـ ان انواعا عديدة من الاسلحة دقيقة التوجيه تستخدم شحنات متفجرة صغيرة نسبيا ذات حشوة جوفاء ، وبالتالي بالامكان اصلاح الاعطال الناجمة عن الاصابة بالإضافة الى توفر حاليا دروع خاصة لتحملها . (ويعتبر الصاروخ مامزيك فريدا من هذه الناحية) فقد علق احد القادة الاسرائيليين على نتائج استخدامه في حرب تشرين عام ١٩٧٣ بقوله : انه يدمر الدبابات الروسية بشكل لايسمح لنا بالاستفادة منها بعد ذلك .

ويستطيع المدافع ان يجد حلولا لمعظم هذه المشاكل مثلا :

١ ـ ان الاعتدة العاملة بواسطة الاشعة دون الحمراء ذات الموجات الطويلة

صالحة للاستخدام خلال الليل المضيء وبشكل معقول عبر الدخان والغبار وبالإمكان الاستفادة من دوريات الحوامات الاستطلاعية واجهزة التصنت اللاسلكي لاكتشاف وتحديد الاهداف .

٢ - يمكن توفير حماية معقولة وبسيطة للسدنة مثل استخدام صاروخ مضاد للدبابات من وراء ستر مدرع ولن يكلف ذلك كثيرا .

٣ - يحتاج المدافع في الوقت الحاضر الى مزيج من المدافع سريعة الطلقات وصواريخ ذات حشوة جوفاء .

نستنتج من هذا كله ان الاسلحة دقيقة التوجيه المتوفرة لدى قوات حلف شمالي الاطلسي في الثمانينات تملك قدرات وفعاليات جيدة رغم بعض المثالب التي يمكن التغلب عليها بتكاليف معقولة .

لنفترض الآن ان معظم التعديلات اللازمة وتدابير الوقاية الضرورية قد امكن تحقيقها واصبح بامكان هذه الاسلحة الحديثة العمل بكامل طاقتها ، ولننتقل الى مثال حسابي . لنأخذ فرقة من قوات حلف شمالي الاطلسي تواجه خرقا مدرعا تشنه قوات حلف وارسو بحوالي الف دبابة وعدد آخر من العربات المدرعة . أي على فرقة حلف شمالي الاطلسي ايقاف ثمانمائة دبابة من اصل الف دبابة معادية وهي تملك في اليومين الاولين من المعركة : ٢٥٠ سلاح مضاد للدبابات دقيق التوجيه من انواع تاو وهوت ودراغون الخ متمركزة ارضا . ثم خمسين سلاح مماثل محملة على حوامات قادرة على تنفيذ مائتي طلعة بالاضافة الى خمسين طائرة مقاتلة قادرة على تنفيذ مائة وخمسون طلعة مضادة للدروع بمعدل ستة صواريخ مامزيك في كل طلعة . ثم ان الدبابات والمدفعية وحقول الالغام تعادل قوة مائة دبابة معادية . وان الاسلحة العادية ايضا بامكانها ايقاف تقدم مائة دبابة أخرى .

ثم لنفترض ان طلعات الطائرات القاتلة والحوامات الثلاثمائة وخمسون اخرجت من المعركة حوالي اربعمائة دبابة بالاضافة الى عدد كبير من العربات المدرعة . بعد كل هذا نجد ان على الاسلحة دقيقة التوجيه البالغة مائتان وخمسون ان توقف تقدم ثلاثمائة دبابة اي بمعدل ١٫٢ دبابة لكل قاذف ،

ونظرا لان هذه القواذف نفسها ستكون معرضة لرمايات مكثفة لابد ان يتم تدمير كافة هذه الدبابات المذكورة أعلاه في الوقت الذي مازال الدفاع فيه متينا .

ليس في نيتنا الدخول في التفاصيل ومناقشة القدرة العملية لامكانية كل سلاح مضاد تدمير ٢ر١ دبابه او النتائج الفعلية التي تحققها كل طلقة حوامة او طائرة مقاتلة ومع ذلك اذا كانت مثل هذه الإمكانيات المقدرة اعلاه ممكنة فان هناك أملا قد فتح امام حلف شمالي الاطلسي وعلينا ان ننظر الى قدراته الدفاعية بشكل مختلف عن السابق .

* * *

د ـ الذخائر الدقيقة التوجيه ام حرب نووية او كيماوية

ان أهم انجاز حققته القوات المسلحة الاميركية غير النووية هو انها حافظت على المصالح القومية دونما المجازفة بتصعيد الحرب . فمنذ أمد بعيد لم نلاحظ أي دليل على اتجاه اميركي او بريطاني لخوض حرب نووية بتخطيط مسبق حتى ولو بعدد قليل من القنابل النووية التكتيكية . وهناك دلائل مشابهة تفيد بان لا الاتحاد السوفياتي ولا فرنسة راغبتان بخلق أوضاع قد تؤدي الى صدام نووي .

ولكن على الانسان ان يتوقع حدوث ذلك او نشوء أوضاع قد تؤدي الى هذه الحرب نتيجة تأزم موقف أحد الاطراف أثناء وقوع صدام عسكري بينهما . وقد يزداد خطر تسلل الاحداث في حالة عدم وضوح نوايا الاطراف او عندما يسعى طرف الى خدعة تنطلي فعلا على الطرف الآخر او عند وجود رؤساء لايتمتعون بالكفاءة وبعد النظر اللازمين . وقد لمح الوزير الاميركي « شليزنغر SCHLESINGER الى احتمال نشوب حرب نووية شاملة في حال تأزم الموقف في اوروبا . ولا شك ان الخطر سيتضاعف لو تم فعلا استخدام الاسلحة النووية التكتيكية آنذاك .

ماذا نستطيع ان نقوله عن آثار الاسلحة دقيقة التوجيه حول احتمال نشوب حرب نووية مع الاخذ بعين الاعتبار العوامل التي ذكرناها ؟ . هذا موضوع يستحق معالجة خاصة ومعمقة ولكن ليس بامكاننا هنا سوى اثارة بعض النقاط .

١ ـ لقد اصبحت الذخائر دقيقة التوجيه فعالة جدا وبالتالي سوف تلعب دورا كبيرا في ايقاف أي خرق مدرع دونما حاجة الى اللجوء للاسلحة النووية التكتيكية . كما ان قدرات هذه الذخائر بالاضافة الى الطائرات

الموجهة في مهاجمة اهداف موجودة في مؤخرات الحصم سوف تتعاظم خلال الثمانينــات وبالتالي بامكانهــا الحلــول محل الضربات النوويــة المتوسطة المدى .

٢ ـ من جهة اخرى فان قنبلة نوويه واحدة من عيار كيلو طن واحد قادرة على عطب مائة عربة منتشره على مساحة عده كيلو مترات مربعة . ولكي نحصل على مثل هذه النتيجة بواسطة الذخائر الدقيقة التوجيه نحتاج الى مائة قلذف غير نووي . ولا شك ان الاسلحة غير النووية القادرةعلي القصف المساحي يمكن توفرها ولكن تطورها التكنولوجــي غــير كاف حتى الآن بالاضافة الى كونها ثقيلة الوزن وكبيرة الحجم . يقال دوما ان الاسلحه النوويه التكتيكيه معدة اولا للقصف المساحي تم للتعويض عن ضعف دقة الاصابه بالاسلحه التقليديه وهنا يمكن للذخائر دقيقةالتوجيه لعب دور كبير خاصة وان بعض الاسلحة الجديدة قادرة على اصابةاهداف متحركه . تم لتوزيع الأهداف على هده او تلك من الاسلحة ــ النوويةاو الموجهة ــ لابد من اجراء مقارنة بين فعالية كل نوع تبعا لانواعالاهداف: عدة أهداف منتشرة ، عربات ، دبابات ، مقرات سيطرة ، أهداف غير معروف موقعها بدقة ، الخ .

٣ ـ اعتقد بعض المفكرين الاوربيين ان التطور التكنولوجي الذي أدخل الــى أجهزة التوجيه غايته السماح باستخدام أفضل للقنابل النوويه منوزن دون الكيلو طن . لاشك ان هذه الاسلحة كانت معدة فعلا لهذه المهمة جزئيا ذلك لان الاعتقاد السائد آنذاك كان بأن الاستراتيجية النوويــة الاميركية قد انفصلت عن الأحداث الاوروبية وانه فور نشوب الصراع سوف تستخدمها اميركا للتصدي لاي عدوان بصورة فورية مــع الحد الى ابعد مايمكن من اخطار الاضرار الجانبية . ولكن هذه الفكرة جوبهت بانتقادات مريرة وبدأ النقاد يتساءلون عــن الامكانيات الفعلية لهــذه القنابل النووية الصغيرة وما هي قادرة على تحقيقه وظهر شبه اجماع بأن استخدامها سوف يشعل فتيل الحرب النووية الشاملة . على اية حال لو توفرت فعلا إمكانية استخدام القنابل النووية المصغرة والاسلحة

ذات التوجيه الدقيق عند ذلك لن تكون مشكلة حلف شمالي الاطلسي حول من ينفذ المهام العسكرية بل من يعطي الامر باستخدامها .

٤ ـ ان الاستراتيجية الهادفة الى جعل الحرب محدودة او محاولة عدم تصعيدها تستفيد من دقة التنفيذ وخوض عمليات محسوبة وفق رؤيه شاملة واضحة . أما معيار الخسائر التي نكبدها للعدو يجب ان تكون بحدها الاقصى للاهداف العسكرية وبحدها الادنى للاهداف الاخرى . وهنا نجد ان الاسلحة الدقيقة التوجيه هي الافضل وتخدم فعلا هذا النوع من الاستراتيجية . خاصة وان نتائج استخدام اصغر حجم من القنابل النووية غير معروفة وغالبا ماتكون غير مفيدة لخوض حرب محدودة .

٥ ـ سنناقش فيما بعد قدرات الاسلحة الحديثة على زيادة نسبة التدمير في حرب غير نووية ، وكذلك نسبة استهلاك الذخائر وبالتالي التكاليف . يمكن ان تؤدي الكثافة بالاستخدام الى مفاجآت أو تؤدي الى موقف يغري باستخدام السلاح النووي كما أنها من جهة أخرى قد تعجل بالمباشرة بالمفاوضات .

يرى بعض الكتاب الاستراتيجيين السوفيات ان الحرب غير النووية ليست سوى مرحلة تسبق الحرب النووية . لنفترض الآن ان قوات حلف شمالي الاطلسي تمكنت فعلا بواسطة الاسلحة الدقيقة التوجيه ايقاف هجوم مدرع تشنه قوات حلف وارسو . كيف يتصرف الاتحاد السوفياتي وما هي المعايير التي سوف يعتمدها لحساب نتائج خوض حرب نووية ؟

امامنا ناحيتان واضحتان : أولا ان العمل بمجموعات صغيره مستقلة هو اسلوب مناسب لاستخدام الاسلحة الدقيقة التوجيه وذلك لتجنب الضربة النووية .

ثانيا : ان الدفاع السلبي ونشر أهداف المؤخرة مفيد في كافة الاحوال، واذا مانفذنا فعلا ذلك أي نشرنا قواتنا بمجموعات صغيرة على مساحات كبيرة

واخفينا أهدافنا الخلفية فان ذلك سيقلل من الفوائد التي يجنيها الاتحـاد السوفياتي من استخدام القنابل النووية .

ولكن الناحية الهامة هنا ان التطور التكنولوجي الحديث قد حصل في نفس الفترة التي تحولت فيها الاستراتيجية الغربيـة نحو التهديـد بحرب محدودة ـ سواء محلية او عالية ـ كسلاح ردع أفضل مـن التهديد بالرد العنيف غير المحدود .

والموضوع الآخر الجدير بالتنويه هنا هو مدى تأثير خوض حرب كيميائية على الدفاع المجهز بالاسلحة الحديثة الدقيقة التوجيه . وقد ورد في العديد من المؤلفات السـوفياتية اشارات واضحة على ان استعداد السوفيات لخوض حرب كيميائية جدي . وقد أدى وجود وسائط الحرب الكيميائية في الوحدات العربية التي أسرت خلال حرب تشرين عام ١٩٧٣ الى صدور بيان علني عن وزارة الدفاع الاميركية يدعو الى ضرورة اتخاذ الاجراءات الدفاعية المناسبة . وعلى المفكرين الغربيين ان يسعوا الى تحميل الاسلحـة الدقيقة التوجيه على آليات مـع امكانية استخدامها من داخل العربة المدرعة او من داخل موقع محصن .

* * *

هـ ـ استنتاجـات

يمكن من خلال الايجابيات العديدة والسلبيات التـي ذكرناها اعلاه ان نخرج باستنتاجات ثلاث اساسية :

الاستنتاج الاول :

ان توفر الاعتدة التكنولوجية الحديثة ووضع الاسلحة الدقيقة التوجيه قيد الاستخدام الفعلي اعطى ميزات كبرى للمدافع . ولا شـك ان كشف وتحديد الهدف هو مفتاح استخدام هذه الاسلحة بفعالية ومن الاسهل للمدافع ان يختفي في حين يصعب ذلك على المهاجم الذي يتحرك في ارض يجهلها ولا يتوفر له الوقت لانشاء مواقع قتالية . ثم ان هذه الاسلحة الحديثة الدقيقة التوجيه قابلة للنقل من موضع الى آخر بسرعة نظرا لخفة وزنها النسـبي . وبالتالي يمكن تعزيز الاتجاه المهدد بسرعة بنقلها بالحوامات في حين لو ارسلت وحدات مدرعة فقد تصل متأخرة .

ان معظم الاسلحة الدقيقة التوجيه غير ملائمة للهجوم اذ انها اصلا معدة للاعمال الدفاعية لذلك هناك أمل كبير أن يؤدي امتلاك الطرفين لهذه الاسلحة الى وضع أكثر استقرارا .

ومع ذلك علينا ان نبقى على حذر قبل ان نقرر نهائيا ان هـذه التطورات الجديدة هي دائما لصالح المدافـع . (فقد نشاهد في الاعوام القليلة القادمة وسائط كشف وتحديد للاهداف ، وذخائر دقيقة التوجيه بعيدة المدى ووسائط قصف مساحي كلها تسهل مهمة المهاجم) . ثم ، ولنعد من جديد إلى موقف حلف شمالي الاطلسي ، فقد يواجه هجوما عنيفا من قبل قوات حلف وارسو تعمل قوات الهجوم على تثبيت ٩٥٪ من قوات الجبهة وتقوم بالخرق فقط

عبر ٥٪ من الجبهة . وعلى قوات حلف شمالي الاطلسي في هذه الحالة ان تلجأ الى الدفاع المحلي وهنا تلعب الاسلحة الحديثة لصالح الطرفين .

سوف تواجه قوات حلف شمالي الاطلسي مشكلة امكانية الصمود على تلك القطاعات المحدودة حيث حشد المهاجم قواه الرئيسية للقيام بالخرق في الوقت الذي تكون فيه كافة قوات الحد الامامي مشغولة بالدفاع عن نفسها. ولا بد والحالة هذه من القيام بدراسات معمقة وموضوعية لايجاد حلول مناسبة لمثل هذه المواقف .

الاستنتاج الثاني :

هو ان توسع دائرة انتشار الاسلحة الحديثة الدقيقة التوجيه حتى مستوى الوحدات الصغرى وبالتالي زيادة القدرة التدميرية لهذه الوحدات وتمتع قادتها بسلطة استخدام هذه الاسلحة ، سوف يجعل ايقاع العمليات الحربية اسرع بكثير من السابق . كما ان القتال الذي سيدور في قطاعات الحشد سيكون في ظروف كثافة نارية لم يسبق لها مثيل ، ولكن الحجم الاجمالي للذخائر المستهلكة سوف يتدنى رغم تزايد نسبة الإستهلاك المرحلية، أي استهلاك اكبر ولكن في فترة زمنية اقل . اما حجم العتاد المدمر فسوف يبلغ حوالي عشرة أضعاف ما اعتدنا عليه في الحروب غير النووية ، وأوضح دليل على ذلك طلبات الأمداد المستعجلة التي ارسلت خلال حرب تشرين ١٩٧٣ ، وان اية حرب في اوروبا سوف تفوق بخسائرها اية حرب سابقة .

هل يؤدي هذا الايقاع السريع العمليات الحربية الى تصعيد الحرب ام الى المفاوضات ؟ اذ ان القوات المتحاربة ستجد نفسها خلال ثلاثة او اربعة ايام مفتقرة الى الاعتدة والاسلحة والذخائر .

الاستنتاج الثالث :

هو ظهور دلائل مشجعة على ان ذلك الاتجاه الذي ساد في الجزء الأول من هذا القرن نحو شمل الاهداف المدنية والسكان في الاهداف العملياتية سوف يتضاءل اهمية . تسمح الوسائل الدقيقة الحالية بتدمير الاهداف

العسكرية بقوة انفجار أقل مع تجنب الاهداف غير العسكرية المجاورة اخطار التدمير .

ان الايقاع السريع للعمليات يزيد من اهمية القوات المتواجدة لتحقيق النتائج المقبولة .

وقد اصبح من الممكن حاليا بعد توفر الاسلحة ذات التوجيه الدقيق وضع اسس اتفاق عالمي يقضي بوضع حد للاضرار التي يمكن الحاقها بالمدنيين والمنشآت الاقتصادية غير العسكرية وذلك خلال العمليات الدفاعية والهجومية على السواء .

اخيرا هناك أمل ايضا بالبدء بمفاوضات للحد من انتشار الاسلحة وجعلها مقتصرة على الوسائط الدفاعية مثلا الدبابات والمقاتلات الحديثة وحاملات الطائرات النوويه كلها اعتدة باهظة الثمن وملائمة اساسا للعمليات الهجومية ونظرا لتوفر امكانيات دفاعية رخيصة الثمن قادرة على تدميرها ، فمن صالح الطرفين وضع قيود لانتشار مثل هذه الاعتدة الباهظه التكاليف . ويمكن تخصيص الوفر في الميزانيات لتعزيز القدرات الدفاعية وقد نجد مستقبلا لوحات معلقة على جدران الأكاذيميات العسكرية تقول : « خير وسيلة للدفاع هو الدفاع الجيد » .

ولا بد من اضافة ملاحظة اخيرة ، ان الاسلحة الدقيقة التوجيه البعيدة المدى تدخل أيضا في نطاق التسلح التقليدي وبالتالي من الافضل أيضا ان يكون استخدامها وفق قيود معينة بهدف الاقلال من الاضرار المادية وعدم خلق مواقف قد تؤدي الى تصعيد حدة الصراع . ومن هنا نعتقد ان من المناسب مثلا ان تحول الولايات المتحدة الاميركية طائراتها القاذفة الاستراتيجية والمعدة عادة للقصف النووي الى قاذفات لذخائر تقليدية دقيقة التوجيه . وربما كان من الافضل تحويل اتفاقيات الحد من الاسلحة الاستراتيجية الى اتفاقيات مرتبطة اكثر بالحد من القدرات الفعلية لحمل القنابل او الرؤوس المتفجرة مع اتفاقيات لتقييد استخدام القوى العسكرية .

لاشك انه من الصعب حاليا وضع قيود على انتاج عدد العربات او الدبابات ولكن اتفاقية تقييد استخدام القوات ستقودنا حتما الى ذلك من الناحية العملية .

جدول باهم انواع الذخائر دقيقة التوجيه جو ــ ارض
حتى اواخر السبعينات

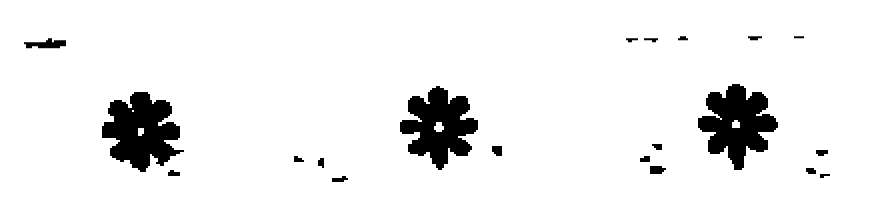
النـــوع	البلد المنتج	المدى (كم)	وزن القذيفة (ليبرة)	التوجيه
AS.20	فرنسة	٧	٢١٥	لاسلكي
AS.30	فرنسة	١٢	١١٥٠	لاسلكي اوتوماتيكي
مارتل AS37	فرنسة / بريطانيا	٣٠ ــ ٦٠	١١٧٠	لاسلكي سلبي
مارتل AJ168	بريطانية \ فرنسة	٣٠ ــ ٦٠	١٢١٥	لاسلكي ــ تلفزيوني
مافريك A6M65A	الولايات المتحدة	؟	؟٦٠	تلفزيوني
دوك آي KMU420	الولايات المتحدة	سقوط حر	٥٠٠	اشعة لايزر
القنبلة المنزلقة	الولايات المتحدة	٨٠ (؟)	٢٠٠٠	تلفزيوني ــ لاسلكي
شرايك AGM45A	الولايات المتحدة	١٢ ــ ١٦	٣٩٠	لاسلكي سلبي
ARM - A6M78A	الولايات المتحدة	٧٢٥	١٧٩٥	لاسلكي سلبي
MK84HOBOS	الولايات المتحدة	سقوط حر	٥٠٠	اشعة لايزر
MK84LGB	الولايات المتحدة	سقوط حر	٢٠٠٠	اشعة لايزر
MK82LG2B	الولايات المتحدة	سقوط حر	٢٠٠٠	تلفزيوني
بيفاواي MK84	الولايات المتحدة	سقوط حر	٢٠٠٠	اشعة دون الحمراء
كوندور AGM53A	الولايات المتحدة	١٠	٥٩٨	اشعة لايزر
بولبوغ AGM53A	الولايات المتحدة	١١٠	٢١١٠	كهربائي ــ ضوئي/تلفزيوني
دولفي ١	الولايات المتحدة	سقوط حر	١١٠٠	كهربائي ــ ضوئي/تلفزيوني
دولفي ٢	الولايات المتحدة	سقوط حر	٢٤٣٠	كهربائي ــ ضوئي/تلفزيوني

جدول ببعض انواع القذائف الدقيقة التوجيه المضادة للدبابات حتى اواخر السبعينات

النـــوع	البلد المنتج	المدى الاقصى والادنى / امتار	الوزن كغ	التوجيه
ـ انتاك	فرنســة	٤٠٠/٢٠٠٠	١٢٣	يدوي
ـ س س ١١	فرنســة	٣٥٠/٣٠٠٠	٢٩٫٩	يدوي
ـ س س ١٢	فرنســة	٨٠٠/٦٠٠٠	٧٦	نصف آلي
ـ هوت	فرنسة / المانيا	٧٥/٤٠٠٠	٢٢	نصف آلي
ـ كوبرا	المانيــا	٤٠٠/٢٠٠٠	١٠٫٣	يدوي
ـ ميلان	فرنسة \ المانيا	٢٥/٢٠٠٠	٦٫٧	نصف آلي
ـ سوينغ فاير	بريطانيا	١٥٠/٤٠٠٠	٣٤	يدوي
ـ شيليلا	الولايات المتحدة	؟	٢٧	نصف آلي ـ اشعـة دون الحمراء
ـ تاو	الولايات المتحدة	٦٥/٣٧٥٠	١٩	نصف آلي
ـ دراغون	الولايات المتحدة	؟ \ ١٠٠٠	٦٫٣٥	نصف آلي
ـ سنابر	الاتحاد السوفياتي	٥٠٠ / ٢٣٠٠	٢٢	يدوي
ـ سواتر	الاتحاد السوفياتي	؟	حوالي ٢٠	يدوي ـ اشعة دون الحمراء
ـ ساغر	الاتحاد السوفياتي	٥٠٠ / ٣٠٠	١١	يدوي

جدول ببعض القذائف الدقيقة التوجيه أرض ـ جو
حتى اواخر التسبعينات

النــوع	البلد المنتج	المدى بالامتار	التوجيه
ـ كروتال	فرنسة	٥٠ / ٣٠٠٠	اساليب متعددة
ـ دولاند	فرنسة / المانيا	١٥ / ٣٠٠٠	ضوئي / راداد او ضوئي /
ـ رابييه	بريطانيا	٥٠٠ / ؟	ضوئي أو راداري
ـ بلو بايب	بريطانيا	؟	ضوئي موجه عن بعد
ـ ريد آي	الولايات المتحدة	؟	ضوئي اشعة تحت الحمراء
ـ شاباارال	الولايات المتحدة	؟	ضوئي ثم بالاشعــة تحت الحمراء
ـ ستينغر	الولايات المتحدة	؟	ضوئي ـ اشعةتحت الحمراء
ـ سام ٦	الاتحاد السوفياتي	حوالي ١٨٠٠٠	راداري او ضوئي
ـ سام ٧	الاتحاد السوفياتي	٥٠ / ١٥٠٠	ضوئي / اشعةتحت الحمراء



الذخائر دقيقة التوجيه والردع التقليدية

جون ميرشايمر

JON MER CHIMER

منذ عشر سنوات والثورة مستمرة في عالم الاسلحة التقليدية وكانت اهم نتائجها انتشار أسلحة جديدة تمتاز باقصى حد من دقة الاصابة مع قدرة تدميرية هائلة . وقد تركزت هذه الثورة على نوع الاسلحة عمد باسم الذخائر دقيقة التوجيه على الرغم من ان بعض التطورات التكنولوجية الهامة لاعلاقة لها بهذا النوع .

ويمكننا تعريف الذخائر دقيقة التوجيه تعريفا عاما بأنها عبارة عن صواريخ دقيقة الاصابة إلى اقصى حد بسبب وجود جهاز توجيه يعمل في المرحلة الاخيرة من مسار الصاروخ ، ومن التطورات التكنولوجية الهامة التي ادخلت على بعض الاسلحة التقليدية الاخرى نذكر على الاخص تلك التي زادت من دقة أصابة مدافع الدبابات الي حد كبير .

وعندما بدات هذه الاسلحة الجديدة تلفت انظار الراي العام علق بعض وبالتالي سوف يؤثر سلبا علي مصداقية الردع .

المحللين العسكريين بقولهم انها سوف تجعل الدفاع يتفوق على الهجوم وبالتالي تتزايد قدرات الردع . واعلن البعض الاخر عن « موت الدبابة » .

في حين وجد آخرون ان في هذا الكلام الكثير من المبالغات اذ ان هذه الاسلحة الجديدة قابلة للاستخدام وبفعالية من قبل الجانبين المدافع والمهاجم

نحن نعتقد ان تقدير آثار الذخائر دقيقة التوجيه على الردع التقليدي ممكن فقط عبر دراسة معمقة للاستراتيجيات العسكرية الخاصة . ان جوهر الاستراتيجية العسكرية في ظروف القتال الحديثة هو كيفية استخدام المهاجم والمدافع لقواته المدرعة . وهنـاك استراتيجيتان نموذجيتان يمكن للمهاجم الخيار بينهما .

اولا يمكن للمهاجم ان يسعى الى النصر عبر شن هجمات ابادة متعددة او مجموعة من المعارك المجزاة . ويحقق المهاجم هدفه عندما ينهك خصمه لدرجة تعتبر المقاومة معها مستحيلة .

ثانيا يطبق المهاجم استراتيجية اتفق على تسميتها بالحرب الصاعقة . ويستفيد من القدرة الحركية والسرعة التي تتمتع بها القوات المدرعة الحديثة للقضاء على خصمه قضاءا نهائيا دونما الحاجة الى خوض سلسلة من المعـارك اليومية .

وقد اثبتت الانتصارات التي حققتها القوات الالمانية خلال الحرب العالمية الثانية والقوات الاسرائيلية فيما بعد في الشرق الاوسط ان تحقيق نصر نهائي على الخصم دون خوض معارك ابادة متعددة ممكن عمليا .

في فترة الازمات اذا اعتقد احد الطرفين بقدرته على شن هجوم صاعق ناجح فمن المشكوك بقدرة الطرف الآخر على ردعه ومنعه مـن شن مثل هـذا الهجوم . من جهة اخرى اذا كانت الاستراتيجية الوحيدة الممكنة للطرفين هي خوض سلسلة من المعارك فان كل طرف يجد ميلا لخوضها . ولا شك ان احد أهم الاسباب التي شجعت هتلر على مهاجمة فرنسة هو ان الحملة التي شنها على بولونيا عام ١٩٣٩ قد برهنت ان الهجوم الصاعق يزوده بسـلاح رائـع لهزم خصومه بسرعة .

لذلك نجد ان السؤال المنطقي هو : ماهو تاثير الذخائر دقيقة التوجيـه على استراتيجية الحرب الصاعقة ؟ هل تشجع هذه الاسلحة على الدفاع ام على الهجوم ؟ وقبل الاجابة على هذه التساؤلات لابد من ايضاح نقطتين : اولا حتى

قبل توفر الذخائر دقيقة التوجيه فان تبني استراتيجية الحرب الصاعقة بشكل مجرد لايحقق النجاح حتما . وبعكس الفكرة العامة التي سادت آنذاك فان سقوط فرنسة لم يعن صعود نجم الهجوم . اذ ان المدافع الماهر باستخدام استراتيجية الدفاع المدرع المتحرك قادر على التصدي بنجاح لهجوم صاعق . ان النقطة الاساسية هي معرفة فيما اذا كانت الذخائر الدقيقة التوجيه تزيد من قدرة المدافع او المهاجم وليس فيما اذا كانت في النهاية تؤمن القدرة على التصدي للهجوم الصاعق اذ ان ذلك كان ممكنا حتى قبل وجودها .

ثانيا اننا في هذا البحث سوف نركز على تلك الذخائر دقيقة التوجيه التي لها تأثير مباشر على ساحة القتال مثل التاو ، الساغر ، الدراغون الميلان المامزيك ومختلف انواع الصواريخ ارض ـ جو . اما الانواع القادرة على ضرب مؤخرات العدو البعيدة مثل الصواريخ الطوافة فاننا لن نتعرض لها .

ـ الذخائر دقيقة التوجيه وحرب الصاعقة :

تعتمد استراتيجية الحرب الصاعقة على تحقيق تفوق عددي على العدو في قطاع (قطاعات) الخرق ومن ثم التوغل بعمق الدفاع المعادي عبر اقل المواقع مقاومة .

وعلى الرغم من احتمال خوض بعض المعارك المتفوقة لتحقيق الخرق فان الاهتمام الاول للمهاجم يكون بتجنب خوض مثل هذه المعارك لاحقا . والهدف الاساسي هو السيطرة على شبكة المواصلات المعادية وحرمان المدافع من حرية المناورة بالاحتياطات لتعزيز نقطة ما او اعادة تجميع قواه . كما يهدف الى حرمان المدافع من امكانية حشد قواه استعدادا للمرحلة التالية من القتال وذلك بسبب سرعة اندفاع نحو الاهداف التي حددها .

وتكلف وحدات وقطعات النسق الثاني للهجوم بالتعامل مع النقاط المحصنة المنعزلة الموجودة على محور تقدم هذه الانساق . ومع تطور المعركة يمكن زيادة زخم الهجوم الاولي بمناورات جانبية وعمليات تطويق واسع مع التركيز بصورة مستمرة على استمرار القوة الرئيسية بالتوغل في العمق . ومع

ذلك فان نجاح الهجوم الصاعق لايستند فقط على الخسارة المادية التي يتكبدها العدو بل ايضا على الانهيار المعنوي الذي يؤدي حكما الى انهيار مادي .

لاشك ان الثورة التي شملت وسائل التوجيه الدقيق قد دعمت قدرات المدافع على التصدي لهجوم يطبق اسلوب الحرب الصاعقة . كما تزايدت مصداقية الردع بسبب تزايد عدد الاسلحة القادرة على تدمير العربات المدرعة والدبابات لدى المدافع . كما ان هذا الاخير بالاضافة الى استخدامه لدباباته ومدافعه أصبح يعتمد على الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات المحمولة على الكتف وكذلك تلك التي يمكن استخدامها من قواعد ارضية مبسطة ، او المحمولة على الحوامات او العربات المدرعة والقنابل الذكية المحمولة بالطائرات . لذلك فان المهاجم الذي يعرف ان لدى المدافع مثل هذه الوسائط ويعرف ايضا مهارة خصمه باستخدامها فانه اما يعدل عن شن هجومه او يتوقع اصطدامه بمقاومات عنيفة تحول دون نجاحه في التقدم السريع .

وتعترض الهجوم الصاعق ، بعد توفر الاسلحة الحديثة ، عقبتان .

اولا : يتطلب الهجوم حشد قوات مدرعة تجاه قطاع محدد من الجبهة المعادية بهدف الخرق . واذا مانجح المدافع باعادة تنظيم خطوطه الدفاعية فعلى المهاجم ان يعيد حشد قواه من جديد لخرق الدفاع الجديد . ولا شك ان حشد قوات كهذه في مواجهة عدو يملك ترسانة ضخمة من الاسلحة المتطورة المقاتلة لهي عملية خطرة جدا ، وخاصة اذا كانت طبيعة الارض تفرض على المهاجم التحرك بالارتال اذ في هذه الحالة يمكن فقط للقوات الامامية ان تشتبك مع مدافع يملك أسلحة فتاكة . في حين ان الانساق الثانية والثالثة من قوات الهجوم تكون غير قادرة على الاشتباك المباشر . وبالتالي نجد ان هذه القوات الامامية التي يفترض ان تحقق الخرق والاندفاع نحو مؤخرات المدافع تبعا للعقيدة القتالية لحرب الصاعقة قد أصبحت في وضع حرج وعاجزة تقريبا عن تحقيق مهامها .

ويمكننا على الاقل ان نقول ان توفر الاسلحة الدقيقة الحديثة قد فرضت على المهاجم ان يدفع ثمنا باهظا لخرق دفاع العدو .

ثانيا : ان المبدأ القائل بتكليف الدبابات بفتح الطريق امام القوات دونما حاجة الى وحدات المشاة او نيران المدفعية اصبح مستحيلا بعد توفر الذخائر الدقيقة التوجيه لدى المدافع .

وان ماحل باللواء الاسرائيلي المدرع ١٩٠ خلال حرب تشرين ١٩٧٣ في الشرق الاوسط أوضح دليل على ذلك . ومن المهم ان نوضح ان مبدأ الحرب الصاعقة اعتمد عبر التاريخ على تقدم قطعات مدرعة دونما الاهتمام بأية قوات مشاة او نيران مدفعية . وان كان لهذا لايعني ان التنسيق والتصادف بين مختلف صنوف الاسلحة مهمل في الهجوم الصاعق اذ ان العمليات المشتركة هي ضرورية على الاقل خلال المرحلة الاولى من الخرق لتسهيل تحرك القوة الرئيسية وايضا للتعامل مع النقاط المحصنة الموجودة في قطاع الخرق ولا بد من القضاء عليها منذ الفترة الاولى . ولكن في ظروف القتال الحديثة فان اي هجوم صاعق يتطلب قوات مدرعة مدعومة خلال كافة مراحل القتال بقوات المشاة ونيران المدفعية اذ أصبحت الدبابة شديدة التعرض بعد توفر الاسلحة الحديثةالدقيقة ولا بد من ان تحميها عناصر المشاة بشكل مستمر وتزايدت اهمية المشاة اكثر من السابق في هذا النوع من الهجوم .

وعلى الرغم من ان الانتشار الواسع للاسلحة القادرة على تدمير الدبابات هو السبب الرئيسي لهذا الوضع الجديد فان جوهر الموضوع كامن في عدم التوازن الذي نشأ بين شدة تعرض الدبابة التدمير وبين قدرة المقاتل الفردي على تدميرها بعد تسلحه بالذخائر الدقيقة التوجيه . قبل الثورة التكنولوجية في الاسلحة التقليدية لم يشكل جندي المشاة سوى خطر لايذكر على الدبابات اذ ان الاسلحة المضـــادة التي كانت متوفرة مثل المدفـــع عيار ٩٠ ملم عديم التراجع لم يكن له الا تاثير محدود على ساحة القتال ، لذلك كان بامكان الارتال المدرعة ان تتحرك عميقا عبر الخطوط الدفاعية متجاهلة عمليا جيوب المقاومة التي تحتلها وحدات المشاة تاركة للوحدات الخلفية مهمة التعامل معها.في حين لم يعد بالامكان حاليا للدبابات تجاهل هذه المواقع واصبح لابد لها قبل انتتابع تقدمها من القضاء على الاسلحة المضادة الخفيفة كالصواريخ تاو وهوت وساغر

ودراغون . كما ان تزايد عدد هذه الاسلحة المضادة الدقيقة قد رفعت من القدرات الدفاعية لجندي المشاة ولم يؤد عمليا الى زيادة مدى تعرضه للخطر. خاصة وان هذه الاسلحة الدقيقة التوجيه حتى في حالة توفرها لدى المهاجم فانه سوف يستخدمها ضد الاهداف المدرعة والمواقع المحصنة المعادية لاضد جنود المشاة . ونجد العلاقة نفسها بين جندي المشاة والطائرة . ففي حين تشكل الصواريخ من نوع سام ٧ وستينغر خطرا فعليا على الطائرات المنقضة فان الصاروخ مامزيك الموجه باشعة لايزر قليل التأثير على جندي المشاة .

ولكن هذا كله لايعني ان تصبح ساحة القتال المستقبلية مسرحا للصراع بين جندي المشاة المسلح بالذخائر دقيقة التوجيه وقوة مهاجمة قوامها الدبابات والطائرات . فلا شك ان أي دفاع ناجح ضد هجوم صاعق يحتاج الى عدد كبير من الدبابات والطائرات بالاضافة الى أعداد من العربات المدرعة المسلحة بالذخائر دقيقة التوجيه وهذا ماسوف نتعرض له لاحقا .

ونود فقط ان نوضح ان فكرة الهجوم الصاعق تعطي اهمية اولى للعربات المدرعة والدبابات المتحركة بسرعة عالية دونما حاجة للاعتماد على جنود المشاة لدعمها .

اما الدفاع من الناحية الاخرى فانه يعتمد على كل من المشاة والمدرعات. ومع تزايد قدرة الجندي الفرد على التدمير تزايدت حرية تحرك الدبابات المدافعة مستفيدة من نيران المشاة المحكمة والفتاكة ، وبنفس الوقت لم يشتد تعرض عناصر المشاة للخطر عن السابق . لهذا نعتقد ان توفر الاسلحة الحديثة ذات الذخائر الموجهة بدقة كان لصالح الدفاع . وقد أوضح « موشي دايان » في مذكراته عدم التوازن هذا ابان حرب تشرين عام ١٩٧٣ بقوله : ان الموقف القتالي البارز هو انه كنا في الجبهة الشمالية حيث اننا نواجه الدبابات السورية المهاجمة والمتقدمة في الوقت الذي كانت دباباتنا متمركزة دفاعيا لذلك لم يكن لصواريخ الساغر السورية اي تأثير على نتيجة المعارك . اما في الجنوب فلم يكن الموقف مماثلا اذ ان دباباتنا هي التي كانت تهاجم مسرعة نحو القناة في الوقت الذي كان المصريون وأساسا مشاتهم المسلحين بالصواريخ المضادة للدبابات متمركزين

دفاعيا وبالفعل فان معظم خسائرنا بالدبابات على الجبهة الجنوبية كانت بفعل المواقع الدفاعية .

ومع ذلك هناك مظهر آخر لتطور الاسلحة التقليدية . فخلال السنوات العشر الاخيرة تزايدت قدرات الدبابات الحديثة في مجال تدمير دبابات الخصم بواسطة مدافعها الذاتية. وطالما ان كلا من المهاجم والمدافع يعتمدان على الدبابات في ظروف الحرب الصاعقة فمن المستحيل تقدير من المستفيد الاكبر من هذا التطور . اما في حالة المشاة المسلحة بالذخائر دقيقة التوجيه فان الوضع مختلف تماما اذ ان الميزة المكتسبة هنا هي للدفاع بلا شك .

ومن جهة أخرى فان الدفاع ضد الهجوم الصاعق قد عزز أيضا بسبب توفر الذخائر الدقيقة التوجيه اذ أصبح بالامكان تخفيض حجم القوات اللازمة للتمسك بخط الدفاع والتصدي لاي هجوم معاد .

ان تزايد القدرة الناريه لدى الجندي الفرد بالتعاون مع التطورات التكنولوجية الاخرى كالمدفعية الذكية تقلل من حجم القوات اللازمة للتمسك بجبهة القتال وبالتالي تسمح بالاستفادة من القسم الباقي لتشكيل احتياط متحرك أو زيادة عمق الدفاع .

كما ان هناك تطورات تكنولوجية أخرى للاسلحة التقليدية لاعلاقة لها بتحسن دقة الاصابة (كالذخائر التقليدية المحسنة ، الالغام التي يمكن زرعها من الجو . الخ) ساهمت أيضا في زيادة القدرة النارية المتوفرة للدفاع وبالتالي تخفض النسبة بين القوى والمساحة .

وهكذا نجد ان الذخائر دقيقة التوجيه تدعم بوضوح الدفاع ضد هجوم صاعق اذ يصعب على المهاجم تطبيق استراتيجية كهذه بوجود دفاع مجهز بهذه الاعتدة الدقيقة الحديثة . واذا مافشل مثل هذا الهجوم فانه يتحول الى سلسلة من المعارك المتفرقة . وكما اوردنا اعلاه فان هذا الوضع يعزز مفهوم الردع .

ـ في سبيل دعم استراتيجية الحرب الصاعقة :

عرضت أفكار متعدده تعارض القناعه الجديدة القائلة بان الذخائر دقيقة التوجيه قد قضت عمليا على استراتيجية الحرب الصاعقـة . وتم التركيز خاصة على ان الموقف الجديد قد زاد من لحمة التعاون بين المدرعات والصنوف الاخرى كالمشاة والمدفعية . وقال أحد المحللين بأن موجات المشاة المتقدمـة أمام الوحدات المدرعة قادرة على التعامل مع وحدات الدفاع المسلحة بالذخائر الدقيقة التوجيه ونحن نعتقد ان هذه الاقوال لاتستند الى الواقع . اولا لان الحرب العالمية الاولى قد أظهرت كيف يمكن لرشاش ان يحصد المشاة ويوقف تقدمها ؟ وفي أيامنا هذه أصبحت المشاة المكشوفة أكثر تعرضا للخطر بسبب توفر أسلحة أدق اصابة واغزر رماية وتدميرا .

ثانيا : ان واقع تحرك المشاة أمام الدبابات يعني انتفاء فكرة الهجـوم الصاعق عمليا . اذ تصبح القدرة الحركية وسرعة تقدم المدرعات مرهونة بايقاع تقدم المشاة . ولابد لنا هنا من التساؤل هل هذه الاسلحه الحديثه الفعالة ضد المشاة قابلة للاستخدام من قبل المهاجم ضد عدو مسلـح بالذخائر دقيقـة التوجيه ومتمركز دفاعيا ؟ الجواب بكل وضوح بالنفي ، ونستند في استنتاجنا هذا الى انه على المهاجم ان يتحرك متقدما في حين يقاتل المدافع من مواقـع محصنة ثابتة . وبالتالي يكون المهاجم مكشوفا في حين يختفي المدافع وراء تحصيناته ولا شك ان الجندي المتقدم او المتوقف لفترة قصيرة أكثر تعرضا للاصـابة مـن الجندي المتمركـز والمتجيء خلف مستر محضر مسبقـا او حصن متين .

ان الحل العملي المعقول هو ان يتم التحرك بالتبادل بين المشاة والمدرعات تحت دعم نيران المدفعية والطيران . وتسمى هذه القوة في القوات المسلحـة الاميركية « بمجموعة مختلف الصنوف » . ومع ذلك نجد ان لهذا الحل بعض القيود المفروضة عليه . اولا ان تنسيق الهجوم لمجمل هذه الاسلحة المتنوعة عملية معقدة . كما ان تنسيق نيران المدفعيـة مـع تحرك وحدات المشـاة والدبابات معقد بصورة خاصة طالما ان المدفعية لاتستطيـع تحضير رمايات

مكثفة مسبقا تنصب على المواقع المعادية الموجودة امام الخط الامامي المباشر للقوات الصديقة . ثانيا في الوقت الذي تتميز الحرب الصاعقة بقلة احتياجاتها للدعم الاداري فان معركة معتمدة على أساس الاستخدام المشترك لعدة صنوف من الاسلحة تحتاج الى مثل هذا الدعم بل لايمكنها الاستغناء عنه ، اذ سوف تكون بحاجة لمزيد من الذخائر خاصة لقنابل المدفعيه ولورشات صيانةواصلاح نظرا لكبر حجم وعدد الآليات اللازمة لنقل المشاة وذخائر المدفعية بالاضافة الى عربات القطر وسواها مما يزيد عدد العربات المعطلة وبالتالي ضرورة توفر عدد أكبر من الدعم الفني . ثالثا ان المدى الاقصى الذي تستطيع الذخائر دقيقة التوجيه بلوغه يتراوح بين الف وثلاثة آلاف متر في حين ان المشاة المسلحة بالبنادق والرشاشات لن تستطيع الاشتباك مع العدو الا من مسافة أقل من خمسمائة متر وبالتالي ستكون الذخائر دقيقة التوجيه هي الاكثر نجاحا لانها سوف تبدأ بالرمي اولا ومن مسافة بعيدة نسبيا . رابعا ان ايقاع الهجوم سوف يتدنى طالما ان تحرك الدبابات مقيد بسرعة تحرك المشاة . واذا ماتطلب الموقف تدخل المدفعية بنيرانها فان ذلك سيؤخر التقدم ايضا لانها تحتاج الى زمن لتحضير الصليات (الرمايات) ونقلها من مكان الى آخر .

ونظرا لتوفر أسلحة مضادة للدبابات شديدة الفتك وعالية الدقة فان اي بطء في تحرك الدبابات لن يكون لصالح هذه الاخيرة .

وبغية التغلب على بطء تحرك المشاة وشدة تعرضها جهزت عرباتمدرعة لنقل الافراد ، والغاية من ذلك هو خلق توازن بين سرعة تحرك المشاةوالدبابات على أساس ترجل المشاة عند الضرورة فقط . ولا شك ان هذه العرباتالمدرعة القادرة علىنقل جماعة مشاة قد طورتكثيرا ولم تعد وسيلة نقل فقط منموقع الى آخر بل تملك قدرة نارية كافية ومرونة حركية بالاضافة الى تصفيحمعقول يجعل منها عربة قتال فعلية . أي يمكن لجماعة المشاة المحمولة على مثل هذه العربة ان تقاتل بفعالية دونما حاجة الى الترجل . وقد طور الاتحادالسوفياتي عرباته هذه وجهز بها قواته قبل ان تبدأ الولايات المتحدة بالتفكير بذلك بزمن بعيد . فالعربة المدرعة السوفياتية نوع ب‌م‌ب مسلحة بمدفع من عيار ٧٣ ملم وقاعدة صواريخ موجهة مضادة للدبابات ورشاش من عيار ٧ر٦٢ يعملبالتوازي

مع المدفع وهي معدة للعمل في ظروف القصف النووي ويتوقع منها ان تستغل الوضع الناجم عن استخدام الاسلحة النووية ورغم ان تصفيحها غير سميك فانها تعتبر جزءا لايتجزا من الاسلحة السوفياتية الخاصة بخوض الحروب غير النووية .

ومع ذلك اثبتت حرب الشرق الاوسط في تشرين عام ١٩٧٣ ان عربات القتال شديدة التعرض للاخطار في المعارك الكثيفة حيث يكثر استخدام الاسلحة المضادة للدبابات . وسبب ذلك أساسا لان تصفيحها لايوازي سماكة تصفيح الدبابات . السيئة الاخرى لهذه العربات القتالية هي ان اصابة مباشرة واحدة تؤدي الى القضاء على جماعة كاملة من المشاة بالاضافة للعربة . ولا شك ان انعكاسات شدة تعرض هذه العربات للاخطار تختلف بين الجانب المهاجم والجانب المدافع . اذ طالما ان القوات المهاجمة مضطرة الى التحرك نحو الامام ونظرا لمحدودية توفر مساتر طبيعية دائمة لها خلال تحركها فانها ستكون أكثر تعرضا للاصابة وهذا مايشغل أذهان السوفيات . وربما كان من الافضل تزويد القوات المهاجمة بعدد أكبر من الدبابات بدلا من العربات القتالية واستخدام وسائط نقل أرخص ثمنا تنقل المشاة من نقطة الى اخرى .

وبما ان القوات المدافعة تقاتل عادة على مواقع ثابتة فانه من الممكن تأمين وقاية عربات القتال الى خلف المساتر الطبيعية او الحواجز الاصطناعية وعلى الرغم من ان ذلك لن يوفر حماية مطلقة فانها ستكون افضل من وجودها كوحدة متحركة ضمن ترتيب قوات الهجوم . ولذلك نجد ان عربة القتال في الدفاع مرغوب وجودها لانها تعزز القدرة الدفاعية اولا لان الدفاع في ظروف الحرب الحديثة يجب ان يكون متحركا ، ثم وبسبب كبر حجم بعض الاسلحة الحديثة ذات الذخائر الدقيقة التوجيه مثل التاو لابد من حمل بعضها على آليات متحركة . وان عربة القتال قادرة على حمل التاو كما تحمل جنوة المشاة المسلحين بالصواريخ الاخرى الاخف وزنا .

ثانيا : ان عربة القتال تؤمن لجنود المشاة وللذخائر دقيقة التوجيه المحمولة عليها درجة من الحماية تقيها نيران أسلحة المشاة وقنابل المدفعية المضادة

للاشخاص . خاصة وان المهاجم سوف يضطر الى استخدام نيران المدفعية والاسلحة الاخرى للقضاء او شل وحدات المشاة التي تسعى لمقاومة تقدم الدبابات .

ومما لاشك فيه ان العربات المدرعة تساهم مساهمة فعالة في تعزيز القدرة الدفاعية ولا تدعم القوى المهاجمة . ومع ذلك لابد من الاخذ بعين الاعتبار ناحيتين أولا مطلوب من الدفاع أحيانا ان يشن بعض الهجمات المعاكسة ـ أي يهاجم ـ وهنا تصبح قيمة عربات القتال موضع تساؤل . ثانيا في بعض الحالات حيث لاتدور المعارك الدفاعية على مواقع ثابتة وعندما لايكون هناك فرق كبير بين المدافع والمهاجم فان فوائد العربات القتالية للمدافع لاتفوق فوائدها لدى المهاجم .

وكخلاصة نقول ان العربات المدرعة القتالية هي عامل استقرار لانها بصورة عامة أكثر فائدة للمدافع منها للمهاجم .

أهم الاخطار التي تهدد الذخائر دقيقة التوجيه تكمن في التطوير الجاري لانتاج نوع من « التصفيح الخاص » او ما أطلق عليه في الغرب اسم « تصفيح شوبهام Chobhamarmour » . فقد أفادت التقارير ان « الشوبهام » يرفع الى ثلاثة أضعاف درجة الوقاية التي تؤمنها الدروع الفولاذية التقليدية وانه لايوجد عمليا الآن أي سلاح مضاد سوفياتي او اميركي قادر على خرقه . وعلى الرغم من عدم وجود أي مبرر للشك بهذه المعلومات فان هناك عدة نواح مرتبطة بهذه التكنولوجيا الحديثة في هذا المجال . اولا أن تكاليف هذا النوع من التصفيح باهظة جدا وبالتالي يكون عدد المدرعات التي ستصفح بها محدود (فلا يمكن مثلا لبريطانيا ان تتبنى الشوبهام في دبابات نوع شيفتن) . ومن غير المتوقع في المستقبل المنظور ان يدخل الشوبهام عربات نقل الاشخاص المدرعة ولا نستغرب ان يقتصر استخدامه على عدد محدود من الدبابات الخاصة بالقوات المسلحة لكل دولة . لاشك ان حب البقاء يكلف ثمنا باهظا .

ثانيا : على الرغم من تردد بعض الشائعات القائلة بان الدبابة السوفياتية

نوع ت ۸۰ لها تصفيح خاص فان كافة الدلائل تشير الى أن الاتحاد السوفياتي متخلف كثيرا عن الغرب في مجال التطور التكنولوجي بحثا وتطبيقا . وسوف يمضي وقت طويل قبل ان ينجز الاتحاد السوفياتي تبديل جزء من الترسانة الضخمة من الدبابات المتوفرة لدى قوات حلف وارسو باخرى ذات تصفيح خاص .

ثالثاً : في الوقت الذي يجري فيه تطوير وانتاج هذا التصفيح الخاص فان تكنولوجيا الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات تتطور أيضا ، خاصة وان معظم هذه الصواريخ التي أثبتت نجاعتها ابان حرب فيتنام وحرب الشرق الاوسط الاخيرة ليست سوى من الجيل الاول . وهي تمثل فقط التعبير الاول عن الثورة في عالم التوجيه الدقيق . ولا شك ان الاجيال اللاحقة منها سوف تتطور آخذة بعين الاعتبار الدرع شوبهام كهدف . وأهم من ذلك ان سرعة التطورات التكنولوجية المتعلقة بالذخائر دقيقة التوجيه تجعلنا نكرر ان هذه الاخيرة ستبقى متفوقة على الدبابة ، وذلك بسبب شدة تعقيد الدبابة التي تثير سلسلة من العقبات التكنولوجية يجعلها بطيئة التطور . وعلى الرغم من عجزنا عن التنبؤ الدقيق لمدى تطور الاسلحة فان لاشيء يدعونا الى القناعة بأن الذخائر دقيقة التوجيه قد فقدت قيمتها فقط بسبب زيادة متانة التصفيح .

ولكن اذا رجحت كفة الميزان لصالح التصفيح الخاص فان الموقف في ساحة القتال سوف يتأثر بشكل كبير . اذ ان الانواع الوحيدة من الذخائر الدقيقة التوجيه التي ستكون قادرة على العمل بفعالية ضد المدرعات الحديثة ستكون الانواع الكبيرة مثل « هيل فاير Hell Fire » . في حين ستقف الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات الخفيفة وحتى صواريخ التاو عاجزة أمام التصفيح الخاص . ولا شك ان دفاع المشاة المسلحة بهذه الانواع من الصواريخ لن يصمد أمام هجوم القوات المجهزة بالدبابات وعربات القتال المصفحة الحديثة . أما اذا تم التوجه نحو ذخائر دقيقة التوجيه كبيرة الحجم فلا بد آنذاك من تحميلها على عربات مدرعة او أية وسيلة متحركة اخرى . وعند ذلك وكما أسلفنا فان تطورا كهذا سيكون لصالح الدفاع مع عدم اغفالنا ان

حذف الذخائر دقيقة التوجيه الخفيفة من ترسانة الدفـاع سيكون له اثره السلبي الكبير على القدرة الدفاعية . وباختصار يمكن القول انه مالم يتم تطوير جدي للذخائر دقيقة التوجيه (بالاضافة الى الكبيرة منها) فان معادلـة الدفاع – هجوم ستعود مرة أخرى لترجح كفة الهجوم .

ونظرا للارتفاع الباهظ والمتسارع لثمن الدبابات المعرضة للدمار بصواريخ رخيصـة نسبيا ، اقترح البعض زيادة عدد الدبابات الاقل تطورا والارخص ثمنا بدلا من توفير عدد محدود من الدبابات الحديثة الباهظة الثمن . واذا بدا هذا الاقتراح مقبولا من حيث المعادلة عدد / كلفة فان له مسـاوئه العديدة .

اولا : ان هذه الدبابات الرخيصـة الثمن نسبيا أشـد تعرضا للتدمير وبالتالي سترتفع نسبة الخسائر فيها لدرجة يشك معها بامكانية توفير عدد كاف للتعويض عن الخسائر . ثم ان المعادلة ثمن / فعالية بين الدبابة والذخائر دقيقة التوجيه هي لصالح الاخيرة بلا ادنى شك . ثانيا لايمكن تقدير الثمن الحقيقي للقوة المدرعة بضرب عدد الدبابات بسعرها الفردي فقط اذ ان كل دبابة تحتاج الى سدنة لاستخدامها وان ميزانية سدنة دبابة اضافية في إطار قوات حلف شمالي الاطلسي مثلا كبير نسبيا لدرجة يصعب معها التفكير بزيادة عدد الدبابات بالمستوى المطلوب توفره في الاحتياط . وقد اضطر جيش الراين البريطاني الى تخزين حوالي خمسين دبابة شيفتن لعدم توفر السدنة اللازمة لاستخدامها . ومن المستبعد ان يتجه التفكير الى استبدال الدبابات المتطورة بدبابات أرخص ثمنا سواء في أوساط حلف شمالي الاطلسي او حلف وارسو . ومع ذلك لو تم فعلا التوجه نحو هـذا الحل فانه لن يهدد وجود الاسلحة المضادة كالتاو والدراغون .

أما فيما يتعلق بشدة تعرض عربات القتال المدرعة لخطر التدمير فانه مما لاشك فيه أننا سنسمع ببعض الافكار القائلة بادخال تصفيح خاص عليها ايضا وتحويلها عمليا الى دبابة مسلحة بالصواريخ بدلا عن المدفع . واني اعتقد ان الفائدة من ذلك قليلة جدا طالما ان هناك اجماع في الآراء حول ضرورة تجهيز الدبابة بمدفع لابصاروخ .

أما بالنسبة للمدافع فان الاغراء بامتلاك عربة قتال مدرعة مسلحة بسلاح مضاد دقيق التوجيه نابع من كونها رخيصة الثمن بالنسبة للدبابة . في حين ان تحصين هذه العربة بالتصفيح الخاص سيرفع من قيمتها المادية الى مستوى قريب من ثمن الدبابة . والناحية الهامة هنا أن تضاريس الارض تعوض عن قلة تصفيح عربة القتال المدرعة في الطرف المدافع .

وعندما يضطر المدافع لشن هجوم فانه سوف يركز أساسا على قوة الدبابات لديه . وحتى في حالة احتياج المدافع او المهاجم لعدد أكبر من المدرعات من الافضل له ان يزيد عدد الدبابات بدلا من زيادة تصفيح عربات القتال . وهذا أوضح اذا ما أخذنا بعين الاعتبار الميزانيات المحدودة لشراء عربات مدرعة .

ويقول بعض المحللين ان بامكان المهاجم ان يتفادى خطر الذخائر الدقيقة التوجيه باللجوء الى شن هجومه ليلا ، غافلين ان لهذا الحل محاذيره .

على الرغم من توفر دلائل عديدة عن تدرب القوات المسلحة السوفياتية على هذا النوع من القتال بشكل مستمر . فالهجوم الليلي رغم قدرته على تحقيق بعض الاهداف المحدودة لايمكن ان يؤمن تكبيد العدو هزيمة تامة ، وهذا مستحيل سواء على القوات السوفياتية او أية قوة مسلحة أخرى ، ذلك ان الصعوبات التي تعترض عملية التنسيق والتعاون في ظروف الرؤية المحدودة تجعل من هذه الاستراتيجية فكرة مشكوك بنجاحها . ثم ان القول بعدم فعالية الذخائر دقيقة التوجيه ليلا بسبب استحالة رؤية الهدف قول مشكوك بصحته . فالولايات المتحدة الاميركية تقوم حاليا بتطوير أجهزة تسديد ليلية تسمح للصواريخ دراغون ، تاو ، ومامزيك بكشف وتدمير اهدافها في الظلام الدامس . أخيرا ليس هناك من سبب يمنع القوات الاميركية او اية قوة مسلحة أخرى من التدرب والاستعداد لخوض معارك نيلية . وليس هناك اي عامل خاص بالقتال الليلي يجعله مفيدا للهجوم فقط .

ـ الذخائر دقيقة التوجيه والتوازن بين الجو والارض :

اعتمد كل من الالمان والاسرائيليين في هجومهم الصاعق على الدعم الجوي

المباشر الكثيف بدلا من الاعتماد علـى الدعم الناري المدفعي . ولا شـك ان باستطاعة المدافع ان يستفيد أيضا من الدعم الجوي المباشر لطيرانه في التصدي للهجمات المدرعة ولكن فعالية الدعم الجوي سواء للمهاجم او للمدافع تعتمد بالدرجـة الاولى على مـن يملـك ميزة التفـوق الجوي والسيطـرة علـى سـاحة القتال .

وقد تعاظمت فعالية الدعم الجوي المباشر بفضل الصواريخ جو ـ ارض الدقيقة التوجيه من نوع « مامزيك » وبالمقابل دعمت الصواريخ ارض ـ جو قدرات الدفاع الجوي الارضي . وبالاضافة الى التحسينات النوويـة التي ادخلت على الصواريخ من نوع « هوك HAWK » والصواريخ سام ٢ وسام٣ فقد دخلت الخدمة الفعلية أنظمة دفاع جوي جديدة مثل السـام ٦ المتحـرك والصواريخ المضادة للطائرات الفردية نوع « ستينغر » . كما ان انتشار المدافع المضادة للطائرات الموجهة بالرادار مثل زسو ٢٣/٤ قيد حرية عمل الطائرات فوق ساحة القتال .

وتعتبر طائرات الدعم المباشر الواسطة المثاليه لدعم الهجوم في الوقت الذي تشكل فيه الصواريخ والمدافع المضادة للطائرات الواسطة الجيدة لوقاية القوات المهاجمة من خطر الطائرات المعادية المخصصة لتعزيز الدفاع. وان الهجوم الصاعق على دفاع يفتقر الى نظام دفاع جوي ممتاز ولا يملك طائرات دعم مباشر يستفيد الى أقصى حد من طائرات الدعم المباشر الخاصة به . في حين ان توفر شبكة دفاع جوي قوية وقوى جوية فعالة لدى المدافع، يعيق عمليات الدعم المباشر للهجوم ويعرقل تقدم أرتاله المدرعة . وقد اثبتت حرب تشرين عام ١٩٧٣ ان نطاقا من وسـائل الدفاع الجوي المتطورة بامكانه تكبيد خسـائر فادحة للطائرات المهاجمة . قبل توفر الصواريخ سام المتحركة والدقيقة الاصابـة بالاضافة الى المدافع المضادة للطائرات كان على المدافع ان يعتمد علـى قواه الجوية وعلى وسائط الحرب الالكترونية لمواجهة « المدفعية للطائرة » المعادية اما الآن فقد اصبح بامكانه وحتى بدون قوى جوية ان يجابه القوى الجويـة المعادية بوسائل الدفاع الجوي الارضية من صواريخ ومدافع مضادة . وبالتالي

فان أي هجوم جوي على دفاع يملك قوى جوية جيدة وشبكة دفاع جوي متطورة ، سيكون قليل الفعالية وفي هذه الحالة فان على الطرف الذي يخطط لتنفيذ هجوم صاعق ان يعتمد اساسا على دعم ناري من المدفعية الارضية .

وان القوات المهاجمة التي تملك في قوامها منظومات صواريخ مضادة للطائرات متحركة ومتطورة بالاضافة الى المدافع المضادة للطائرات ملائمة جدا للتعامل مع دفاع يعتمد في دعمه الجوي على قواه الجوية اساسا . لهذا السبب نشاهد حاليا اهتماما كبيرا لدى صانعي السياسة الاميركيين بالطائرة « آ ــ ١٠ A - 10 » المعدة للتعامل مع أي هجوم صاعق سوفياتي . ومما لاشك فيه انه عندما يستند المهاجم الى وسائط الدفاع الجوي الارضية لمواجهة هجمات الطيران المعادي سيواجه صعوبة ناجمة عن اضطراره لزيادة حجم قواه المقاتلة والوحدات الادارية التابعة لها .

ماهو تأثير هذه التطورات على المعادلة هجوم ــ دفاع في اطار استراتيجية الهجوم الصاعق ؟ اذا افترضنا ان عدد وسائط الدفاعالجويالارضية سيستمر في التزايد وبنفس الوقت يتحسن نوعا ، وان لدى كل من المهاجم والمدافع شبكة دفاع جوي ممتازة وقوى جوية فعالة ، في هذه الحالة سوف تتدنى احتمالات نجاح أي هجوم صاعق . اولا لانه عندما يتوفر للمدافع دفاع جوي متين سوف تتزايد صعوبة اعتماد المهاجم على الدعم الجوي المباشر وهذا يعني ان مصادر نيران الدعم للهجوم سوف تكون المدفعية الميدانية ، وهذا الوضع ينعكس سلبا على المهاجم اكثر منه على المدافع نظرا لاضطرار الاول لزيادة حجم وحداته الادارية وبالتالي ابطاء ايقاع الهجوم وربما تحول الهجوم الصاعق الى معارك متفرقة . ثانيا ان اعتماد المهاجم على وسائط الدفاع الجوي منصواريخ ومدافع مضادة للطائرات سوف يخلق هو أيضا مشاكل ادارية والتي تضاف الى المشاكل التي خلقتها مدفعية الميدان . من جهة اخرى ستجد الارتالالمدرعة نفسها مجبرة على التحرك ببطء خوفا من الخروج خارج نطاق الحماية الجوية الصديقة . لاشك أنها تستطيع في تلك المرحلة الاعتماد على حماية الطائرات الصديقة لها والتخلي عن المظلة الصاروخية المضادة للطائرات . ولكن الاسباب

متعددة نجد ان الدلائل المتوفرة لاتدل على مثل هذا الاتجاه . ثالثا في الوقت الذي يصبح بامكان الطائرات الداعمة للهجوم التدخل بصواريخ المامزيك وسواها سوف تعترضها صعوبة كشف وتحديد الاهداف وهذه ناحية هامة خاصة على الساحة الاوروبية حيث الرؤية محدودة خلال فترة طويلة من العام. ولا شك ان مسالة كشف وتحديد الاهداف اكثر صعوبة على المهاجم منها على المدافع الذي يقاتل على مواقع ثابتة في معظم الاحيان ، في حين ان المهاجم المضطر للتحرك وترك مساترة اكثر تعرضا الكشف وبالتالي للقصف بواسطة الطائرات المعاديـة .

اخيرا ان كافة الدلائل المتوفرة تشير الى ان التكنولوجيا الخاصة بتطوير وسائط الدفاع الجوي سوف تساهم والى مدى بعيد في زيادة قدرات المدافع على التصدي بنجاح لاي هجوم صاعق .

ـ استنتاجات :

اصبح التفكير بخوض هجوم صاعق بعيد الاحتمال بعد التطورات التكنولوجية النووية التي شاهدتها اجهزة التوجيه الدقيق ، او على الاقل اصبحت العقبات امام نجاح مثل هذا الهجوم عديدة وصعبة ، وعلى المهاجم اذا اراد التأقلم مع هذه الوسائط الجديدة والتعامل معها ان يزيد من حجم قواته المكلفة بالهجوم ، كما سيجد نفسه مضطرا الى الاعتماد بشدة عنى مدفعية الميدان وعلى الصواريخ والمدافع المضادة للطائرات بالاضافة لاعتماده على المشاة الميكانيكية . وان السيطرة التي كانت تتمتع بها الدبابات على ساحة المعارك بدعم من طائرات الدعم المباشر لم يعد لها وجود في ظروف الحرب الحديثة .

من جهة اخرى ان التركيز على عمليات قوات من مختلف الصنوف يخلق صعوبات ادارية كبيرة بالاضافة الى العقبات التي تعترض خطط التنسيق والتعاون بين القوات وسوف ينعكس ذلك كله سلبيا على القدرة الحركية وسرعة تقدم قوات الهجوم .

والتساؤل الاساسي المطروح هنا ليس حول امكانية المهاجم التعامل مع

الذخائر دقيقة التوجيه الحديثة بل ماهي التبدلات الضرورية في الاستراتيجية الهجومية للتغلب على هذه الوسائط المتطورة الحديثة .

ففي نفس الوقت الذي خلقت فيه هذه الاسلحة صعوبات جمة للمهاجم فانها عززت موقف المدافع . اذ ان القدرة النارية التي اصبحت متوفرة جعلت من الممكن قلب كل موقع دفاعي رئيسي الى « جدار ناري » لايستطيع المهاجم المرور عبره الا بعد دفع ثمن باهظ بالارواح والعتاد . واذا ما اقتنع المهاجم ان هجومه الصاعق سوف يتحول عمليا الى سلسلة من المعارك المتفرقة فانه بلا شك سيتردد منذ البداية في شن الهجوم .

الواقع ان اي هجوم واسع النطاق سواء اكان هجوما صاعقا او وفق استراتيجية هجومية هدفها دحر الدفاع المعادي ، لايمكن ان يكون من الناحية العملية هجوما صرفا مطلقا ولا بد له من ان يكون مزيجا من العمليات الهجومية والدفاعية .

وفي حالة كون الهدف هو تكبيد العدو هزيمة عسكرية شاملة تهتم قيادة القوات المهاجمة بالتزود بمعدات هجومية اساسا ، وتعتبر استراتيجية الحرب الصاعقة ملائمة لهذه الغاية .

في حين انه عندما تكون أهداف الهجوم محدودة فالسيطرة على بعض مناطق الخصم فان التكتيكات الدفاعية تزداد أهمية لديه ، فهو بعد ان ينفذ هجوما سريعا يتحول الى تحصين المواقع التي تم احتلالها بهدف التصدي للهجمات المضادة . وعند ذلك يتمتع المهاجم بنفس المزايا التي حققتها الذخائر دقيقة التوجيه الحديثة للمدافع .

ويجد المدافع نفسه في تلك الحالة مضطرا لشن هجوم مضاد على مواقع جيدة التحصين وذات قدرة نارية كبيرة وفعالة .

ومما لاشك فيه ان الهجوم ذي الاهداف المحدودة لابد وان يستغل عنصر المفاجأة لتحقيق اغراضه قبل ان يتيح للدفاع امكانية اقامة « الجدار الناري » الذي تحدثنا عنه سابقا . وتعتبر المفاجأة المفتاح الاساسي للتعامل مع الذخائر

دقيقة التوجيه . على اية حال وبالرغم من ان تحقيق المفاجاة يعتبر مفتـاح النصر في العمليات الهجومية المحدودة فان هناك حدودا للقدرة على استثمار المفاجأة ونتائجها في حالة كون هدف الهجوم هو تكبيد المدافع هزيمة عسكريـة تامة . كما ان كل دفاع مبني على اساس الدفاع المدرع المتحرك (بعكس دفاع الحلفاء عام ١٩٤٠ ومصر عام ١٩٦٧) قادر على ايقاف اي هجوم بعد نجاحه بالخرق المفاجيء .

هناك اختلاف كبير بين استراتيجية الهجوم المحدود واستراتيجيةالهجوم الصاعق من حيث الاستفادة من الذخائر الدقيقة التوجيه . وان انعكاسات هذه التطورات التكنولوجية هامة جدا على كليهما . وسوف نستعرض مثالين .

في الشرق الاوسط ، اثبتت الحرب المحدودة الاهـداف التي خاضتها القوات المسلحة المصرية في تشرين الاول عام ١٩٧٣ ، قيمتها ، وقد تكبدتالقوات المسلحة الاسرائيلية خسائر فادحة في المرحلة الاولى من الحرب عندما حاولت شن هجمات مضادة على القوات المصرية المتمركزة دفاعيا . وفقط عندما تخلت القوات المصرية عن استراتيجيتها هذه يوم الرابع عشر من تشرين الاول ، بدأ موقفها يتدهور . وحتى في تلك الفترة كان الفاصل بين انتصار وهزيمة القوات الاسرائيلية ضئيلا جدا . وبالنسبة لاسرائيل التي تعتمد على جيشها الاحتياطي فان احتمال تحقيق العرب للمفاجاة واحتلال بعض المناطق قبل تعبئة القوات الاسرائيلية الاحتياطية ، يبقى خطرا مسلطا على اسرائيل . فلو استمرت احدى الدول العربية بتطبيق مثل هذه الاستراتيجية بنجاح فان على اسرائيل التي تعتمد تقليديا على سلاحها المدرع اكثر من الاعتماد على المشاة ان تواجهدفاعات قوية مسلحة بالذخائر الدقيقة التوجيه والفعالة جدا ضد اي هجوم مضاد بالقوات المدرعة .

ويتصور المرء ان كون الاستراتيجية الدفاعيـة لقـوات حلف شمالي الاطلسي تعتمد اساسا على فكرة الدفاع المتقدم (اي التصدي لهجوم قوات حلف وارسو على الحدود المباشرة بين الشرق والغرب) فانها في موقف ممتاز للتعامل ضد هجوم محدود الاهداف .

ولكن القسم الاكبر من قوات حلف شمالي الاطلسي منتشرة زمن السلم في مناطق بعيدة غربي المواقع الدفاعية . وبالتالي لابد لها من تلقي الانذار اولا ومن ثم التحرك نحو مواقعها الدفاعية ابان الازمات . مع العلم ان قيادة حلف شمالي الاطلسي تتردد كثيرا خلال الازمات في دفع قواتها الى الامام خوفا من ان يؤول ذلك كبادرة هجومية من قبل حلف وارسو ، مما قد يدفع هذا الاخير للبدء بهجوم لم يكن ليشنه لولا التحرك الغربي . ومن جهة اخرى لو تولدت لدى حلف وارسو قناعة بأنه لامفر من العمل العسكري فانه بغض النظر عن اي استفزاز من قبل حلف شمالي الاطلسي سوف يجد من مصلحته شن هجومه (خاصة اذا اختار استراتيجية الهجوم المحدودة الاهداف) قبل ان يتمكن الغرب من اقامة جدار ناري . وهذا يعني انه خلال الازمات سوف يتعرض حلف وارسو لاغراء شديد بالضرب بسرعة في الوقت الذي يكون وضع خصمه غير مستقر بعد .

وان افضل وسيلة لحلف شمالي الاطلسي لردع مثل هذا الهجوم المحدود الاهداف هي الانتشار السريع على المواقع الدفاعية المتقدمة . ولكن ومع الاسف من الصعب جدا على حلف شمالي الاطلسي ان يعرف نوايا حلف وارسو الحقيقة حول هل سيهاجم ام لا . ولذلك فان اي تحرك نحو الحدود من قبل قوات حلف شمالي الاطلسي ستشكل مجازفة قد تستفز حلف وارسو وتدفعه الى المباداة في الهجوم رغم ان هناك احتمال لعدم توفر نية مسبقة لديه بذلك.

اخيرا وعلى الرغم من ان الذخائر دقيقة التوجيه قد عززت والى مدى بعيد القدرات الدفاعية على التصدي للهجوم الصاعق فان مسائل عدة قد اثيرت حول التصدي لهجوم مبني على استراتيجية الهجوم المحدود الاهداف .

٥ ـ الذخائر الدقيقة التوجيه ليست علاجا

وانييل غوديه
DANIAL GOURE

غوردون ماكورميك
GORD ON MACOEMICK

قال السيد جو ميرشايمر في مقال نشر مؤخرا في هذه السلسلة من الدراسات ان حدث الذخائر الدقيقة التوجيه يبشر بثورة في المعارك البرية التقليدية . ويعتقد السيد ميرشايمر ان تعاظم دقة الاصابة وارتفاع المستوى التكنولوجي للاسلحة الجديدة قد ادى الى زيادة القدرة النارية على المستوى التكتيكي وانه بالنظر لنوعية وطبيعة هذه الاسلحة فان الدفاع سيتفوق على الهجوم . ويستنتج ميرشايمر أن انتشار هذه الاسلحة بكثرة يؤمن للدفاع ، ولاول مرة ، التصدي بفعالية للهجوم الصاعق ، وبالتالي تزايدت مصداقية الردع التقليدي . وباختصار ان زيادة القدرة النارية لهذه الاسلحة الجديدة عند استخدامها دفاعيا ستجبر المهاجم على التحرك ببطء نظرا لاضطراره الى توزيع قواته خوفا من تعرضها للتدمير بالوسائط النارية الدفاعية . ويؤدي هذا الانتشار الى بطء التحرك خاصة في قطاع الخرق كما يؤدي بالتالي بالمهاجم الى فقدان ميزة المفاجأة التي يعتمد عليها نجاح الهجوم ، وسوف يحول انتشار القوات الهجوم الى سلسلة من المعارك المجزاة وهذا من صالح القوات المدافعة لانها بذلك ستستفيد من مواقعها المحصنة في الوقت الذي تكون فيه القوات المهاجمة مكشوفة .

لاشك ان هذه الآراء قيمة ليس فقط لانها جديدة بل لانها تعطي فكرة واضحة من اتجاه التفكير الجديد فيما يتعلق بانعكاسات توفر الذخائر دقيقة التوجيه بين أيدي القوات المقاتلة . وفي الوقت الذي مايزال الجدل دائرا حول اهمية الذخائر الجديدة وآثارها على ساحة المعارك الحديثة فقد بدأ ميل واضح نحو اعتبار التكنولوجيا الحديثة المتطورة كعلاج لمشكلة الضعف في القوة التقليدية . ولا نستغرب تركز الاهتمام وخاصة نحو دور هذه الوسائط الجديدة في اطار منظومة الدفاع عن أوروبا الغربية حيث فرضت القيود المالية والسياسية وضعا يتطلب التفتيش عن وسائط رخيصة الثمن وعالية القدرة للتصدي للتهديد المتزايد الذي تفرضه القوات المدرعة التابعة لحلف وارسو .

ولكن في الوقت الذي نجد فيه ان هذا التهديد حقيقة واقعه ، كانت كافة المناقشات حول امكانية ايجاد حلول بواسطة الذخائر دقيقة التوجيه ماهي الاوهم .

لقد أثار ميرشايمر ثلاثة نواح يعتقد انها تستحق الاهتمام ومتعلقة بمدى تأثير الذخائر دقيقة التوجيه على ساحة القتال الفعلية وعلى سياسة الردع .

أولا : طبيعة الحرب الصاعقة . ثانيا : القيود الذاتية المفروضة على تكنولوجيا الذخائر دقيقة التوجيه . ثالثا : ملاءمة او عدم ملاءمة تبني استراتيجية حرب استنزاف .

ـ ماهي الحرب الصاعقة :

هناك خطيئة مشتركة بين جميع أنصار الذخائر دقيقة التوجيه بمن فيهم ميرشايمر هي سوء فهم عقيدة الحرب الصاعقة وخطر الهجوم المدرع .

فالحرب الصاعقة بحسب مفهوم ميرشايمر ، هي تاريخيا هجوم تقوم به القوات المدرعة دون ان تهتم بالدعم المدفعي او بمعاونة المشاة لها . ويضيف بأن للقوات المدرعة لوحدها فضل النجاح لهذا الاسلوب من الحرب . ولكن هذا المفهوم غير صحيح . لانه يتناسى بأن جوهر الحرب الصاعقة هو تعارف مختلف الصنوف .

ويبدو ان الانطلاق الخاطىء لميرشايمر كان بنتيجة عدم تفهمه بدقة لما قرأه عن الاسس التقليديه للحرب الصاعقه . وقد فشل الباحث في التفريق بين عقيدة « فوللر » : الدبابات فقط . وبين مفهوم عمليات الصنوف المختلفة التي نادى بها « ليدل هارت » . وقد تبنت الفوات المسلحه البريطانيه افكار الاول في حين تلقت القوات المسلحة الالمانية . المنفذ الاول للحرب الصاعقة ، بترحاب المفهوم الثاني . وفي حين كان فوللر على حق بمناداته باستخدام الدبابنب كراس حربة في الهجوم وعدم الاقتصار على استخدامها كوحدات استطلاع او دعم للمشاة كما نصت العقيدة القتالية الفرنسية ، وهكذا فشل في تفهم ضرورة اغناء الهجوم المدرع بقوى أسلحة الدعم . بينما لم يرتكب ليدل هارت مثل هذا الخطأ ، فهو منذ عام ١٩٢٤ دعى الى التعاون الوثيق بين الدبابات والمشاة المحمولة والمدفعية المتحركة والطائرات بهدف تنفيذ خرق تكتيكي وتوغل استراتيجي سريع داخل الاراضي المعادية . وقد أوضح ليدل هارت بصراحة بأن المدرعات العاملة بمفردها او بدعم قليل من المشاة لن تحقق أي نتيجة حاسمة .

ان الحرب الصاعقة المبنية على التعاون الوثيق بين الدبابات ومختلف الصنوف الداعمة لها ، هي مفتاح النصر الذي حققته العمليات الهجوميةالالمانية طيلة الحرب العالمية الثانية . ولا بد لكل باحث ان يتمعن بالافكار والمبادىء الالمانية التي عبر عنها غودريان وهوث HOTH وفون مانشتاين وفون توماس VON TUOMASاذ ركز هؤلاء جميعا وبشكل صريح على أهمية تعاون مختلف الصنوف . وأكثر من ذلك نجد ان فرقة البانزر بتنظيمها الذي شرحه جيدا السيد « ريتشارد اوغور كيوتز RICHARD OGORKIEWTEZ مثال عملي وعملياتي لهذه الافكار : فقد تألفت فرقة البانزر بالاضافة الى لواء الدبابات من لواء مشاة آلية مهمته دعم وتعزيز الدبابات . ويتألف هذا اللواء من فوج مشاة (٢ كتيبة محمول على عربات وكتيبة راكبي دراجات بخارية) .

وتضم الفرقة بالاضافة الى ذلك فوج مدفعية (٢٤ مدفع هاوتز عيار ١٠٥ ملم) وكتيبة مدافع مقطورة مضادة للدبابات عيار ٣٧ ملم ، وسرية

مهندسين عسكريين سرعان ماتحولت الى كتيبة . وكانت هناك ايضا كتيبة استطلاع مزودة بعربات مدرعة او دراجات بخارية بالاضافة الى وحدات الاشارة والخدمات الفرقية . وهكذا نجد ان فرقة البانزر عبارة عن جمهرة قادرة على الاكتفاء الذاتي مشكلة من صنوف مختلفة من الاسلحة حيث تتمتع الدبابات بدعم الاسلحة الاخرى التي رفعت قدرتها الحركية قدر الامكان لتساير تقدم الدبابات .

وفي حين نجد ان ميرشايمر كان محقا في قوله ان « الهجوم الصاعق لايحقق النصر حتما » وان سقوط فرنسة لايعني حكما تفوق الهجوم ، كانت النجاحات التي حققتها القوات الالمانية في المراحل الاولى من الحرب العالمية الثانية كافية لوضع مجلدات حول مزايا التحرك السريع للقوات مختلفة الصنوف وعملياتها كأسلوب هجومي .

واذا كانت القوات المسلحة الالمانية قد أخذت المبادأة في تطبيق مبادىء الحرب الصاعقة كعقيدة هجومية مضمونة النجاح فان القوات السوفياتية قد طورت هذه العقيدة ورفقتاها الى أعلى مستوى . ومن الواضح ان تعاون مختلف الصنوف في عمليات القوات المسلحة السوفياتية كان له الفضل الاكبر في النصر ولا نعرف حالة واحدة أعتمد فيها السوفيات على الدبابات بمفردها .

لقد كان الاسلوب السوفياتي لتنفيذ الهجوم المدرع كان يعتمد العقيدة القتالية للحرب الصاعقة المطورة اذا امكن التعبير . ففي الوقت الذي تنفذ فيه الاعمال القتالية على المستوى العملياتي وفق الاسلوب المعروف للهجوم أي بالحشد والمناورة كان الاتحاد السوفياتي يطبق حتى على المستوى التكتيكي مبدا الحشد والتفوق على العدو من حيث القدرة النارية والعددية وهكذا يمكن للقوات المسلحة السوفياتية ليس فقط تنفيذ هجوم صاعق أي خرق سريع للدفاع المعادي والتوغل في عمق الترتيب الدفاعي بهدف تدمير وشل الخصم قبل ان يتمكن من اتخاذ الاجراءات اللازمة ، بل أيضا خوض معارك متفرقة اذا اقتضى الموقف ذلك تحت ظروف التفوق العددي والناري في كل مكان .

وقد بني التخطيط السوفياتي على اساس المفهوم الخاص لاسلوب عمل القوات المشتركة . والنابع من العقيدة السوفياتية بجعل القوات المسلحة على استعداد لخوض مختلف أنواع العمليات البرية .

ورغم ثقل التشكيلات السوفياتية بسبب تعدد وحدات الدعم فقد ادخل الاتحاد السوفياتي مؤخرا تعديلات هامة على قواته البرية زادت من القدرات القتالية للقوات مختلفة الصنوف . فقد زاد عدد الافراد في الفرقة المدرعة من تسعة آلاف الى احد عشر الفا في حين ارتفع عدد الدبابات من مائتين وثمانين الى ثلاثمائة وخمسه وعشرون . كما ارتفع عدد الافراد في الفرقة الميكانيكية من عشرة آلاف وخمسمائه الى ثلاثة عشر الف وخمسمائه فرد وزاد عدد الدبابات من مائة وثمانيه وثمانون الى مائتان وستة وستون دبابة مما اعطى للفرقة المدرعة قدره ضاربة تعادل معظم فرق حلف شمالي الاطلسي المدرعة . وربما كان ذلك بهدف مواجهة القدرة النارية الجديدة التي توفرت لدى قوات حلف شمالي الاطلسي بفضل الذخائر دقيقة التوجيه المطورة الحديثة . ثم بغية تأمين قدرات نارية كافية لتدمير وابطال هذه الاسلحة الحديثة عمد الاتحاد السوفياتي الى زيادة القدرة النارية للفرق مثلا رادت قطع المدفعية المقطورة في الفرقة المدرعة من ستة وثلاثون الى اربعة وخمسون قطعة وفي الفرقة الميكانيكية من مائة وخمس قطع الى مائة وأربعة واربعون . كما ادخل تحسينات هامة على قواذف الصواريخ المتعددة البطانات والصواريخ ارض — أرض واهم من ذلك تطور ونشر المدفعية ذاتية الحركة . وأخيرا بالاضافة الى كافة هذه التحسينات التي أدخلت على الاسلحة التقليدية فقد جهزت القوات السوفياتية هي أيضا بذخائر دقيقة التوجيه وان كانت أدنى كفاءة من تلك المتوفرة لدى قوات حلف شمالي الاطلسي .

لذلك بدلا من ان تنفذ « الحرب الصاعقة من الغير » كما عبر عن ذلك بنوع الشاعرية ،السيد ميرشايمر . نجد ان العمليات المشتركة لمختلف الصنوف كانت منذ البداية هي المظهر والشكل الاساسي لعمليات الحرب الصاعقة . وكان المبرر المبدئي لتشكيلات مختلف الصنوف هو توفير قوة نارية ومرونة

كافية للقوات البرية للتغلب على مختلف العقبات التي قد تواجهها في ساحة القتال . ثم بعد ان أمكن توفير القدرة الحركية لوحدات الدعم لتضاهي- قدرة الدبابات الحركية اصبح بالامكان تنفيذ حرب صاعقة دونما تضحية بالقدرةعلى المناورة القتالية .

واخيرا بالاضافة الى سوء فهم طبيعة الحرب الصاعقة الذي وقع فيه السيد ميرشايمر كان شديد التفاؤل في تقديراته لامكانات الذخائر دقيقة التوجيه في زيادة القدرة الدفاعية متجاهلا الحدود التي تفرضها تكنولوجية هذه الوسائط الحديثة في الوقت الحاضر .

ـ القيود الذاتية الكامنة في الذخائر دقيقة التوجيه :

« ثورة في الحرب التقليدية » ، جملة ترددت كثيرا في كافة المناقشات والابحاث الدائرة حول مزايا الذخائر دقيقة التوجيه . ولكن الثوراتالحقيقية قليلة الحدوث جدا مثلا كان استخدام البارود في المدافع الميدانية والمحرك التجاري في سفن الاسطول الحربي البحري ، والتوصل الى القنابل النووية ثم الصواريخ العابرة للقارات الثورات الوحيدة في عالم الحرب التي شاهدتها الانسانية طيلة الالف سنة السابقة . أما ماتبقى مما يدعى ثورات فهي ليست اكثر من استخدام جديد للاسلحة ولا علاقة لها عمليا بالثورة التكنولوجية او على الاقل كانت علاقتها بهذه الاخيرة تأتي بالدرجة الثانية . فبالرغم من أنه كان واضحا للجميع ان فرنسة عام ١٩٤٠ كانت تملك دبابات أفضل نوعا من القوات المسلحة الالمانية ولكن كانت هذه القوات الالمانية بتطبيقها خططا تكتيكية العسكرية .

ومن جهة أخرى نجد مبالغة كبرى في قول انصار الذخائر دقيقة التوجيه: « كل مايمكن رؤيته يمكن اصابته وكل اصابة تعني التدمير » اذ بالرغم من تعاظم القدرات التدميرية للاسلحة الحديثة فهناك مشكلة لاتزال قائمة وهي كشف وتحديد الهدف . فمعظم الاسلحة الحديثة تتطلب من الرامي المحافظة على اتصال بالنظر مع الهدف طيلة فترة تحليق القذيفة . ولكن الظروف الطبوغرافية والجوية غالبا ماتحول دون ذلك ، وبالاضافة الى هذه القيود

الطبيعية يمكن خلق ظروف اصطناعية تعرقل الرامي وتمنعه من متابعة الهدف .

كما ان توفر الوسائط الالكترونية المضاده قد خلق مشكلة اخرى للذخائر دقيقة التوجيه . ولم ننس بعد مدى فعالية الوسائط الالكترونية المضادة الاميركية في المراحل الاخيره من حرب تشرين عام ١٩٧٣ ، وبالامكان استخدام وسائل مماثلة حديثة ضد الصواريخ المضادة للدبابات .

وحتى لو قبلنا بفرضية استمرارية دقة الاصابة رغم كافة العقبات المذكوره أعلاه فان شكل الدبابات الحديثة والتبدلات الطارئة على نوعية المعدن المستخدم يقللان من تأثير الذخائر دقيقة التوجيه من حيث القدرة التدميرية.

اخيرا قد تؤدي هذه التعقيدات كلها الى ضروره انتاج ذخائر دقيقة التوجيه أثقل وزنا ولا تحتاج الى رام لاستخدامها للتغلب على هذه الصعوبات. ومثل هذا التطور اذا حصل يوجه ضربة شديدة الى قلب فكرة السيد ميرشايمر القائلة بان الذخائر دقيقة التوجيه تدعم القدرة الدفاعية بسبب امكانية توزيعها على عناصر المشاة .

وهناك قيد آخر هام مفروض على استخدام الذخائر دقيقة التوجيه المتوفرة حاليا وهو تدني مستوى ايقاع الرمي نسبيا ، وهي مشكلة كبرى وخاصة تجاه عدو يتمتع بالتفوق العددي والمناورة السريعة . ان هذه الوسائط الجديدة خلافا للمدافع والدبابات القادرة على فتح النار كل بضعة ثوان ، لاتستطيع سوى اطلاق قذيفتين او ثلاثة كل دقيقة . وبالتالي فمن المحتمل جدا في ظروف الحرب المدرعة السريعة الايقاع ان تكون هناك فترات يظهر ويختفي فيها الهدف بسرعة أكبر من سرعة القدرة على تدميره .

لقد أخطأ فارس المدافعين عن فكرة اعتبار الذخائر دقيقة التوجيه كحل لمشاكل الدفاع ضد الدبابات بشكل جذري وذلك بتأويل الدروس المستفادة من استخدامها في الشرق الاوسط خاصة . الواقع أن الحدث الوحيد الفريد لهذه الفكرة هو الكارثة التي تعرض لها اللواء ١٩٠ المدرع الاسرائيلي في التاسع من تشرين الاول عام ١٩٧٣ . ولكن اشتباكا واحدا لايخلق ثورة .

ان الدروس الحقيقية المستفادة من حرب الشرق الاوسط في تشرين الاول من عام ١٩٧٣ لايمكن استخلاصها مّن المذبحة المبكرة في سيناء الذي تعرض لها لواء دبابات منعزل غير مدعوم ومندفع بلا حذر ، نتيجة رمايات الاسلحة الخفيفة المضادة للدبابات التي تسلح بها المشاة العرب . . . بل يمكن استخلاص الدروس الحقيقية من معرفتنا بانه من حوالي ٣ آلاف دبابة عربية واسرائيلية مدمرة او معطوبة خلال الحرب كان حوالي ثمانين بالمائة منها على الاقل قد اصيبت بمدافع الدبابات الاخرى . كما ان استخدام مئات ان لم يكن آلاف الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات من قبل الطرفين لم يكن له سوى تأثير جانبي على نتائج المعركة البرية .

ـ استراتيجية الاستنزاف :

كان السيد « كولين غراي COLIN GRAY محقا بقوله ان أمام حلف شمالي الاطلسي خيارين اثنين لتنظيم دفاع تقليدي في اوروبا الغربية .

اما ان يثابر المخططون العسكريون لحلف شمالي الاطلسي بتبني استراتيجية الدفاع المتقدم الهادفة الى ايقاف اي هجوم مدرع تشنه قوات حلف وارسو والقوات السوفياتية فور انطلاقه او ان يتخلوا عن هذه الفكرة السائدة حتى الآن والاستعداد لشن هجوم مضاد متحرك . وفي حين تهدف الاستراتيجية الاولى الى خوض حرب استنزاف ضد العدو تسعى الثانية لتحقيق النصر ليس بالسعي اساسا لتدمير العدو بل بالعمل على عرقلة العمليات المعادية ومنع الخصم من تنفيذ خططه .

وقد وقع معظم المتحمسين للذخائر دقيقة التوجيه بمن فيهم ميرشايمر في معسكر المنادين بالدفاع المتقدم لقوات حلف شمالي الاطلسي . وقد وجد هؤلاء في الذخائر دقيقة التوجيه دعما لآرائهم بما توحي بتقديمه من قدرة نارية لامحدودة تسمح بخوض حرب استنزاف على حدود حلف شمالي الاطلسي . وبالفعل ان فكرة النشر الكثيف لهذه الذخائر تتبع منطقيا استراتيجية الدفاع المتقدم . وعوضا من أن نوضح خطأ فكرة الاعتماد على الذخائر دقيقة التوجيه

استنادا الى العقبات التي اوردناها اعلاه فاننا سوف نناقش مدى ملاءمة الدفاع المعتمد على فكرة حرب الاستنزاف .

لاشك ان فكرة ايقاف الهجوم الصاعق السوفياتي بحرب استنزاف تبدو مغرية ، ولكن مثل هذه الحرب تكون عادة متميزة بالعنف لدى الطرفين،وبالتالي حتى لو حققت قوات حلف شمالي الاطلسي انتصارا فسيكون ثمنه باهظا جدا. ومن جهة اخرى كيف يمكن لهذه القوات ان تنتصر وهي تواجه تفوقا كبيرا في القدرة النارية لدى القوات السوفياتية وقوات حلف وارسو مع العلم اننا لانعتقد ان بامكانية حلف شمالي الاطلسي القضاء على هذه القدرة الناريةوحتى ولو حشد اكبر عدد ممكن من الذخائر دقيقة التوجيه . وقد اوضح السيد « ادوارد لوتواك EDWARD LOTTWAK »اناستراتيجيةحربالاستنزاف تفترض توفر تفوقا بالقدرة النارية اذ انها الوسيلة الاساسية لهذه الحرب ولا شك ان الطرف الاقل قدرة هو الذي سينهك اولا .

ولو نظرنا الى الموضوع من وجهة النظر السوفياتية فاننا نتساءل ما الداعي لطرف يملك تفوقا عدديا كافيا يجعله واثقا من النصر في المعارك حتى المتفرقة منها ، ليخوض حرب استنزاف او يردع من شن هجومه . وعلى الرغم من ان ليس للسوفيات مصلحة بخوض مثل هذه الحرب فانهم لن يترددوا في ذلك بدلا من خوض حرب استنزاف .

اذا كانت الاستراتيجية مبنية على اساس كشف نقاط ضعف العدو واستغلالها ، فان الدفاع الثابت الهادف الى استنزاف الخصم (والاستنزاف الذاتي) ليس هو الاستراتيجية الامثل . ان استراتيجية حرب الاستنزاف هي استراتيجية القيادة غير الملهمة واليائسة . هذا هو الدرس الذي تعلمه غرانت في « الوايلدرنس » وجوفر في نفودان وفون باولوس في ستالينغراد . اما اذا كان الموقف العسكري في اوروبا يفرض اللجوء الى استراتيجية تستغل مواقع ضعف العدو وتخوض عمليات هجومية متحركة فعند ذلك يتدنى من جديد دور الذخائر دقيقة التوجيه . اذ ان العوامل الاساسية لهذا النوع من العمليات هي المناورة والاستطلاع والقيادة والسيطرة الفعالة لا الذخائر دقيقة التوجيه بحد ذاتها .

أن الذخائر دقيقة التوجيه وكافة افراد عائلة الاسلحة التقليدية الحديثة المطورة تزيد فعلا من القدرات الناريــة وبالتالي ، رغم بعض القيود ، تعيد لجندي المشاة دوره في ساحة القتال حيث ماتزال السيطرة للدبابة وللطائرة .

ومع ذلك نقول ان الذخائر دقيقة التوجيه ليست علاجا فالقدرة النارية بدون استراتيجية واعية هي كالعاصفة في وسط المحيط ، تتمتع بقدرة عالية ولكنها تضيع بين الامواج . كما ان كل دفاع ثابت مبني على الاستفادة من اية اعتدة تكنولوجية يحمل في ذاته بوادر ضعفه . وقد اصبح الدرس المستفاد من خط ماجينو الفرنسي مثلا شائعا . اما من الناحية التاريخيــة فان الذخائر دقيقة التوجيه تختلف بدرجة محدودة عن العديد من الاسلحة المضادة للدبابات التي كانت موجودة خلال الحرب العالمية الثانية وبالذات المدفع الالماني عيار ٨٨ ملم الذي كان بدقة اصابته ومداه وايقاع الرمي ووزن الحشــوة المتفجرة سلاحا مضادا للدبابات يوازي في زمانه فعالية الذخائر دقيقة التوجيه الحالية. ومع ذلك فشل هذا السلاح بالقضاء على الدبابة .

ان الاستراتيجية والتطبيق التكتيكي المناسب لكل من الاسلحة المتوفرة والتي ستتوفر هي التي ستحدد الموقف النهائي لاي اشتباك تقليدي ، هكذا علمنا التاريخ .

لاشك ان للذخائر دقيقة التوجيه دورا تلعبه في الحرب الحديثة . ولكن ما هو أفضل دور لها والى اي مدى يمكن الاعتماد عليها كوسيلة ردع فهذا غير معروف حتى الآن على كل حال ان تقويم السيد ميرشايمر لدورها في ســاحة القتال فيه كثير من التفاؤل .

٦ ـ التنافس العسكري في الفضاء

لو حرم الاتحاد السوفياتي او الولايات المتحدة الاميركية من امكانية الاستفادة من الاقمار الصناعية في فترة الازمات ، لوجد الطرف المحروم نفسه في موقف حرج للغاية . اذ يعتمد كلا الطرفين على هذه الاقمار للتزود بالمعلومات الفورية وتلقي الانذار الذي لايمكن الاستغناء عنه في الحروب الحديثة . وحتى في زمن السلم فان استخدام الفضاء للاستطلاع والاتصالات وجمع المعلومات الكترونيا ومراقبة المحيطات وتنظيم الملاحة . اصبح في المرتبة الاولى من الاهمية .

ان الاقمار الصناعية المسماة « الوسائط التقنية القومية » للاشراف ، ضرورية جدا للقوى العظمى لانها تؤمن لكل منها معلومات وافية عن الاسلحة الاستراتيجية لدى الطرف الآخر وبالتالي تشكل عنصرا هاما في تدعيم اتفاقيات الاشراف على التسلح . ويستفاد من اقمار الانذار المبكر لكشف وتحديد اي صاروخ تم اطلاقه في حين تقوم اقمار الاستطلاع الالكتروني بمتابعة الصاروخ واعطاء معلومات مبكرة عن المنطقة المتوقع سقوطه فيها ، وبهذا يمكن لكل طرف ان يعرف بالضبط نوايا الطرف الآخر .

ونستفيد من الاقمار الصناعية الخاصة بالاتصالات لتأمين ايصال الاوامر والتوجيهات الى القطعات المنتشرة في اية بقعة من العالم . في حين تؤمن الاقمار الملاحية المعلومات اللازمة لقطع الاسطول البحري وخاصة قوة الغواصات النووية الاستراتيجية . وفي المستقبل القريب سيتم توجيه الصواريخ بواسطة الاقمار الصناعية ايضا . وحتى الوحدات القاتلة برا وجوا سوف تستفيد من معطيات الاقمار الصناعية لتحديد مواقعها بدقة .

وتعرف كلتا الدولتين العظميين بأن الوسائط الموجودة في الفضاء شديدة التعرض للاخطار المضادة والتي تشوش عملها ، وقد تم مؤخرا تطوير تكنولوجيا

جديدة رفعت من قدرة التدخل وحتى تدمير الاقمار الصناعية مما دفع كل دولة من الدولتين الى دراسة الطرق الكفيلة بحماية قواعدهـا الفضائية ضد اي هجوم وقائي .

وقد لفتت احداث عام ١٩٧٨ الانتباه الى المظاهر المختلفـة لاستخدام الفضاء عسكريا . ففي الرابع والعشرين من كانون الثاني تحطم القمر الصناعي الملاحي السوفياتي « كوزموس ٩٥٤ » في المنطقة الشمالية الغربية من الاراضي الكندية ناشرا جزئيات مشعة من محركه النووي فوق منطقة واسعـة . وبعد يومين من ذلك اطلقت الصين الشعبية قمرها الاستطلاعي الثاني . وطيلة العام لوحظ اهتمام شديد من قبل الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفياتي بالابحاث المتعلقة بالتدابير المضادة للاقمار الصناعية تتراوح بين تفجير اقمار ماثلة على مقربة من اهدافها وبين الاستفادة من اشعة اللايزر والاشعـة ذات الجزئيات المشحونة .

ان طلاق الصين الشعبية لقمرها الاستطلاعـي يدل بوضـوح على عدم اقتصار التنافس العسكري في الفضاء على الدولتين العظميين ، وان عدد الدول التي وضعت لنفسها برامج فضائية خاصة وتلك الساعية للاستفادة من هـذه البرامج عسكريا في تزايد مستمر عبر السنين . وعلـى الرغم مـن ان الصين الشعبية هي حتى الآن الدولة الثالثة فقط التي تطلق قمرا لغايات عسكرية فمن المرجح انه لن يمضي وقت طويل قبل ان ينضم الى هذا النادي الصغير اعضاء اكثر . فقط خططت الهند لتنفيـذ أول عملية اطلاق خاصة بها مستخدمة الصاروخ « س ل ـ ب ٣ SL - B3 » بتاريخ تموز ١٩٧٩ (تم اطـلاق قمرين هنديين فعلا مـن قبل الاتحاد السوفياتي) ، والمعلوم ان احد الاقمار التي ستطلقها الهند هو قمر تصوير عن بعد ولا نعرف حتى الآن فيما اذا كانت قدرات الكاميرات التحليلية فيه صالحة لخدمة اغراض عسكرية ام لا . وقد تم اطلاق اقمار اتصالات لصالح بريطانيا وحلف شمالي الاطلسي ، من قبل الولايات المتحدة ولكن حتى الآن لم تقم اي دولة عضو في حلف شمالي الاطلسي باطلاق اي قمر بوسائطها الخاصة . وقد خططت فرنسة لاطلاق قمر عام ١٩٨٣ يتمتع ببعض

الامكانيات في مجال الاستطلاع العسكري (سبوت SPOT) وتحضر لاطلاق قمر استطلاعي عسكري آخر عام ١٩٨٥ . اما اليابان فتأتي بعد الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفياتي فيما يتعلق بعدد الاقمار الصناعية غير العسكرية التي اطلقتها ولا شك مطلقا بقدرتها على اطلاق اقمار عسكرية عندما تشعر بالحاجة لذلك .

وان الشركة الالمانية الخاصة « اوتراك OTRAC » تقوم حاليا بتطوير وانتاج صواريخ لاطلاق الاقمار وتقوم بتجربتها في منطقة واسعة استأجرتها في ذائير ، وتخطط لوضع اول حمل لها على مداره خلال السنتين القادمتين . ان هذه القدرات على اطلاق اقمار اتصالات واستطلاع سوف تعقد الموقف ، طالما ان الاقمار المستخدمة للتحقق من تطبيق اتفاقيات الحد من التسلح قادرة ايضا على توجيه هجوم عسكري .

ـ الاقمار الخاصة بالمحيطات :

ان تحطم كوزموس ٩٥٤ قد حول الانتباه الى اقمار مراقبة المحيطات وهو مجال في تكنولوجيا الفضاء اتبع فيه الاتحاد السوفياتي اسلوبا مختلفا عن الولايات المتحدة الاميركية وفاقها تقدما فيه .

ففي شهر كانون الاول من عام ١٩٦٧ بدأ الاتحاد السوفياتي باطلاق سلسلة من الاقمار الصناعية تميزت بتصرفات خاصة : بعد بقاء القمر على مدار منخفض ٢٥٠ ـ ٣٠٠ كم لمدة بضعة أيام (ثم اصبح لمدة شهرين) ينقسم الى قسمين يحترق احدهما اثناء دخوله الفلاف الجوي المحيط بالارض في حين يندفع الثاني نحو مدار عال ٩٠٠ ـ ١٠٠٠ كم ، وقد تبين فيما بعد ان سبب ذلك هو احتواء هذه الاقمار على رادار كشف ايجابي جانبي يحتاج الى قدرة نابعة من محرك نووي صغير (مزود بحوالي ٥٠ كيلو غراما من اليورانيوم المشبع) ، وما ان يتوقف هذا المحرك عن انتاج قدرة كافية لعمل الرادار حتى ينفصل ويندفع الى مدار عال حيث يفترض بقاؤه مدة ٩٠٠ عام وهي مدة كافية لزوال خطر الاشعاع .

ويبدو ان شبكة الاقمار الصناعية السوفياتية الخاصة باستطلاع المحيطات قد اصبحت عملياتية في شهر ايار من عام ١٩٧٤ حيث عملت وللمرة الأولى بتشكيلات ثنائية اي يتبع كل قمر ، قمرا آخرا على نفس المدار بفارق زمني نصف ساعة .

وهكذا لايمكن فقط تحديد مواقع السفن بل ايضا وبواسطة حساب اختلاف الموقع بين قمر وآخر يمكن تحديد سرعة واتجاه اية سفينة . حتى نوع السفن يمكن تحديده بفضل تقاطع معلومات الرادارات . وقد اطلق الاتحاد السوفياتي زوجا من هذه الاقمار كل عام اعتبارا من عام ١٩٧٤ عدا عام ١٩٧٨ حيث تم اطلاق زوجين وربما كان ذلك مرتبطا بحادث تحطم كوزموس ٩٨٤ .

وقد ارتبط موعد اطلاقهما عام ١٩٧٤ بموعد المناورات البحرية لحلف الاطلسي « داون باترول Down Patrol » وفي عام ١٩٧٥ بمناورات شمالي اسطول حلف وارسو « اوكيان ٧٥ . Okean 75 » . واذا استمر الاتحاد السوفياتي في تطوير أقماره هذه امكنه تحديد الموقع الفعلي لاية قطعة حربية اميركية لحظة وجودها .

وتقوم الولايات المتحدة الاميركية بتطوير نظام كشف راداري فضائي اطلقت عليه الاسم الرمزي « كليبر بو Clipper Bow » ومن المتوقع ان يدخل الخدمة الفعلية عام ١٩٨٣ . اذ اعتمدت حتى الآن على دوريات الاستطلاع التي تنفذها طائرات الاسطول البحري وعلى معلومات الاقمار المخصصة للاستطلاع الالكتروني حسب البرنامج المعروف باسم « وايت كاود White Clowd » ، وتطلق هذه الاقمار عادة بمجموعات رباعية وقد تم اطلاق مجموعتين حتى الآن ، ويعتقد ان قمرا رئيسيا يجمع ويحلل المعلومات الملتقطة من قبل الاقمار الثلاثة الاخرى والتي تلتقط موجات اي رادار يعمل على ظهر السفن ، وان الفرق بين طول الموجات الرادارية الملتقطة من قبل الاقمار الثلاثة يحدد موقع السفينة ، كما يمكن معرفة نوعية السفينة بمقارنة مختلف المعطيات الاخرى المجمعة من قبل الاقمار الثلاثة . فمن الممكن مثلا معرفة مواقع زوارق الصواريخ نوع « نافوشكا Navouchka » بواسطة موجات راداراتها لان نوع الرادار

الذي تستخدمه هذه الزوارق غير موجود على أية سفينة سوفياتية اخـرى ولكن طالما أن الكشـف يعتمد على الموجات التي تبثها الرادارات فبالامكان التهرب من ذلك بفرض صمت لاسلكي وراداري عند مرور الاقمار .

ـ الملاحة والتوجيه :

ان منظومة تحديد الموقف العام الاميركية هي عبارة عن مجموعة مـن الاقمار الصناعية الخاصة بالملاحة الجوية وتعمل طيلة ٢٤ ساعة في اليوم . وتطلق هذه الاقمار بمجموعات من ثمانية على ارتفاع ٢٠ الف كيلو متر ومـن المتوقع ان تصبح عملياتية اعتبارا مـن منتصف الثمانينـات . اما المعلومات الملاحية فتعطى حاليا وبشكل مستمر من قبل اربعة أقمار وسيطة جوالـة تحلق على مدار قطبي وعلى ارتفاع الف كيلو متر .

ويمكن بفضل الاحداثيات القطبية وبواسطة نوعين من الترددات العادية ان تحدد بدقة بضعة مئات من الامتار موقع اية سفينة . والغاية من وجود الاقمار الوسيطة هي التحكم بتوجيه الصواريخ العابرة للقارات المنطلقة مـن الغواصات بأعلى دقة ممكنـة ، ومـن الطبيعي ان تستفيد من ذلـك باقي الوحدات البحرية .

ان السيئة الوحيدة لهذه الاقمار الوسيطة هي انها تعطي معلومات ذات بعدين فقط ولا يمكن تدقيقها الا اثناء مرور القمر في مجال التقاط السفينـة لاشاراته . كما لايمكن الاستفادة منها لكشف الاهداف المتحركـة بسرعـة كالطائرات بالاضافة الى انها شديدة التعرض لاخطار الاجهزة الالكترونيـة المضادة . واخيرا تعتمد على اربعة أقمار فقط وكلها ضمن مدى الانظمة المضادة السوفياتية .

ان كافة هذه النواقص سوف يتم التغلب عليها بواسطـة نظام تحديد الموقع العام الذي سوف يسمح لاجهزة الالتقاط العسكرية تحديد مواقعهـا بالابعاد الثلاث وفي اي وقت واي موقع من العالم (حتى في الفضاء الى ارتفاع بضعة آلاف الكيلو متر) وذلك بدقة عشر أمتار فقط . وحتى الاهداف الطائرة يمكن تحديد مواقعها بدقة ستة سنتيمترات بالثانية الواحدة . كما ستكـون

الاقمار الجديدة محمية من تأثير اجهزة الحرب الالكترونية المضادة وسوف تزيد هذه المنظومة الجديدة من امكانيات القوات المقاتلة الى درجة كبيرة . ولاول مرة في التاريخ سيكون هناك شبكة متكاملة تسمح بتحديد مواقع اي هدف في أي مكان واي وقت . ومن جهة أخرى فان الاستفادة من هذه المنظومة لاتقتصر على قطع الاسطول بل يمكن القوات البرية أيضا الاستفادة منها وبالتالي نقل المعلومات عن الاهداف للطائرات التي يمكن أن تتوجه نحوه بكل دقة حتى لو لم يعرف الطيار مواقع هدفه ، وتستطيع طائرات الاستطلاع تصحيح خط مسارها وفق المخطط الموضوع مسبقا بدقة عالية . وليس هناك مايمنع من الاستفادة من هذه المنظومة لتوجيه الصواريخ عابرة القارات بما في ذلك تلك المحمولة على الغواصات مما يقلل من احتمالات الخطأ الى بضع عشرات من الامتار .

لهذا كله نعتقد ان منظومة تحديد الموقف العام هي افضل انجاز تكنولوجي عسكري حديث .

ـ الانظمة المضادة للاقمار الصناعية :

هناك اختلاف بين الاقمار الاميركية والسوفياتية من حيث درجة تعرضها للاخطار . يطلق الاتحاد السوفياتي بشكل عام عددا كبيرا من الاقمار الى مدارات منخفضة لانه عاجز لاسباب جغرافية عن اطلاقها لارتفاعات شاهقة كالولايات المتحدة الاميركية . بالاضافة الى ذلك فان الولايات المتحدة الاميركية تميل نحو استخدام عدد أقل من الاقمار لانها تستفيد من القمر الواحد لاغراض عدة . وهذا ماجعل موقف الولايات المتحدة اكثر حواجة وبالتالي فهي تولي اهتماما كبيرا لاستمرار الاتحاد السوفياتي في تطوير برامجه الخاصة بالاجراءات المضادة للاقمار الصناعية .

وقد بدات التجارب السوفياتية المتعلقة بالتفتيش وتدمير الاهداف الفضائية منذ عام ١٩٦٧ . وقد انتهت المرحلة الاولى من هذا البرنامج في عام ١٩٧١ ولكن لوحظ عام ١٩٧٦ ان السوفيات قد أجروا تجارب مكثفة على هذه الاوساط . كانت معظم التجارب تمثيلية . مثلا بتاريخ ١٩ أيار ١٩٧٨ اطلق

القمر « كوزموس ١٠٠٩ » من قاعدة « تيوراتام » ووضع مبدئيا على مدار انتقالي ثم وقبل ان ينهي دورة كاملة دفع نحو هدفه « كوزموس ٩٦٧ » ومر على مسافة كيلو متر واحد منه فقط على ارتفاع الف كيلو متر . وفي بعض التجارب تم تفجير القمر المقاتل الى عدد كبير من الشظايا على مقربة من الهدف الذي ينفجر بسبب اصطدامه بها . ومن المعتقد ان الاتحاد السوفياتي يطور حاليا اقمارا مزودة بأجهزة باعثة لاشعة لايزر بطاقة عالية يمكنه استخدامها لتدمير الاقمار الاخرى .

ان تجربة التاسع عشر من ايار توضح كل شيء عن امكانيات الاتحاد السوفياتي وبنفس الوقت القيود المفروضة على وسائط الملاقاة . فبالرغم من ان بالامكان وضع اقمار الملاقاة على مدار ارتفاعه الفي كيلو متر فان كافة عمليات الملاقاة تمت على ارتفاعات اقل من الف كيلو متر .

وهكذا نجد ان كافة الاقمار الصناعية الاميركية الحالية الخاصة بالاستطلاع والكشف الالكتروني ومراقبة المحيطات مهددة بالخطر السوفياتي خاصة وان الزمن الفاصل بين اطلاق القمر المقاتل وعملية الملاقاة قصير جدا (١ ــ ٢ ساعة) . ونظرا لان عدد الاقمار العاملة الاميركية هو عادة قليل جدا (١٥) فان عدد الاقمار المقاتلة اللازمة قليل ايضا والمجموعة الاخرى من الاقمار الصناعية الاميركية المعرضة للخطر السوفياتي هي مجموعة الاقمار المخصصة لجمع المعلومات وتأمين الاتصالات عبر المناطق القطبية وهي مؤلفة من ثلاث سفن فضائية ومن المعتقد انها تعتبر ايضا محطة اتصال بين مختلف اقمار الاستطلاع التي تحلق فوق الاتحاد السوفياتي . وان هذه المجموعة رغم وجودها على مدار ارتفاعه ٤٠ الف كيلو متر فوق نصف الكرة الشمالي فانها تهبط الى ارتفاع ٣٠٠ كيلو متر فقط فوق نصف الكرة الجنوبي حيث يمكن ملاقاتها بسهولة . وهناك ايضا « المكوك الفضائي » الاميركي المعرض بشدة للخطر السوفياتي المضاد . فهو رغم امكانه بلوغ ارتفاع ١٢٠٠ كم فان المعروف ان ارتفاعه العملياتي من حيث يطلق السفن الفضائية الى مدارها نادرا مايتجاوز الخمسمائة كيلو متر ؟ .

ومع ذلك هناك حدود لقدرات الانظمة السوفياتية المضادة للاقمار والسفن الفضائية . فانها حتى الآن عاجزة عن بلوغ منظومة « الناف ستار » التي ستكون على ارتفاع ٢٠ الف كيلو متر او اقمار الاتصالات والانذار المبكر الاميركية المحلقة على ارتفاع ٣٦ الف كيلو متر . كما انه لايمكن للاقمار القاتلة ان تبدل مدارها وبالتالي لايمكن اطلاقها الا عندما يكون الهدف على نفس المدار وهذا لايحدث سوى مرتين يوميا ، ولاسباب اخرى تبين انه من الناحية العملية لايمكن اطلاق قمر مضاد سوى مرة واحدة كل بضعة ايام . واذا كان بالامكان تفجير قمر بشكل مفاجيء فان تدمير نظام كامل يحتاج الى أسابيع عدة .

وقد بدات الولايات المتحدة الاميركية بتطوير نظام خاص بها مضاد للاقمار الصناعية . ويبدو حتى الآن ان افضل وسيلة هي استخدام رؤوس حربية صغيرة عالية القدرة على المناورة تعتمد على تكنولوجيا الصواريخ العابرة للقارات . وهي تطلق غالبا بواسطة صاروخ صغير الى مدار القمر المرغوب تدميره حيث تنفجر ناثرة عددا كبيرا من الصواريخ الصغيرة تتوجه نحو الهدف بواسطة جهاز توجيه يعمل بالاشعة دون الحمراء . ويختلف هذا النظام تماما عن النظام السوفياتي اذ خطط ليقذف من قبل الطائرات التي تتميز بمرونة اكبر في الاستخدام . حيث يمكن للطائرة القاذفة لهذه الصواريخ ان تحلق في مواقع تسمح بملاقاة الهدف دونما التقيد بوقت محدد . وقد خطط لتنفيذ اول تجربة لهذا الراس المتفجر في الفضاء في عام ١٩٨١ .

اما مدى هذه الاسلحة فهو يعادل امكانيات الانظمة السوفياتية اي سوف تكون قادرة على تدمير الاقمار على ارتفاع الف كيلو متر اما تلك المحلقة على ارتفاعات شاهقة فلا يمكنها الوصول اليها . ولكن هذا القيد هو اقل أهمية للولايات المتحدة الاميركية طالما ان معظم أقمار الاتحاد السوفياتي هي على ارتفاعات منخفضة لان موقعه الجغرافي في النصف الشمالي من الكرة يحرمه من امكانية اطلاق اقمار على ارتفاعات شاهقة . ويحتفظ الاتحاد السوفياتي عادة بستة عشر قمر اتصالات نوع « مولنيا **Molnya** » وثلاثة اقمار للانذار المبكر بشكل دائم . وكلها تمر في النقطة الدنيا من مدارها كل ١٢ ساعة . واذا

ماتم فعلا انجاز النظام المضاد للاقمار الصناعية الاميركي في الثمانينات فانه سيكون متفوقا على النظام السوفياتي المماثل بسبب كونه اكثر مرونة ثم لان الاقمار السوفياتية اكثر عرضة للاخطار .

ـ الاسلحة ذات القدرة الموجهة :

يولي كل من الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الاميركية اهتماما متزايدا بالاسلحة الموجهة القدرة سواء اشعة لايزر العالية القدرة او الاسلحة العاملة بشعاع الجزئيات . وقد اتجهت بعض الابحاث الاساسية في هذا المجال نحو الاستفادة من الانفجارات الذرية المسيطر عليها ولذلك لايظهر في الميزانيات الدفاعية سوى مبلغ قليل من المال قد صرف على هذه الابحاث . ومع ذلك فان ميزانية الدفاع الاميركية لعام ١٩٧٩ كانت تحتوي على مبلغ ١ر١٨٤ مليون دولار لتطوير اسلحة اللايزر ، واحد عشر مليونا للاسلحةالعاملة بالاشعة الاخرى .

ـ اللايزر ذو القدرة العالية :

تمتاز الاسلحة العاملة باشعة لايزر (شعاع مستقيم يتحرك بسرعة الضوء ودقة اصابة عالية) بكونها ملائمة جدا للعمل ضد الطائرات والصواريخ الطوافة والصواريخ الموجهة وكذلك الصواريخ البالستيكية .

ان المشكلة الرئيسية التي تعرقل استخدام اشعة لايزر بواسطة الاسلحة المتحركة او الثابتة (التي يستفاد منها ضد هجوم صاروخي) هي ان المياه والجزئيات المتنوعة الموجودة في الجو تمتص قدرا كبيرا من طاقة الشعاع وتقلل من مداه الفعال الذي لايزيد عن عشرة كيلو مترات في الوقت الحالي . وبالامكان التغلب على هذه العقبة عند استخدام الوسائط المضادة للاقمار الصناعية المتمركزة في قواعد ارضية اذ يمكن استخدام اشعة اقوى حيث يتم اطلاقها من قواعد اكبر حجما وقدرة بالاضافة الى امكانية نشرها في مناطق تمتاز بجودة احوالها الجوية ، وبذلك يمكن لاشعة لايزر ان تدمر هدفا على مسافة ٧٠٠ كم . ولا يمكن عمليا تقدير المدى الفعلي لاشعة لايزر المنطلقة من

الاقمار الصناعية في الفضاء الخارجي . لانه رغم فقدان اي عائق يعرقل هذه الاشعة في الفضاء فانها كلما زادت المسافة زاد انتشارها وبالتالي تقل كثافتها وقدرتها الباقية .

لهذه الاسباب يبدو عدم جدوى تحميل أجهزة اطلاق اشعة لايزر على اقمار فضائية اذا كانت أهدافها على مديات بعيدة . وهذه الناحية هامة جدا بالنسبة لمشروع الوسائط المضادة للصواريخ الفارية التي تعتمد على أشعة لايزر العالية القدرة ، خاصة وان الولايات المتحدة الاميركية قد توقعت وضعها في مدارات فضائية لتدمير الصواريخ فوق أراضي الاتحاد السوفياتي في مرحلة اطلاقها اي عندما تكون كبيرة الحجم سهلة الاصابة بسبب وجود كتلة الدفع قبل انفصالها .

على أية حال يتضح لنا ان هناك عقبات كبيرة علينا تخطيها قبل ان يصبح بالامكان الاستفادة من اشعة لايزر بالشكل المناسب . وقد نجد آنذاك ان مردود هذه الاشعة عملياتيا لايختلف عن مردود الوسائط الاخرى كالصواريخ مثلا .

ـ الاسلحة الباعثة لاشعة الجزئيات (١) :

ان الغموض الذي يحيط بهذه الاسلحة ومدى تأثيرها أكبر من الذي يغلف الاسلحة العاملة باشعة لايزر . ومن المعروف ان السوفيات قد اهتموا بهذه الاسلحة منذ سنوات عدة خاصة في مجال الاستفادة من تحطم النواة المسيطر عليه للصناعة . ويعتقد ان الابحاث السوفياتية المتعلقة بهذا الموضوع تجري حاليا في مدينة « ساروفا Sarova » قرب غوركي وكذلك في مدينة « سيميبالاتنسك Semipalatinsk » ، ونوصي النشاطات المكثفة هناك بأن السوفيات قد توصلوا فعلا لانتاج مثل هذه الاسلحة .

وبالاضافة الى استخدام البروتونات والالكترونات يبدو أنه من الممكن الاستفادة من الهيدروجين المؤين لانتاج أشعة من نواة الهيدروجين وسواء في

---

(١) ـ شعاع الجزئيات هو تيار اشعاعي من الجزئيات (بروتونات او الكترونات) يتم تسريعها بدرجة عالية جدا في مجال كهربائي مغناطيسي ومن ثم توجه وتطلق نحو الهدف لتدمره .

هذه او تلك من الجزئيات فان الطاقة اللازمة لذلك هائلة جدا . ومع ذلك اذا ماقورنت هذه الاشعة باشعة لايزر نجد انها تمتاز عنها بفعالية أكبر وتأثير أقل بالعوامل المحيطة والجوية وبالتالي لاتعتمد على الظروف الجدية . وحتى لو كانت الصدمة الاشعاعية غير كافية لتدمير الهدف فانها حتما قادرة على تعطيل الاجهزة والمعدات الالكترونية بسبب تأين السطح المصاب . ولهذا نقول ان أشعة الجزئيات اشد خطرا من أشعة لايزر .

ولا تخلو هـذه الحزم الاشعاعيـة الجديدة مـن بعض المعوقـات أثناء استخدامها الفعلي خاصة عند استخدامها ضمن المجال الجوي المحيط بالارض اذ ان حقل الكرة الارضيـة المغناطيسـي له تأثير عليها قد يقلل مـن دقة اصابتها .

اما البرامج الاميركية المتعلقة بالموضوع نفسه فقد تم تنسيق العمل بها ووضعت تحت اشراف « داربا **Darpa** » وجاري حاليا دراسة امكانية التغلب على بعض الصعوبات التي تعترض استخدامها العملي . وقد سبـق للولايات المتحدة الاميركية ان وزعت ابحاثها على مجالات ثلاث ، أولها وأكثرها تقدما هو المجال الذي عملت به القوى البحرية باسم « شيرهيريتاج **Chair Heritiage** الذي يتوقع منه انتاج اول نموذج لسلاح يطلق اشعة الكترونات لمدى قصير في منتصف الثمانينات ، والمخصص للدفاع ضد الصواريـخ الطوافة . وقد يوضع على السفن الحربية الكبيرة كحاملات الطائرات . وبنفس الوقت عملت القوات البرية الاميركية على تطوير سلاح مماثل يطلق أشعة جزئيات ويكـون محمولا على السفن الفضائية بهدف التصدي للصواريخ عابرة القارات . ونظرا لكبر حجم هذه الاسلحة فلا بد من نقلها مجزأة الى الفضاء وتجميعها هنـاك وهذا يعني عدة رحلات للسفن الحكومية ، ولا شك ان الوقت اللازم لذلـك سيكون كافيا للاتحاد السوفياتي لاتخاذ الاجراءات الدبلوماسية لعرقلة تنفيذ العملية . مع العلم ان مثل هذه السفن الفضائية ستكون شديدة التعرض للاخطـار .

الاتجاه الثاني وقد سلكته ايضا القوات البرية الاميركية ويشتمل علـى

اسلحة تطلق اشعة جزئيات البروتونات ومتمركزة ارضا للتعامل مع الصواريخ عابرة القارات ايضا ولكن هـذه الشروع مازال في مراحله الاولى وليس من المؤكد نجاحه عمليا .

الواقع ان الاسلحة التي تستخدم اشعة لايزر او اشعة الجزئيات تلاقي حتى الآن عقبات تقنية ضخمة ولا يمكن لاحد التنبؤ بمدى جدية وفائدة انتاجها كسلاح يوضع في الخدمة الفعلية . واذا مانجح الباحثون بالتغلب على كافة هذه العقبات فان هذه الاسلحة ستكون ، بسبب كبر حجمها وثقل وزنها ، من نصيب القطع البحرية الكبيرة والطائرات الضخمة . وعلى أية حال ليس مـن المتوقع ان نشاهد أسلحة باشعة لايزر قبل منتصف الثمانينات أما ذات أشعة الجزئيات فالى نهاية التسعينات على الاقل .

ـ التدابير الوقائية :

وبالتوازي مع تطوير منظومات الاسلحة المضادة للاقمار الصناعية جاري حاليا تطوير وسائل مضادة للاخطار المعادية وقد تم فعلا انتاجها وتوزيعها على بعض السفن الفضائية الاميركية. وبغية الاقلال من الاعتماد على القدرة المستمدة من أشعة الشمس عبر لواقط سريعة العطب جرى اطلاق قمري اتصالات في آذار ١٩٧٨ (ل اي اس ٨ و ٩ L E S 8 , 9) والـذان يستخدمـان محركات راديو ــ ايزوتوب الحرارية الكهربائية . وقد بذلت جهـود كبـيرة لتخفيف حساسية الدارات الالكترونية بتغليفها بصفائح خاصة قليلة التحسس . وقد امكن بواسطة هذه الاقمار التي وصفت « بالسوداء » الاقلال من انعكاس الضوء عليها وكذلك التخفيف من الصدى الراداري وبالتالي تدنت امكانيات كشفها. كما جهزت الاقمار الصناعية الاميركية بلواقط حساسة تسمح بالتفريق بين تدخل عدواني او حادث عرضي . وجهزت ايضا برادار ينذر بوصول نبضات رادارية من وسائط معادية . اما لواقط التوجيه بالمدى والارتفاع والاتجاه فقد صمم لها غطاء واق واخيرا عند التقاط القمر لاية اشارة تنذر بالخطر يمكنه تعديل مساره بواسطة محرك دفع خاص .

لاشك ان هذه اللائحة من التدابير الوقائية غنية ومع ذلك لاتستطيـع

ضمان حماية الاقمار الصناعية . ولا بد من تبديل الاقمار بسرعة وفي هذه الحاله يمكننا الاستفادة من المكوك الفضائي في حالة السلم اما في حالة الحرب فان المكوك نفسه سيكون معرضا لخطر التدمير . وتخطط القيادة العامة للقوى الجويه الاميركية لبناء سيلودات خاصة بالتبديل السريع للاقمارالمدمرة وذلك اعتبارا من مطلع عام ١٩٨٠ بناء اسطواني محكم الاغلاق مستخدمة في ذلك صواريخ « مينوتمان Minutman » « و تيتان ٢ Titan 2 » .

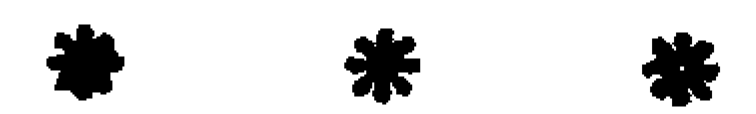
ـ الحد من التسلح :

تشمل الجهود المبذولة لوقاية الاقمر الصناعية من التدمير نواح سياسية وتقنيه . ففي الثامن من حزيران بدأت المفاوضات في هلسنكي بين الولايات المتحدة الاميركيه والاتحاد السوفياتي بهدف أيجاد سبل الحد من الاسلحة المضادة للاقمار الصناعيه . اذ ان انفاقية الفضاء الخارجي المعقودة عام ١٩٦٧ قد فرضت حظرا على استخدام الفضاء لاقامة محطات فضائية تحمل وسائل نووية او ايه أسلحه اخرى للتدمير الشامل ، ولم تمنع استخدام الاقمار أو أي نظام فضائي لتدمير أهداف فضائيه معادية .

لذلك فان المحادثات الحالية تدل بوضوح على الاعتراف المتبادل بين الدولتين بأهمية المنظومات الفضائية للتوازن الاستراتيجي . وبنفس الوقت فان الفشل في الوصول الى أي شكل من أشكال الاتفاق هو انعكاس للمشاكل التقنية والسياسية التي يواجهها المفاوضون . ومع ذلك نعتقد ان الامل ضعيف بالوصول الى نوع من التفاهم : لان مامن دولة تملك تفوقا فعليا على الاخرى في هذا المجال التكنولوجي ولذلك قد تجد كل من الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفياتي من مصلحتهما الاستمرار في الابحاث والتجارب كي لاتتخلف عن الاخرى دون ان تكون مقيدة بشروط معينة ، خاصة من ان احتمال الوصول الى وسائل تهديد فعلية لن يتم قبل سنوات عدة .

ان العقبة الاولى التي تعترض عقد اتفاق للحد من استخدام الوسائط المضادة للاقمار الصناعية هي صعوبة التحقيق من تطبيق بنودها . فاشعة لايزر يمكن اخفاؤها ومن السهل اجراء تجارب على الاقمار القاتلة تحت ستار

اطلاق اقمار عادية ، كما انه لايوجد حدود واضحة بين الاستخدام العسكري والمدني لمثل هذه الوسائل الفضائية ؟ فالمكوك الفضائي مثلا يستخدم لوضع اقمار عسكرية او مدنية على مداراتها وقد يصبح بامكانه تدمير الاقمار المعادية. ولكن هناك فرق اساسي بين تدمير قمر او قمرين دونما انذار وبين امكانية تدمير كافة اقمار العدو على التوالي . ففي حين يؤدي العمل الاول الى ازمة سياسية حادة فان الثاني يؤدي الى حصول الطرف المعتدي على تفوق واضح. ربما كان هذا هو السبب الاساسي الذي قد يدفع الطرفين للسعي الى عقد اتفاق يجنب كل منهما الوقوع في مثل هذا المأذق .



٧ ـ توجهات جديدة في القوى الجوية

نشاهد حاليا تبدلا في طبيعــة القوى الجوية . فقد أصبــح بالامكان اعتبارها استخداما للقوة العسكرية في البعد الثالث يشمــل حتى الفضــاء الكوبي .

ونعني باستخدام القوة العسكرية الهجوم والدفاع والنقل والاستطلاع في نطاق السياسة الدفاعية القومية للدولة او لحلفائها . ويمكن للقوىالجوية ان تعزز بعناصر من صنوف مختلفة وتشمل الطائرات ، والحرب الالكترونية والقيادة والسيطرة ووسائط الاتصال والمراقبة والطائرات الموجهة عن بعد والذخائر ذات التوجيه الدقيق .

ـ تكنولوجيا حديثة :

توفر التكنولوجيا المعاصرة والمستقبلية خاصة للقوى الجويــة فرص تحسين قدرات الطائرات ، وتسهيــل كشف وتحديد الاهداف وتدميرها ، وكذلك تساعد بفعالية على القيادة والسيطرة والاتصال وفوق هذه كله خوض حرب الكترونية على نطاق أوسع بكثير من السابق . كما ترفع التكنولوجيا من قدرة القوى الجوية على الحياة في جو معاد .

اتصفت رمايات التمهيد في الحروب التقليدية ـ تاريخيا ـ بالكثافــة النارية وذلك بسبب عدم دقتها . ولو طبقنا ذلك على القوى الجوية لوجب استخدام تشكيلات كبيرة من الطائرات مع أمل ضعيف بالنجاح ، ان الجهود التي بذلــت واوزان القنــابل التي استخــدمت لمهاجمــة بعض الاهــداف خلال الحرب العالمية الثانية والحرب الكورية والمراحل الاولى من حرب فيتنام كانت هائلة . وكان الاعتماد على القصف المكثف يعود لسببين أولا لان عملية القصف نفسها كانت أشبه بالتكهنات من حيث زمن ومكان القصف ، ثانيا أن

المعلومت ألتي توفر للطيار كالارتفاع والسرعة واتجاه الرياح لم تكن معروفة بدقة كافية لتسديد مدافعه بالشكلّ المناسب . وكمثال على ذلك كان علــى القوى الجوية لاصابة معبر او جسر بدقة ٨٣٪ ان تلقي ١٦٠ قنبلة من وزن ٤٥٠ كغ لكل منها .

ولا شك انه متى أمكن تحديد زمن الاطلاق بدقة فان دقة الاصابة تصبح أكثر احتمالا . والآن بعد توفر المعلومات الفوريه والدقيقــة مــن المنظومات الفضائية الخاصة بكشف وتحديد الاهداف بدقة أقل من عشرة امتار فــان قدرات القوى الجوية على اصابة وتدمير الاهداف ستتضاعف الى عدة مرات.

واذا ما أمكن تزويد قنابل الطائرات بأجهزة تدقيق التوجيه في المرحلــة الإخيرة من سقوطها فان استهلاك الذخائر سوف يتقلص كثيرا . ولو هدنا الى المثال السابق لوجدنا ان اربع قنابل موجهة باشعة لايزر كافيــة لتحقيــق الهدف . وأهم من ذلك كله لم تعد دقة الاصابة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالمدى بل بالموقع المناسب لاطلاق القذيفة .

وتنبع القدرات التكنولوجية الحديثة أساسا من التطورات الهامة التي ادخلت على الاجهزة والقطع الالكترونية المصغرة بالتعاون مع تقنية جمع ونقل المعلومات . اذ أنها لم تؤد فقط الى ادخال ثورة في عالم دقة الاصابة بل ان صغر حجمها وقلة وزنها سمحت باستخدامها بلا حدود . كما امكن التغلب على العقبات التقليدية المعروفة والمتعلقة باكتشاف العدو ، وتحديد مواقعه وقوته واتجاهات تحركه بواسطة الرادارات والاجهزة اللاسلكية والاشعةدون الحمراء والوسائط الاخرى المحملة على طائرات واقمار موجهة أو غير موجهة، بالاضافة الى الطائرات التي يقودها الطيارون . كما أمكن في مجال القيــادة والسيطرة والاتصالات تأمين الدقة والسرعة مع توسيع مدى العمل بواسطة اجهزة اكثر فعالية وارخص ثمنا .

وكما سمح ذلك للقيادة على أعلى المستويات الاطلاع والاشراف علــى الموقف العام والخاص وحتى التدخل عند الضرورة دونما اعاقة او تشويش عمل القيادة الدنيا .

كما ان الاجراءات الالكترونية المضادة والاجراءات المضادة لها زادت من قدرات القوى الجوية . ومن جهة اخرى فان التطورات التي ادخلت على الرادارات قد تعيق من عمل هذه القوى ولكن علينا الا ننسى ان الرادارات قد بلغت قمة تطورها تقريبا في حين ان تكنولوجيا الحرب الالكترونية والوسائط المضادة لها مازالت في مراحلها المبكرة وهي قيد التطور المتسارع . ولا شك ان هذه التكنولوجيا هي التي سيكون لها التاثير الاكبر على مستقبل القوى الجوية . وعلى الرغم من ان التدابير المضادة سوف تتطور ايضا ولكن المزايا المتوفرة حاليا سيكون لها تأثيرها على ساحة المعركة . لذلك نجد ان كلا من الشرق والغرب يبدي اهتماما زائدا بوسائط الحرب الالكترونية والوسائط المضادة لها والمضادة للمضادة .

وسوف تستمر التحسينات في مجال شكل الطائرة والمعدات التكنولوجية والمحركات الدافعة التي سوف تسمح باقلاع وهبوط عمودي او من مهابط قصيرة دونما التضحية بالمدى العملياتي للطائرة .

ان المجال الآخر المتوقع تزايد الاهتمام في تطويره وتحسينه هو مجال الصواريخ الطوافة . وان اهم السلبيات التي اتصفت بها النماذج القديمة من الصواريخ هي قلة المدى نسبيا وضعف دقة الاصابة مما جعلها صالحة للاستخدام فقط ضد أهداف كبيرة الابعاد مثل لندن للصواريخ من (٧ او لحمل رؤوس نووية حيث تعوض القدرة التدميرية عن دقة الاصابة .

اما الصاروخ الطواف الجاري تطويره حاليا في الولايات المتحدة الاميركية او الاتحاد السوفياتي فقد تغلب على هذه السلبيات وهو قادر على العمل على كافة المستويات الاستراتيجية والتكتيكية وفي كافة ظروف الحرب النووية أو التقليدية .

ومن المعتقد ان الاتحاد السوفياتي يملك قوة دفاع جوي تضم حوالي ثمانمائة الف رجل . ومع ذلك يمكن للصاروخ الطواف ان يتغلب على الدفاع الجوي الحالي وان ينتج بكميات كافية للقضاء على هذا الدفاع .

ـ الاستهلاك :

من الصعب جدا تقدير نسبة الاستهلاك بدقة لان ذلك مرتبط بعوامل عدة مثلا ماهي سرعة الاستعواض ، المدة التي سيستمر بها العدوان اهمية الهدف ، عدد الطلعات الجوية الممكنة بالاضافة الى نوعية الدفاع المعادي.

يميل المنظرون العسكريون عادة الى الاعتقاد بأن الحروب سوف تكون قصيرة ، ولكن الوقائع غالبا اثبتت عدم صحة هذا الراي . ولكن لم يحدث في الماضي ان وقعت حروب استخدمت فيها هذه الانواع المختارة من الاسلحة ذات القدرات التدميرية الكبيرة او بمفهوم يعتبر فيه الاسلحة النووية هي اسلحة الخيار الاخير .

وفي حين كان بالامكان حتى نهاية الخمسينات تسريع عمليات الصناعة الحربية فان تعقيد الاسلحة الحديثة العسكرية جعل ذلك مستحيلا علىالاقل حتى المدى القريب . ويرجح ان تخاض حروب المستقبل بعد القيام بتخزين واسع للاعتدة ، لان حرب الشرق الاوسط عام ١٩٧٣ قد غيرت المفاهيم السائدة حول نسبة وسرعة الاستهلاك للعتاد العسكري وبالتالي أصبح من الضروري جدا امتلاك احتياطات كافية بالرجال والعتاد منذ البداية .

ومما يصعب عملية تقدير نسبة الاستهلاك هي العلاقة بين الجهد والهدف . ففي بعض الحالات مثل معركة بريطانيا او الهجوم الجويالاسرائيلي على مرتفعات الجولان كانت نسبة الاستهلاك ادنى من المعدلات المعروفة عبر التاريخ اذا ماقورنت بالاهداف المحققة . ولكن حتى في مثل هذه الحالات من الصعب تقدير معدل الاستهلاك بشكل صحيح .

على كل حال اعتبر المعدل ٥٪ نسبة معقولة فيما يتعلق بالقاذفات . ولكن من جهة اخرى يمكن لمعدلات الاستهلاك ان تزداد عندما يكون الهدف المهاجم ذو اهمية للعدو . ومما لاشك فيه ان معدلات الاستهلاك مرتبطة بحجم القوى الجوية المشتركة بالعمليات ايضا ولا يمكن تقديرها بفترة معينة من الحرب .

ونتعرض الآن لدراسة معدلات الاستهلاك في اطار اوروبا الغربية . من

المعروف ان الهجوم المدرع السوفياتي يعتمد على منظومة دفاع جوي متحركة ارضية . وفي حين ان الجيل الحالي للصواريخ السوفياتية المضادة للطائرات سام ٤ ـ ٦ ـ ٨ ذات قدرات محدودة نسبيا ضد أهداف متحركة بسرعة وعلى ارتفاعات منخفضة ، فان الجيل الجديد سام ١٠ سيكون بلا شك افضل بكثير. وان كان للصواريخ الفردية المضادة للطائرات الفردية بعض العيوب فان المدفع الرباعي زسو ٣٢ ـ ٤ الموجهبالرادار سلاحفعال جدا ضد الطائرات المنخفضة. ولدى الاتحاد السوفياتي بالاضافة الى هذا الغطاء المتحرك قوة مـن طائرات الدفاع الجوي ذات القدرات العالية بالكشف والتدمير . وقد دلت الدراسات على ان معدل الاستهلاك في هذه الظروف تعادل نسبة ٣٧٫٥٪ .

وبالامكان الاقلال من هذه النسبة بالتحليق بسرعات عالية على ارتفاعات منخفضة جدا واستخدام اجهزة التشويش على الرادارات بالاضافة الىمحاولة تدمير وسائط الدفاع الجوي بالهجوم المباشر عليها فضلا عن استخدام وسائل الحرب الالكترونية . كما تزيد العمليات الليلية نسبة الوقاية .

وبامكان الطائرات مهاجمة المواقع الدفاعية المعادية بواسطة الصواريخ العادية والصواريخ الطوافة المسلحة برؤوس حربية تقليدية التي يتفوق الغرب بها على الاتحاد السوفياتي وكذلك بواسطة الطائرات الموجهة عن بعد . فهذه الاسلحة صغيرة الحجم صعبة الكشف وتتمتع بكفاءة عالية للتغلب على عمليات التشويش الالكتروني .

وان تزايد القدرة على كشف الهدف والاشتباك معه بسرعة كالطائرات اف ١٥ ، سوف يزيد القدرة الدفاعية وقد اصبح بامكان الطائرة اف ١٤ ان تشتبك مع عدة طائراتمعادية بواسطة الصاروخفونيكس على مسافة ١٦٠كم. ولكن ذلك يعتمد اساسا على الحصول على معطيات دقيقة تسمح بالتفريق بين الطائرات المعادية والصديقة ، وهذه مشكلة كافة القوى الجوية الحديثة . وسوف تعزز طائرات الاستطلاع المبكر « اواكس » قدرات الدفاع باتخاذ اجراءات مسبقة قبل وصول العدو .

- توازن الزوايا :

ينبغي على كل طرف يسعى للتفوق الجوي في ظروف الحرب الحديثة ، وفق مانصت عليه انظمة القتال ان يخوض حرب استنزاف طويلة الامد يركز فيها هجماته الجوية على مصانع الطائرات المعادية والاجهزة اللازمة لها ، مع السعي بالوقت نفسه لحماية اجوائه ضد اي خطر معاد . ولكن في حرب قصيرة الامد كما هي متوقعة في اوروبا فان البادىء بالضربة الوقائية هو على الارجح من يحقق التفوق الجدي .

نلاحظ في الآونة الاخيرة ان القواعد الجوية قد بدات تكبر حجما وتعقيدا وتقل عددا . واذا كانت هذه القواعد معروفة بدقة فان المهابط فيها تبقى الهدف الاول لاي هجوم معاد . وتكون هذه المهابط دوما واضحة لكل مهاجم وان تعطيلها يؤدي الى نتائج وخيمة . لذلك هناك سعي مستمر لانتاج اسلحة فعالة ضد المهابط منها القادرة على نشر الغام صغيرة واخرى تخترق اسمنت المهابط وتنفجر بداخل الارض لتشكل حفرا عميقة . وخلال تجربة أجريت في الولايات المتحدة الاميركية نجح صاروخ طواف بنشر ١١ لغما من اصل ١٢ ضمن حدود مطار معين . وهذا يدعونا الى التخلي عن فكرة المطارات الكبيرة وذلك لزيادة الصعوبات امام العدو في مجال تحديد الهدف وكذلك للاقلال من الاعتماد على المهابط الاسمنتية الطويلة . ففي المانيا الغربية نجد ان قوات حلف شمالي الاطلسي الجوية تعمل عادة سواء للهجوم او للدفاع من ثمانية عشر قاعدة جوية فقط مع العلم ان هناك مائة مهبط يمكن الاستفادة منها .

وان أخطر موقف للقوات البرية الغربية العاملة في اوروبا هو تعرضها لهجوم مفاجىء قبل ان تتمكن من الانتشار واحتلال مواقعها الدفاعية بشكل كامل . والقوى الجوية وحدها قادرة في مثل هـذا الموقف ، تأمين التغطية الجوية اللازمة وتوفير الوقت اللازم للقوات البرية لاحتلال مواقعها الدفاعية وكذلك وصول الاحتياطات . وللقوى الجوية دور هام أيضا في حال نجاح العدو بخرق المواقع الدفاعية الصديقة اذ يمكنها بمرونتها وقدرتها على سرعة الحشد الناري سد الثغرة واعاقة تقدم العدو حتى وصول القوات البرية . كما تعتمد

قيادة حلف شمالي الاطلسي على امكانيات القوى الجوية اعتمادا كبيرا كرد فعل أولي على اي عدوان تشنه قوات حلف وارسو .

ولطائرات الانذار المبكر اواكس دور هام في كشف التحركات البرية اذ أن راداراتها قادرة على الوصول الى عمق الاراضي المعادية واجهزتها تمتاز بالقدرة على تحليل المعلومات وكشف النوايا المعادية وسوف يحصل حلف شمالي الاطلسي على ثمانية عشر طائرة منها تصل اولها في عام ١٩٨٠ .

وفي حين يمكن التصدي للانساق الاولى من قوة الهجوم البري باسلحة الوحدات المدافعة وبالجهد الجوي المتوفر ، فان الاهداف الموجودة على مسافة أبعد من مدى أسلحة القوات البرية لايمكن مهاجمتها الا بواسطة الطائرات والوسائط الجوية الاخرى .

ان فرقة النسق السوفياتية النموذجية تضم ثمانمائة عربة مدرعةوأكثر من مائتي مدفع والفي عربة أخرى ومائة وخمسون قطعة هندسية وحوالي اثنا عشر الف رجل منتشرين على جبهة بعرض ١٥ ــ ٢٠ كم وعمق ٢٥ ــ ٥٠ كم ، كما انه سيكون هناك اهدافا عدة في الانساق الثانية . في حالة الهجوم التقليدي بمراحله الخمسة : هجوم مفاجيء ، خرق ، مهاجمة الأنساق الثانية وانزالات جوية فان من الصعب الاستغناء عن الطائرات ذات الأجنحة الثابتة لدعم القوات . اما في حالة الهجوم المفاجيء واختراق الجبهة فان الالغام المقذوفة من الطائرات لها دور هام في تعزيز الدفاع . وقد أصبح بالأمكان حاليا زرع حقول الالغام من الجو مع ماقدمته التكنولوجية الحديثة من امكانية اختيار النوع والحساسية وصغر الحجم والقدرة التدميرية اللازمة لحقل الغام حديث ولا شك ان هذه الامكانيةالتي توفرت للقوى الجوية ستلاقي اهتماما متزايدا في المستقبل .

وفي الوقت الذي سوف تتصف فيه العمليات البرية بالتبدل فان تطورات جذرية تبدو متوقعة في المعارك البحرية . فان توفر الاقمار الصناعيةومنظومات المراقبة الجوية تجعل من السهل جدا اكتشاف الاهداف وقد اصبح بالامكان حاليا تحديد خط سير سفن السطح بواسطة الاقمار الصناعية والطائرات .

وان التطورات المستقبلية التي ستشاهدها الاجهزة ستزيد من دقة كشف وتحديد الاهداف ومعرفة هويتها وملاحقتها ونقل المعلومات الدقيقة والفورية من اية قطعة بحرية .

ومع ظهور « القنابل الذكية » البحرية كالنموذج البحري للصاروخ الطواف فان الاخطار المحيطة بقطع الاسطول اصبحت كبيرة جدا . وان طائرات الاسطول الحاملة لهذه الاسلحة أصبحت تشكل تهديدا جديا للقوى البحرية. كما ان سرعة رد الفعل لديها تسمح لها بمهاجمه عدد من السفن في طلعةقتالية واحدة ويمكن زيادة مدى عملها بواسطة التكنولوجيا الحديثة واعادة الملء بالمحروقات جوا .

وسوف تزود طائرات الاسطول البحري بوسائل دفاع ذاتي سلبية وايجابية مع قدرة على خوض اشتباكات محدودة مع المقاتلات المعادية .

ـ ترسانات ومهام جديدة :

أصبح واضحا بأن الاتحاد السوفياتي قد تخلى عن نظراته للقوى الجوية على انها امتداد للمدفعية في مهام دعم عمليات القوات البرية واتجه نحو المفهوم الغربي الذي يعتبر هذه القوى عنصرا هاما بحد ذاته له دوره الخاص في العمليات التكتيكية والاستراتيجية . وبالتالي بدا السوفيات بانتاج طائرات اكثر تطورا وتعقيدا قادرة على حمل أوزان اكبر من القنابل والاسلحة الاخرى ولمسافات بعيدة مع زيادة دقة الاصابة . ويبدو ان العقيدة القتالية الجوية السوفياتية فيما يتعلق بالحرب التقليدية ضد قوات حلف الناتو معدة لتحقيق هدفين :

التدمير المبكر للقوى النووية الميدانية لحلف شمالي الاطلسي وتحجيم دور القوى الجوية الغربية الى أدنى حد ممكن .

وان الطائرات السوفياتية الحديثة ومعظمها باجنحة متحركة ملائمة جدا لتحقيق هذه الاهداف ، ففي المراحل الاولى للعمليات في اوروبا الوسطى ستتعرض القواعد الجوية الغربية للهجمات الجوية السوفياتية العميقة في

اطار القضاء على القوة النووية ، ووسائط الدفاع الجوي وبلبلة انظمة القيادة والسيطرة وتدميرها .

ومع ذلك سوف يخصص السوفيات نسبة من عدد الطائرات لدعم عمليات القوات البرية بالتعاون مع الحوامات المكلفة بمهام مماثلة . ولهذا نجد انه خلال السنوات العشر الماضية قد ادخل السوفيات تعديلات على قواتهم الجوية لتتلاءم مع هذه المهام .

وفي حين كانت الولايات المتحدة الاميركية عادة متوقة في كافة مجالات الطيران الاستراتيجي فان الموقف قد تعدل الآن وأصبح متوازنا تقريبا . وتحول التفوق الاميركي الى مجال الحرب الالكترونية والرادارات المحمولة جوا ، وتكنولوجيا أجهزة التوجيه الدقيق . ولاشك ان الولايات المتحدة الاميركية قد تأثرت كثيرا بخبرات حرب فيتنام وأجبرت على تبني تكتيك التحليق السريع على ارتفاعات منخفضة لتجنب الدفاعات الجوية السوفياتية المضادة . ولكن يبدو ان الاميركيين على ثقة بامكانية تحقيق خرق منظومات الدفاع الجوي المعادية .

ومن أهم التبدلات التي حدثت خلال العقدين الماضيين هو الاسلوب المتوقع ان تستخدم فيه القوى الجوية في الحرب العالمية الثالثة . فلدى الاتحاد السوفياتي طائرات الدعم القريب وكذلك القدرة على نقل الدعم والتعويض بالخسائر الى مسافات بعيدة كما كاد ان يفعل في حرب الشرق الاوسط عام ١٩٧٣ تلك العملية التي تصدت لها الولايات المتحدة الاميركية . فان استخدام القوى الجوية من مسافات بعيدة وزجها في المعارك تؤدي الى تبديل ميزان القوى المحلية بشكل كبير . كما ان هناك العامل النفسي الكامن وراء استخدام القوى الجوية او حتى بوجودها في منطقة ما ، مثل الغارات الجوية الروديسية على لوساكا وتمركز طائرات الميغ ٢٣ في كوبا .

بالاضافة الى ان التفوق الجوي ليس محصورا في مسرح عمليات اوروبا الوسطى بل انه في الحرب الثالثة سيكون مختلفا من حيث الشروط ودرجة النشاط .

ويبدو ان الطائرات المقادة ستبقى تلعب دورا هاما ضد الاهداف السريعة التحرك اكثر من أي سلاح موجه . ومع ذلك ستتلقى مساعدة كبيرة من الصواريخ الطوافة والطائرات الموجهة عن بعد . وسوف ينصب الاهتمام على اضفاء المرونة والذكاء على القذائف نفسها اكثر من الطائرات بهدف تحقيق افضل النتائج بأقل خسائر ممكنة .

* * *

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة

عنـوان الكتـاب بالاجنبـي

The Impact of New Military Technology

THE ADELPHI LIBRARY 4

Published for

THE INTERNATIONAL INSTITUTE FOR STRATEGIC STUDIES

by

Gower and ALLANHELD, OSMUN

edited by

JONATHAN ALFORD

Deputy Director, IISS

